



سلسلة
ثقافية
شعبية

أساطير الحب والجمال عند الإغريق دريتي خشية



هذا الكتاب

يضم هذا الكتاب أربعة وعشرين أسطورة من أساطير الحب والجمال عند الأفريق ، كتبها بأسلوب فني مشرق فقيده الأدب العربي الراحل دريتي خشية . ومن بين أبطال هذه الأساطير ما أصبح له شهرة في العالم تفوق شهرة الأبطال الأحياء ، ومن هؤلاء الأبطال اللامعين أسماء مثل كيوبيد وفيتوس وأرفيوس الموسيقي وبجماليون وبندورا وهيرقل ، وقد طافت هذه الأسماء الدنيا كلها ومرت خلال القرون المتتالية فلم تزدع الأيام إلا وضوحا وتألعا . ومن بين أبطال هذه الأساطير عدد آخر ليس معروفا عندنا بصورة شائعة ، ولكن الحديث عنه يملأ الآداب الأوروبية المختلفة . وكانت المكتبة العربية تشكو من النقص في هذا الميدان ، فلم يكن فيها كتاب واحد يجمع هذه الأساطير ويعرضها بطريقة تحافظ على ما فيها من جمال وسحر ، حتى جاء دريتي خشية فألف هذا الكتاب ، الذي يعتبر أول مرجع من نوعه في المكتبة العربية ، والذي يجمع بطريقة رائعة بين دقة البحث العلمي ، وجمال الفن ، حيث يمكننا أن نقرأه كما نقرأ القصيدة أو القصة المثيرة الممتعة ..

كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيس مجلس الإدارة : أحمد بهاء الدين

العدد ١٧١ - صفر ١٣٨٥ - يونية ١٩٦٥

No. 171 — Juin 1965

مركز الإدارة

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب
التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي : (١٢ عددا) في الجمهورية
العربية المتحدة جنيه مصري - في السودان جنيه
سوداني في سوريا ولبنان ١٢٥٠ قرشا سوريا
لبنانيا - في بلاد اتحاد البريد العربي جنيه و ٣٠٠
مليم - في الامريكتين ٥ دولارات ونصف - في سائر
انحاء العالم ٣٥ شلن

سعر البيع للجمهور : قطر والبحرين ٤٠ آنة ،
ليبيا (بنغازي وطرابلس) ١٥٠ مليم ، الجزائر ١٧٥
فرنكا ، المغرب ١٥٠ فرنكا



كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

هذا الكتاب

منذ ثلاثين سنة أو أكثر أخذ الدكتور طه حسين ينادى في الجامعة وخارج الجامعة بالاهتمام بالتراث اليوناني .. وكان الدكتور طه حسين يرى ان ثقافتنا العريضة الجديدة يجب ان تفتح نوافذها على ثقافة اليونان العريقة التي تعتبر من الاسس الهامة للثقافة المعاصرة في العالم كله

وقد كان اجدادنا من فلاسفة العرب القدماء وعلمائهم يعرفون أهمية الثقافة اليونانية ، ولذلك أقبلوا على ترجمتها ودراستها وفهمها على أوسع نطاق ، وكان العرب من أسبق شعوب العالم في معرفة الثقافة اليونانية ، بل لقد كان عرب الاندلس بالذات هم المذنبون نبهوا أوروبا الى قيمة الفلسفة اليونانية ، وهم الذين احتفظوا بأهم آثار هذه الفلسفة ، ولولاهم لضاعت هذه الآثار الى الأبد في ظلام القرون الوسطى الذي كان يعم أوروبا ويعميها عن رؤية أى شيء جميل عميق ، بينما كان العرب في ذلك الوقت هم أصحاب الحضارة المضيئة في العالم ، هم الذين يحملون نور المعرفة من أرض الى أرض ، ويفتحون قلوبهم لما أنتجته شعوب العالم من آثار فكرية

الأهداء

الى الأستاذ العبقري الأول

مؤلف

« ألف ليلة »

عظيمة ، سواء كانت هذه الشعوب في فارس أو الهند
أو في الصين أو وراء الشاطئ الآخر للبحر الأبيض .. في
أوروبا

ومن خلال هذه الروح المشرقة المضيئة عاشت آثار
أرسطو وغيره من فلاسفة اليونان في حراسة عـرب
الاندلس ورعايتهم ، وكان العالم العربي الكبير ابن رشد
هو الذي مثل هذا الدور خير تمثيل ، فترجم أرسطو
وشرحه . وأنقذه من الضياع والنسيان . وعن طريق
ابن رشد .. عن طريق عرب الاندلس هؤلاء عرف الغرب
في نهضته آثار اليونان وتنبيه الى قيمتها الكبيرة

ولكن العرب في اهتمامهم بآثار اليونان القديمة وقفوا
عند الفلسفة والمنطق ، ولم يلتفتوا الى الادب ... وكان
عدم اهتمامهم بالادب اليوناني ظاهرة غريبة ما زال
المفكرون والدارسون يبحثون عن أسبابها الى اليوم ،
ويختلفون حولها في البحث والتفسير

وفي بداية النهضة العربية الحديثة التفت العرب
المعاصرون الى ما لم يلتفت اليه العرب القدماء ، لقد
بدأوا يهتمون بالادب اليوناني ، والفن اليوناني على اختلاف
ألوانه وصوره ، وكان رائد هذه الدعوة الجديدة هو طه
حسين الذي استفاد من منصبه كأستاذ جامعي ، واستفاد
من مركزه الفكري الواسع خارج الجامعة ، ليدعو العرب في
كل مكان الى الاهتمام بالتراث الادبي والفني عند اليونان

والتقط الدعوة أديب عربي موهوب هو دريني خشبة ،
وكان هذا الاديب مسلحا بمعرفة عميقة بالثقافة
العربية الاصيلية ، مسلحا بأسلوب عربي مشرق
جميل ، وكان هو نفسه قد بدأ حياته الادبية بكتابة الشعر
العربي .. وأخذ يقرأ الادب اليوناني قراءة فهم واستيعاب
وتذوق ، وقرر في آخر الامر ان يقدمه الى القراء العرب في

أحسن ثوب وأجمل صورة ..

وكان من أهم آثار الادب اليوناني تلك الاساطير الكثيرة
حول الانسان والعالم ، ومن بين هذه الاساطير مجموعة
رائعة حول الحب والجمال ، هي موضوع الكتاب الذي
نقدمه اليوم

وقد أصبح أبطال هذه الاساطير مشهورين معروفين على
كل لسان في مختلف انحاء العالم .. فمن منا لا يعرف
« كيوبيد » رسول الغرام وحامل سهام الحب ، والكائن
السحري الذي يربط بين القلوب بأجمل المشاعر والعواطف
ومن منا لا يعرف فينوس ، المثل الاعلى للجمال ، والتي
لا تخطر على بالنا الا ومعها ذكريات حلوة عذبة عن أجمل
ما رآته العيون وخفقت له القلوب ؟ .. وما أكثر الاساطير
الآخري المتنوعة التي امتلأ بها أدب اليونان حول الحب
والجمال ..

لقد كتب دريني خشبة هذا الكتاب الذي نقدمه الى
القراء اليوم ، وجمع فيه كل أساطير الحب والجمال عند
اليونان ، وعرضها بأسلوبه الجميل الانيق ، فجاءت تحفة
فنية من أروع آثار الادب العربي المعاصر

وكتاب الهلال اذ يقدم هذا الكتاب الى القراء انما يهدف
من ناحية الى تقديم هذه المتعة الفنية الرائعة للذوق
والوجدان والعقل ، ويهدف من ناحية أخرى الى المساهمة
في فتح نوافذ ثقافتنا العربية على ما في العالم من أفكار
وثقافات أخرى ، وخاصة هذه الثقافة اليونانية العظيمة
التي كان لها مكانها وقدرها الكبير العزيز في ثقافتنا
العربية القديمة ، والتي تجدد الاهتمام بها في نهضتنا
الفكرية الحديثة ..

ويهدف كتاب الهلال من ناحية ثالثة الى تأكيد

قيمة هامة في مجتمعنا الاشتراكي الثوري الجديد . . هذه القيمة التي يجب ان نعتز بها ونحرص عليها هي : ان الاشتراكية ليست هي الحياة القائمة المتجهمة ، بل انها في جوهرها دعوة الى الحب والتفتح والاستمتاع بالحياة ، والمجتمع الذي تبنيه الاشتراكية هو مجتمع الصحة النفسية والصحة الجسمية ، وهو بكلمات أخرى المجتمع الذي يعرف ان من حق كل شاب وفتاة ان يحسا بالعاطفة الحارة العميقة الناجحة ، وهو المجتمع الذي يجعل من كيوييد عضوا عاملا نشيطا في داخله . . في كل حقل ومصنع ومدرسة وجامعة ، وهو المجتمع الذي يجعل من فينوس مثلا أعلى يمكن تحقيقه باستمرار ، وذلك بمقاومة المرض والبؤس اللذين يدمران ويحرمان الجسم البشري من كل فتنته وجماله . .

وأخيرا فان كتاب الهلال يهدف بنشر هذا الكتاب الى احياء عمل خصب من أعمال الاديب الراحل دريني خشبة الذي توفي في ١٠ يوليو سنة ١٩٦٤ عن واحد وستين عاما بعد ان ساهم على نطاق واسع في الحركة الادبية العربية طيلة اربعين سنة متصلة ، منذ ان بدأ يكتب في سنة ١٩٢٣ حتى مات في العام الماضي عن واحد وستين عاما ، وخلال هذه المدة الطويلة لم يترك قلمه ، ولم يتوقف عن جهاده الفكري سواء بالتأليف أو بالترجمة أو بالتدريس ، وقد كان له على الادب العربي المعاصر افضال عديدة ، على رأسها هذا الجهد الفذ في تقديم الادب اليوناني بأسلوبه العربي الرائع ، ثم اتجاهه في الفترة الاخيرة من حياته الى خدمة الثقافة المسرحية ، حيث ترجم عددا من أمهات الكتب العالمية التي تدرس فن المسرح وتشرحه وتفسره ، ومن بين هذه الكتب المترجمة : في الفن المسرحي بقلم جورودن كريج - علم المسرحية بقلم الارديس نيكول - فن

كتابة المسرحية بقلم لايوس أجري - حياتي في الفن بقلم المخرج الروسي الشهير ستانسلافسكي - تشريح المسرحية بقلم مارجوري بولتون - تاريخ المسرح في ثلاثة آلاف سنة بقلم شيلدون شبنى - فن الكاتب المسرحي بقلم جون بسفيلد « الابن » .

ومن مؤلفاته كتاب عن « أشهر المذاهب المسرحية » ، كما كتب مقدمات تحليلية طويلة لست عشرة مسرحية من سلسلة روائع المسرح العالمي ، وله رواية لم تنشر هي « الانسانية تغنى » وله أيضا مجموعة أشعار لم تنشر بعد وهذا الكتاب الذي تقدمه هو أحد الأعمال الفكرية والفنية الممتازة لهذا الكاتب المخلص الموهوب الذي عاش حياته كلها من أجل الثقافة والفن وساهم بنصيب وافر في نهضتنا الفكرية المعاصرة

« كتاب الهلال »

مقدمة

هذه طائفة من الاحلام اليونانية الرائعة كان يحزننى الا يعرفها قراء العربية ، على طول ما سمعوا بها ، وعلى كثرة ما داعبت خيالهم ، وغازلت أحلامهم ، فأنا اقدمها اليهم اليوم ، بالطريقة التى آثرت أن أروى بها هذه الاساطير . . .

أحببت ان أسجل ذلك ، حتى لا يدور فى روع أحد اننى نقلت ما نقلت من آيات ذلك الادب الذى أغرمت به ، نقل ترجمة ، ولكن نقل رواية ، وهى الطريقة التى آثرها شعراء أوربا الحديثة حين قدموا لبلادهم ذلك التراث اليونانى التليد ، وهى الطريقة نفسها التى أقرها ، وجرى عليها الاستاذ الانجليزى الكبير « توماس بلفنش » (١٧٩٦ - ١٨٦٧) ، حينما نقل الى الانجليزية معظم الاساطير اليونانية عن أوفيد وفرجيل . . . فرب أسطورة ليس لها فى اصول ذلك الادب الا سطر أو سطران ، رواها هو فى صفحة أو صفحتين ، ليباعد بينها وبين جفاء العلم ، وليجعلها سائفة فى أذواق مواطنيه وهكذا فعلت . . .

وما دمت قد أشرت الى الاستاذ بلفنش ، فلا بد من الإشارة الى الاستاذ هـ . أ . جربر H.A. Guerber الذى انتفعت بكتابه الخالد (١) فى تسوية أساطيرى هذه ، والذى أغرائنى أغراء شديدا برواية هوميروس كله ، فى ملحمتيه العظيمتين « الياذة » و « الاوديسة » ، كما أغرائنى بعد ذلك برواية ذلك الادب التمثيلى اليونانى البارع ، الذى بقى للمدينة وللذهن الانسانى ، من شعراء الاغريق القدماء : اسخيلوس ، وسوفوكليس ، ويوريبيدز ، مما قدمته الى قراء العربية فى الصحف والمجلات . . .

أما أساطير اليوم ، فهى من غير شك الفصل الاول من ديوان الادب اليونانى «الحافل» ، الذى أشفق العرب من نقله الى لسانهم ، خوفا مما يفيض به من وثنية ، على الدين الجديد . . . ولم يعد لنا عذر فى أن تحول تلك الحجة بيننا وبين الانتفاع بالادب اليونانى ، ولا سيما فى طفولته الاولى الجميلة التى ابدعت لنا تلك الاحلام . . .

ولا بد هنا من الاعتذار عما كان لا بد من ايراده فى بعض تلك الاساطير ، من ذلك اللون من الحب الذى يوشك أن يكون صارخا . . . فقد أردنا أن نعطى القراء صورة صادقة عن الفجر الاول لذلك الادب اليونانى . . . وليس من الصدق أن نخفى بعض ألوان تلك الصورة . . . وان كنا قد حرصنا على ألا نثبت منها إلا أقربها - أو ما يكاد يكون أقربها - الى ما نأخذ به أنفسنا من كريم تقاليدنا . . .

أما ان هذه الاساطير التى أقدمها الى القراء اليوم ، هى السفر الاول من ديوان الادب اليونانى ، فذلك الحق الذى لا مرأى فيه . . . فهى على قلتها ، تقفنا على كثير من أعلام الميثولوجيا اليونانية ، وخصائص آلهتها وأنصاف آلهتها وعرائس غايبها وبنات مائها وسائر سكان ذلك

الاولمب العجيب ، بما كان يسيطر عليه فى عالم الخيال
من قبائل السنتور والاوزيانيد والنيريد ، مما يجده
القراء مبثوثا فى ثنايا هذا الكتاب ، تلك الاسماء التى
آثرنا منها ما هو أكثر شيوعا فى الادب الاوربى الحديث ،
الذى يؤثر الاسماء اليونانية أحيانا ، ويؤثر الاسماء
الرومانية أحيانا أخرى

فهذا الكتاب اذن هو مصباح لابد منه للتمتع بجنة
هوميروس ، وجنات الشعراء الافذاذ الذين جاءوا من
بعده ، فشادوا على بنيانه صرح ذلك الادب .. والنور
الذى يرسله هذا المصباح كفيل بتبديد ظلمات ذلك
التراث الذهنى القديم الذى أبدعته لنا شقيقتنا فى
ذكريات الماضى .. هيلاس المجيدة

درينى خشبة

بسيشيه وكيوبيد أروع قصص الحب فى التاريخ القديم



كان الليل الهادىء القمر أصفى من قلوب العذارى ،
وكان النسيم العليل الحلو يرفف كالأماني فى قلوب المحبين ،
وكان البدر العاشق المسهد يرسل القبل فتنبطع على
خدود الورد ، وتلثم أعواد الزنبق ، ثم تنتشر بالشذى
فتعطر أحلام المدنفين !

وكان كيوبيد الصغير يتميز من الغيظ حين انطلق
حاملا سهامه ليقتل بسيشيه ابنة الملك ، التى أهانت
بجمالها كبرياء أمه فينوس !

كان الناس يعبدون ربة الجمال والحب حتى ترعرعت
بسيشيه وتدفق ماء الشباب فى جسمها الريان ،
فهويت اليها نفوسهم ، وخفقت بحبها قلوبهم ، وآثروها
بعبادتهم من دون فينوس !

وكان للفتاة أختان حسناوان ، ذواتا دلال وفتون ،
ولكنهما كانتا مع ذلك دونها قسامة ووسامة وفتنة !
أجل ، كانتا دونها فتنة ، فلقد كانت العيون تغرق من
جمال بسيشيه فى لجة من الحسن الغامض ما لها من
قرار ، وكان غموض حسننها هو سر عبادة الناس لها ،
وافتنانهم بها ، وانصرافهم اليها عن كل ربات الجمال !

ودعت اليها ابنها ربة الحب ، فأثارت في قلبه
العداوة لهذه الغادة وجسمت له ما يحقق به وبأمله من
انصراف الناس عن عبادتها الى هذه المخلوقة التعسة :

أفرضيك يا بنى أن تكون من آلهة الاولب تكرتين
لا يخبث لهما شعب من العباد المخلصين ؟ أم يرضيك
أن يتغامز بى الآلهة كلما مررت بهم ، وهم كما تعلم
مغيظون منى ، فيقولون ها هى ذى فينوس التى أذلت
كبرياءها امرأة ، وصرفت الناس عن عبادتها عادة ؟
أذهب اذن فتربص لها ، وأنفذ الى أغوار قلبها سهمها
يودى بها الى «هيدز» ، وبئس القرار ! وانه لا ضير على أن
تهيم بها أرواح الموتى ، أو يفتتن بها بلوتو وملؤه ..

ومضى كيوييد الى قصر الملك فى طريق حفت بالورد :
وعبقت فيها أرواح البنفسج ، وتأرج النرجس الغض
واختلط كل أولئك بالقمراء الفضية فرققت من غيظ
الاله الاصفر ، وجعلته يحس الجنة التى يخطر فيها
ليقتل فتاة بريئة ، كل ذنبها جمالها ، وأقصى ما ارتكبته
من وزر أن بدت للناس فشغفوا بها ، وفنوا فيها ..

وكبرت فى قلب كيوييد أن تنتهى هذه الجنة الى جحيم
تعج بالجريمة ، وتفيض بالآلام فجلس تحت سوسنة
نامية يتأمل ، وكان ضوء القمر ينعكس على الازهار ثم
يرتد شعرا وسحرا وموسيقى صامتة ، تعزف الحانها
على أوتار قلبه الخفاق !

وصدح بلبل غرد فى هدأة الليل الفضى ، فانتفض الاله
الاصفر وحمل قوسه وسهامه ومضى .. لا يأبه بجمال
الطبيعة الساحرة ، ولا يأسر له هذا البهاء الذى يغمر
الكون حوله ، حتى كان عند أسوار القصر الملكى الراقدة
فى طوفان زاخر من أزهار الشبر والياسمين والبابونيا
وبرفتين من جناحيه الصغيرين كان فى حديقة القصر ..

ها هو ذا يصعد على الدرج الرخامى ، متبخترا ، دون
أن يلمحه الحرس ..

وانقتل فى بسيشيه النائمة ، واندس خلف الستائر
الحريرية يوتر القوس الذهبية وينتقى من كنانته سهمها
تقطر المنية من سنانه ، ويرقص الموت على شباته !
وتقدم نحو الفتاة ...

يا للجمال النائم فوق الاريقة ! ويا للفتنة العائمة ملء
السرير !

لقد كانت متجردة كلها ! وكان نهدها البارز المشمر
مجللا بشدين ناضجين يتحلبان لذادة ويلتهبان اغراء !!
ونامت هذه الذراع هنا ، واطمأنت تلك الذراع هناك ،
لدنتان وان كانتا كالمرمر ، رخصتان وان كانتا لتمثال
معبود !!

وكان السحر يهمهم فوق الساقين الملفوفتين ، ويهوم
من تحتهم ، كأنه يرقيهما من نفسه ، أو ينفث فيهما من
روحه ! ..

والرأس الصغير فوق الطنفسة الوردية ، رقد مستسلما
لاحلام الشباب الحلوة متلألئا فى شعاعة من ضوء القمر
سقطت عليه من النافذة القريبة ، رسولا من لدن ديانا (١)
البارة ، أقبل ليقول للاله الأصغر : « مكانك أيها الرامى
الحبيب ! ماذا جنى عليك هذا الحسن فتسلمه للردى ،
وتجرعه كأس المنون ؟ ! أفتح له ما انغلق من قلبك تنعم به ،
فانك لن تجد فى ربات الاولب من تخلص لك الحب كما
يخلصه لك هذا الهدف البرى .. ! »

وخطا كيوييد خطوتين ، وحملق فى وجه بسيشيه ..

(١) ديانا هى ربة القمر ، وهى التى اكتشفت كيوييد ، فأرسلت
الشعاعة فوق وجه الفتاة لانقاذها

وبهره الجبين المشرق ، والهدب الناعس ، وأخذ الاسيل .. وأخذ بلبه هذا الشعر العسجدي تفضض حواشيه أضواء القمر فتزیده بهاء ورونقا ، فألى لا يهدرن هذا الجمال البارع ، وأثنى مسلوب اللب ، مشدوه القلب ، موزع الفكر ، وانتزع السهم فألقى به في كنانته .. وقبل أن يخرج يده الصغيرة الناعمة ، شاء القدر أن يخذلها سهم ذهبي من سهام الحب ، ملأ كيويده هوى وأفعم قلبه صباية ، فتقدم نحو بسيشيه في خطى اللهفان ، يتزود لأوبته من جفنها النعسان وجمالها الفينان وطبع على الفم الدقيق قبلة دقيقة حلوة ، وعاد أدراجه عاشقا وامقا لا يبالي بسخط أمه فينوس !!

وانصدع عمود الليل ، وتنفس الصبح فهبت الأرواح النائمة ، وأقبلت فينوس ربة الحب لتسمع الى النادبات النائحات في قصر الملك .. بيد أنها ، بدلا من ذلك ، رأت بسيشيه ، بسيشيه بعينها ، تمرح في حدائق القصر ، وقد برزت عرائس الماء من الغدران الصافية تحييهـا وتغنى لها ، وتضفر لها أفواف الزهر .. !!

وحنقت ربة الجمال والحب ، ونادت بالويل والثبور على ولدها كيويده ، وأقسمت لتجعلن مباهج الحياة ووضاعتها ظلما في عيني الفتاة !!

فسلطت عليها الأشباح تروعا وتفرعا ، وأغرت بها بعض خفافيش سوداء جعلت تنوشها وتهاجمها ، وسخرت عليها ريح السموم تلفحها وتصهر روحها ، فانطلقت المسكينة مذعورة الى داخل القصر ، وطفقت تصرخ وتقول ، ولا يدري أحد لماذا تصرخ ابنة الملك وتقول .. وازدحم حولها أبواها وأخوتها والخدم والحشم ينظرون ويعجبون ولا يكادون يحIRON ..

ومضوا بها الى المعبد يستوحون الآلهة ، ولكنها ما كانت لتزداد الا شكاة وأشجانا !! وكرت الايام ...

وانسربت بسيشيه الى الجبل القريب المشرف على البحر ، وفي نفسها أن تلقى بحمل الحياة من شاهق ، فتستريح مما يطيف بها من آلام ! وراها كيويده ...

وظلت هي ترقب المرج الهائج ، وتشهد اليم المصطخب ، وتلقى على البطاح نظرة مودع عجلان ، وعلى المروج الأخضر تحية مأخوذ القلب أسوان ، ثم صرخت صرخة هائلة ، وألقت بنفسها من عل ..

وكان كيويده قد أحس بما تعتزمه حبيبته من الانتحار ، فدعا اليه صديقه ونجيه زفيروس ، اله الريح الجنوبية ، واطلعه على ما يكن من الحب . « لهذه الفتاة التي تكاد تلقى بنفسها من قنة الجبل يا صديقي زفيروس . فان رأيت أن تكون لك على هذه اليد ، أذكرها لك أبد الدهر ، فخذ أهدتك ، ولا تدعها تفوص في اليم ، بل تلقها في يدك الرفيقتين ، واذهب بها الى الجزيرة المقابلة حيث الشاطئ المنصور بالرياحين ، فدعها ثمة ، فقد أعددت لها مستراذا وملعبا .. »

ولشد ما دهشت بسيشيه اذ رأت طيفا نورانيا كريما يبرز من الماء فلجأة فيلتقطها في يديه الكريمتين ، ثم يترفق بها فيضعها على ظهره العريض الرحب ، كأنه أريكة من أرائك الجنة ، ويخوض بها اليم المضطرب فتغنو له الامواج ويسجد من تحته الشبح ، ويصير البحر في لمحة كأنه امرأة صافية ملساء ، كأنها السماء ..

ويصل الى الشاطئ المزدهر فيبسم للفتاة ثم يجيئها

بثمتمة ، وينطلق في البحر الذي يعود الى سابق اصطخابه
واضطرابه ..

وتجلس بسيشيه على الكلا فتفرك عينيها مما استولى
عليها من ذهول ، لتري هل هذا الذي هي فيه حلم أو هي
قد ماتت فعلا ولكنها دخلت الجنة ؟!

بيد أنها تذكر أن الارواح فقط هي التي تنفذ الى دار
الموتى ، وأنه ليس في دار الموتى شمس ولا ابناء ، وهي
تتحسس نفسها فتري جسمها البض الجميل كما هو لم
يتغير ، وهي ترى الى الشمس مشرقة تغمر بأرادهها البر
والبحر ، وتنشر أنوارها في الاكوان جميعا ..

اذن هي لم تمت ، وهذا الطيف الكريم الذي أنقذها من
الموت ، والذي ترفق فحملها الى تلك الجزيرة هو رسول
أحد الآلهة ، واذن فلتنهض ولتضرب في هذا الفردوس
المنعزل حتى يكون أمر غير هذا الامر ..

ومضت في غياض وأرباض ، ورأت في الافق القريب
قصرًا باذخا ذا شرفات وأخياد ، فيممت اليه ، وما كادت
تدنو منه حتى فتحت بوابة السور الكبرى على مصراعها ،
وامتدت منها أذرع نورانية تصافحها ، وانبرت أصوات
رقية موسيقية تحتفي بها وتحيي وتبهي ! ..

وفركت بسيشيه عينيها كذلك !

وظنت أنها تحلم ، ولكن كل شيء حولها كان يحدثها
أنها ترى رؤية حقيقية لا رؤيا منامية .. فدخلت القصر ،
وفي نفسها من الحيرة وشدة العجب ما أخذ يتضاعف في
كل خطوة ويزداد ..

وحاولت أن ترى أحدا ممن لهم هذا الصوت البرقيق ..
ولكن عبثا .. ليس هناك الا أذرع من نور تمتد اليها

محتفية بها ، تقودها الى المخدع الوثير الذي أعدته العناية
لها ..

ودار الحديث بينها وبين طيف لا تراه :

- ويدهشني أنكم تحتفون بي . وتبـالفون في
اكرامي ، وأنا لا أرى منكم أحدا ، فهل كلكم يلبس
قلنسوة هرمز ؟ (١)

- كلا أيتها العزيزة ، ولكننا أمرنا ألا تنكشف لك ..

- ومن الذي أصدر اليكم هذا الامر ؟

- ونهينا ايضا عن ذكر اسمه ..

- أنتم كرام ولكنكم تضايقونني الى حد الازعاج ..

- « ليفرخ روعك أيتها العزيزة ، ففي المساء ، تلقين
الأمر الكريم صاحب هذا القصر ، وصاحب القصور
الكثيرة في أطراف الارض

- وهل لي أن أجول جولة في قصركم المنيف عسى أن
تذهب هذه الوحشة الجاثمة على قلبي .. ؟

- ولم لا ؟ .. بسيشيه العزيزة !

- بسيشيه ؟ .. ومن أنبأكم باسمي ؟

- رب هذا القصر أيتها العزيزة ..

وجاءت الفتاة في القصر الجميل المنسق ، وكان مشار
عجبها هذه الصور البارة المرسومة على الجدران ، كلما
وقفت عند واحدة دبت فيها الحياة ، وتحركت على الجائط
متهللة مستبشرة ، محيية بابتسامة خفيفة ، أو انحناءة
مؤدبة .. !!

وكانت التماثيل في زوايا الغرف ، وأوساط
الردهات ، وفي حنايا الحديقة ، وفوق الرابي المكسوة

(١) قلنسوة هرمز (طاقية) الاخفاء

بالسندس الرطب ، تحيي الضيفة ، كأن حياة تدب في
مرمرها كلما وقع بصر بسيشيه عليها فتتحرك الاذرع ،
وتوميء الرؤوس ، وتمر الفتاة وقد أخذ الدهش من
نفسها كل مأخذ ..

وكانت العنادل تهتف بها ترجوها ان تتلبث فتسمعها
أنشودة الخلد ، ولولا العجلة لوقفت بسيشيه عند كل
منها حتى ينتهي من غناؤه الحلو ، وتفريده الرنان
وعادت الى المخدع مع مغيب الشمس

قلما كان الغسق (١) سمعت الى الباب ينفتح ، ويدخل
فتي خفيف الخطى ، ويقبل عليها فيحيي أحسن تحية
بأرق صوت ، ثم يستأذن فيجلس الى جانبها

وكان الظلام شاملا ، فلم تستطع بسيشية ان تبين
وجه الجالس اليها أو خلقه ، ولكنها كانت تسمع الى
موسيقى تمتزج بصوته الحنون ، وكانت تحس كأن
عبرات تكاد تخنقه ، لانه يريد أن يبوح بشيء يمنع
الخجل من البوح به .. واقترب منها ..

وأخذا في حديث شهى ، ولكن الحياء كان لا يزال
يعقد لسانيهما ..

واقترب منها حتى تماسست الاجسام المرتجفة

وأخذ الحبيب يد حبيبته بين كفيه ، فانتقلت الحرارة
من هنا الى هنا ، ثم دنا القم من القم ، واستراح الخد
على الخد ، وبدأ طوفان من القبل ..

وتمتم كل من الحبيين بهـ هذه الكلمة السـماوية
الخالدة :

(١) الغسق أول ظلمة الليل

- .. أنا .. أحبك ..

- كأنك أنت أيها الحبيب الصغير الذي أنقذتني من براثن
الموت !

- أجل يا منية النفس ، ورجية القلب ، بمعونة الاله
الرفيق زفيروس

- أفأنت اله اذن ؟

- لا أستطيع أن أذكر لك من ذلك الآن شيئا ..

- اذن ما اسمك ؟

- ولا هذا أيضا !

- أحب أن أراك ، فهل تأذن بايقاد المصباح ؟

- اذا حاولت أن ترينى ، كان فراق بينى وبينك !!

- أنت تزعجنى ..

- ولم أزعجك ؟ .. ألسنت قد أنقذتك من الموت ،
وأسكنتك هذا القصر المنيف ، ولست آمن عليك !

- برغم هذا فانك تزعجنى ..

- هاتى قبلة .. ودعى هذا الحديث الشاجن ..

- « .. ؟ .. »

وظل يزورها كلما أقبل الليل ، فيمكث معها حتى
مطلع الفجر آخذين في عناق وقبل ، وحديث الذ من قطع
الروض ، وأروح من رفيف النسيم ، ثم يفصل (١) على أن
يعود لميعاده من اليوم التالى .. وبسيشيه راضية قانعة ،
لا يضيرها ألا تعرف من هذا الحبيب الوفى .. ولا ما يكون
اسمه ..

(١) يمضى

وذهبت تنشق أنفاس البحر فوق الشاطئ الطويل
المزهر فلقيت أختيها فجأة تخرجان من زورق جميل ،
فتعانقهما عنقا حارا ، ويغمرها للمقائهما فرح كبير ،
وتعود بهما الى القصر ، وتطوف معهما حدائقه وغرفاته ،
وتقف عند الصور والتمائيل ونافورات الزئبق ، وتدخلهما
« هيكल الحب » كما اتفقت وحبيبيها على أن يسميا المخدع
ثم تقص عليهما قصتها منذ اعتزامها الانتحار الى أن
تلقاهما ..

وتكون الغيرة قد أنشبت أظفارها في فؤادي الفتاتين ،
ويكون الحسد قد شاع في نفسيهما الخبيثتين ، فتضمران
لها الشر المستطير

- ولكن كيف تطمئنن الى هذا الحبيب يا أختاه ؟
ألا تخافين أن يكون غولا أو هولة أو سعادة ؟ لماذا إذن
يأبى عليك أن تنظري اليه ؟ أليس يخشى أن تفرغى منه
إذا رأيته على حقيقته ؟ أيغرك منه كلامه الناعم الموشى ؟
لا يا أختاه ! نحن نخشى أن يجفوك يوما فيقتلك ..
لابد أن تأخذى حذرك منه ! ولا بد أن تنتهزى فرصة يكون
غارقا في نوم عميق فتوقدى المصباح وتنظري اليه ، فإن
كان وحشا أو هولة ، فاليك هذا الخنجر المرفف فاغمديه
في قلبه واستريحى منه ، وعودى معنا الى أبينا الملك فإنه
جد مشتاق اليك ..

ودفعنا اليها الخنجر المسمم بفلهما ، وولتا عنهما
تختبئان في أجمة دانية ..

وفعل كلامهما في قلب أختيها فعلة ، فلما كان الليل ،
وغفا الحبيب الصغير مما ألم به من سكرة الحب ، نهضت
بسيشيه الى مصباحها فأوقدته ، والى الخنجر فشرعته ،
وذهبت تنظر الى العاشق البريء ..

فماذا رأت ؟

أجمل مخلوق على وجهك أيتها الارض ! ..
لقد كان نائما حالما ، فيه دعة وفيه فتون .. وملا
الفتاة حبا .. واهتز المصباح في يدها .. فسقطت نقطة
من الزيت المشتعل على ذراع الحبيب فأيقظته .. وفتح
عينيه .. فراهى الى الخنجر المرفف في يمين بسيشيه ..
يا للهول .. !!

لقد قفز الحبيب قفزة هائلة ، ورف بجناحيه الصغيرين
وقال : « بسيشيه ! يا شقية .. وداعا .. فلن نلتقى
بعد اليوم ! »

وشاعت الحسرة في قلب الفتاة فسقطت على الاركة من
الجزع والاعياء ..

ما كاد كيوبيد يرف بجناحيه فيغادر القصر حتى امتلا
المخدع أرواحا شريرة طفقت تهاجم نفس بسيشيه في شدة
وعنف ، وكلما نظرت هنا أو هناك رأت أفعوانات هائلة
تنفث الموت الاسود من أنيابها البارزة الحوانى ، ثم
أحسست كأن القصر يرتجف ويميد ، ويكاد ينقض ،
فهرعت الى الخارج مهرولة ، وهزعت في اثرها المخاوف
والاشجان ، يحدوها الذعر والفرع الشديد

ونظرت في السماء فلم تجد قمرها المنشود تبته وتشكو
اليه ، بل وجدت سحبا قاتمة في المشرق والمغربين ،
والودق يخرج من بينها كما تخرج الزفرة من صدر
مكروب ! وبدأت العاصفة الهوجاء تزلزل الجزيرة وتميد
بالدوح وترفع شياطين الموج فتجرف العامر واليباب !

وأخذت الرياح الهوج تلاحق الفتاة حيثما ذهبت ،
وترجم وجهها الكاسف المفضن بجمرات البرد أيان ولت
ووهنت أعصابها فراحت تصيح فوق الشاطئ كالذي
يتخطفه الشيطان من المس ، فلما لم يلب نداءها أحد ،
أنشئت نحو القصر ، وطوفت بالأسوار تتفقد الباب الكبير
الضخم .. ولكن .. هيهات ! لقد كان السور كتلة واحدة
ليس بها منفذ ، ولم يكن غارقا هذه المرة في الطوفان الزاخر
من أزهار الشيبير والياسمين والبابونيا ، وكان عاليا على
غير عهدا به ، حتى يكاد يستتر وراءه القصر الباذخ ،
فلما استيأست من الدخول ، وشعرت بقلبهما يتحطم ،
وبنفسها تذهب شعاعا ، استلقت على الكلا ، واستسلمت
لنوم ممتلىء بالاشباح

وأشرقت الشمس فاستيقظت بسيشيه ، وتافتت
حولها فلم تر السور ولم تجد القصر ، وفركت عينيها
تخال أنها تحلم ، ولكنها ترى الجزيرة جرداء إلا من شجرات
قليلة من الشاهبلوط ، وإلا من غدير صغير به بقية غير
مباركة من الماء النمر ..

ويكون صوابها قد تاب إليها ، فتيمم شطر الشاطئ
تتفقد وروده ورياحينه ، ولكنها لا تجد إلا آفا من
السرطين الميتة لفظها البحر بفعل العاصفة ، وإلا أكواما
من الودع والمحار تجلج كتيبان الرمال الممتدة فوق
الجزيرة ، كأنها قوافل من الام بسيشيه وأشجانها !
« ويلاه ! .. »

« لقد حملت إليك أيتها الجنة الصغيرة وبردك برد
الشباب ، وريعانك ريعان الصبي ، وفي أعطافك تنهل سلافة
الحب ، وتحت شطآنك ترقص عرائس الماء ، وفي غدرانك
تترقرق أمواه الهوى ، وكل ما فيك تدب فيه الحياة ناضرة

« أفهكذا يذبل شبابك ، ويذوى ريعانك ، ويفيض
حبك وتقف شطآنك ، فليس يرف فوقك إلا هامة ، ولا
يهتف فيك إلا صدى ، ولا تهب ريحك إلا كأنفاس الجحيم !
« ويلاه ! .. »

« لقد كنت أفرك عيني أحسبني منك أيتها الجنة في
حلم فالآن أفرك عيني أرى هل أنا من خرابك اليوم في
حلم ؟ ! »

« لقد نعمت بالحب فوقك أيتها الجزيرة ، فلماذا لقيت
أختي ؟ ! أين ذهبتا ؟ ! أحسبهما ذعرتا من العاصفة ،
وفزعتا من الزلزال ، ففرتا .. فصبر جميل ! »

هكذا ظلت تبكي بسيشيه ، وهكذا غبرت بها الأيام
فوق الجزيرة تنتظر أوبة حبيبها . ولكن . بلا جدوى !
وكانت تأكل ثمرات من الكستناء تذهب بها سغبها ،
وترشف من بقية الماء في الغدير رشقات تبل بها أرواحها ، ثم
تعدو في الجزيرة باحثة عن .. لا شيء !

ووقفت يوما عند ضفاف الغدير ترتوي ، فما شدها
إلا أن ترى الماء يزداد ويزداد ، والغدير يتسع ويتسع ،
حتى تكون على عدوة نهر عظيم دافق ، تزخر أمواجه
وتجرجر أواذيه . ويبدو لها أن تلقى بنفسها في أعماقه ،
لأنها لم تعد تحتل هذا الالم المتصل والشجن الطويل
الممض ... وأنها لتنظر إلى الماء فيجيش قلبها
بالذكريات ، وتفيض عيناها بالدمع ، ويشحب جبينها
الكاسف الحزين ، ثم يتأود غصنها اليابس الهش ، فتشدر
إلى اليم ، وتلقفها اللجة

ولكن رب النهر الذي كان واقفا يسمع ويرى يسرع
إلى الفتاة فينتشلها ، ويصيح ببنااته عرائس الماء فيأتين

من كل فج ، ويترفق باللاجئة الشقية فيواسيها بكلمات
تقطر حنانا وتفيض رحمة ، ثم يتركها لبناته يداعبها
ويلاعبها ..

وتأنس بسيشيه الى العرائس الحلوة ، ولا يخجلها أن
تأخذ معهن في حديث حبها ، فاذا سألنها عن صفة حبيبها ،
قالت : « كان صغيرا كالطفل الا حين يكون في ذراعى ،
مسندا رأسه على صدرى ، فيكون اذ ذاك أكبر من الدنيا
بما فيها من مباهج ومفاتن . وكان طيب الانفاس ، فما
قبلنى أو قبلته الا شممت عبق الورد في فمه ، وأرج
البنفسج في خده . وكان اذا عانقنى أو عانقته ، تحسست
له جناحين على ظهره ، صغيرين ناعمين ، فاذا ساءلته
عنهما ، أنكر على وصرفنى برفق ودعة عن الحديث عنهما ،
فأخذ في أمور آخر . وكان يحمل قوسا من ذهب ماتفارقه ،
وكناتين من حرير فيهما سهام من رصاص وذهب . .
وما دهانى في الليلة المشؤومة الا أن أراه يثب من النافذة ،
فيحلق في كبد السماء كأن له قصرا فيها . . فبحق زيوس
عليكن يا عرائس الا ما أعلمتننى من هذا الحبيب ، فأنتن
بنات اله مبارك ، ولا بد أن يعرف أبوك من أمره كل
شئ .. »

وصمت بسيشيه ، ونظرت الى العرائس فرائهن
يحدجنها بنظرات دهشة حائرة ، ثم يتهاמשن ، ثم لا يحرن
جوابا ، فقالت لهن :

« أنتن تزعجننى يا عرائس ، فهل هكذا يستقبل الضيف
لديكن ؟ »

فقالت كبراهن : « لا عليك يا فتاة ، ولكنك كنت أتعس
مخلوقة على وجه الارض حين عصيت امر كيوبيد ! »

— كيوبيد !؟ .. ومن كيوبيد تعنين ؟!

— « كيوبيد بن فينوس ، فهو هذا الذى كان يهواك
وكنت تهوين !؟ »

— « كيوبيد الاله ! كيوبيد حبيبى ! يا ويح لى .. لا بد
أن يعود لى الهى الجميل الحبيب .. لن تحلو لى الحياة
بدونك يا كيوبيد .. »

هامت بسيشيه على وجهها فى أقصى الارض ، وكلما
مرت بروضة أو غيضة ، وكلما وقفت عند ضفاف نهر
أو ألت بحفاى غدير ، برزت لها عرائس الماء فشكت اليهن ،
وسألتهن ان كن يعرفن أين يأوى كيوبيد ؟ وقالت لها
عروس :

— « أترين يا فتاة الى هذا الجبل البعيد الذى يحمل
السماء بروقيه ؟ اذا كنت عنده فتلبثنى حتى يعود بان (١)
من صيده فتعلقى به ، واذرفى من دموعك تحت قدميه
فاذا هش لك وبش ، فاذكرى له حاجتك يقضها لك .
أو يدلك على من عنده قضاؤها »

— ومن عسى أن يكون بان يا أختاه ؟

— « رب المراعى ، واله الصيد ، وحامى القنص . ألم
تقربى له ؟ ألم يفعل أبواك ؟ »
— « بل فعلنا .. »

ونهدت الى الجبل وكأنما بها مس من الجنون ، وجعلت
تطوف به حتى مالت الشمس الى الغروب ، فرأت (بان)
قادما يدب بحافريه ، ويردد فى الاكام ناظريه ، فلما لمحها
أقبل عليها دهشا متعجبا ، ثم أخذ يتفرس فيها كأنما بهره
حسنها ، وسباه منظرها ..

وشكت اليه ، فما هالها منه الا قوله : « تعسة ! أنت
غريمة فينوس ! » فقالت ، وفى عينيها دموع تخنق منظرها :

(١) ورد ذكره فى بعض الاساطير باسم كونستيس . ولا يزال الرعاة
الانجليز يتفنون بحاميهم بان الى اليوم

« غريمة فينوس ؟ ومالى انا ولفينوس » فقال بان : « جمالك هذا جنى عليك .. لقد صرف الناس عن ربة الجمال والحب الى عبادتك انت أيتها الشقية ، ولذلك حنقت عليك ، وأصابك من الاذى ما أصابك .. اسمعى يا فتاة .. لقد مررت اليوم بربة الخيرات ديميتير ، هل تعرفينها ؟ ام برسفونيه ، فتاة الربيع التى خطفها أخى بلوتو لتؤنسه فى هيدز ! مررت بها فسمعتها تتحدث عن كيوييد وهيامه بك ! بك انت ! أليس اسمك بسيشيه ؟ »

— « .. ؟ .. » —

— « تحملى اليها اذن . انها ليست بعيدة من هنا . انها شفيقة رفيقة ، وهى تترى لامثالك من العاشقات الوامقات ، تحدثنى اليها عن كيوييد واستمعى الى ما تقوله لك وتشير به عليك .. أترين الى هذه الغابة الملتفة الوارفة ؟ انها هناك تنتظر ابنتها فى أوبتها من هيدز » وعجلت الى الغابة ، ولقيت ديميتير الطيبة الوقور : فأنحت تحيها ، وما كادت تسرد شكاتها حتى انهمر الدمع من عينيها الحزينتين ، وتخاذلت فخرت مغشياً عليها ، وتقدمت ربة الخير فباركت الفتاة ، وطفقت ترش على وجهها الماء من غدير قريب ، فكان الزهر ينبت حول بسيشيه كلما انتشرت قطرات على الارض ، فلما أفاقت ، بهرها هذا السرير الربيعى من منصور الورد يحف بها ، ويحنو عليها ..

وبسمت ديميتير ، وواست الفتاة الوالهة وأنستها ، ثم ذكرت لها انها رأت كيوييد بكرة ذلك اليوم ، وفى كتفه جرح دام أحدثته فيه أمه فينوس ، لماذا ؟ لايدرى أحد ! — « .. فاذا كان لابد لك من لقاء كيوييد ، فاذهبى الى فينوس وتبتلى اليها ، وادخلى فى خدمها وحشمها ، وأثبتى لها بتفانيك فى طاعتها أنك من عبادها المخلصين ، عسى

يا بنية ان ترضى عنك ، ويذهب عنك هذا الحزن .. » ثم قادتها الى قصر فينوس ، وزودتها بما ينبغى لها من النصح ، وعادت الى غابتها الوارفة تنتظر برسفونيه وبرهنت بسيشيه على حسن اخلاصها وجميل توبها ، وكانت ربة الحسن تسخرها فيما لا طاقة لبشر به ، فكانت تقوم بما تكلف به وتؤديه خير الاداء

وأعجب ما حدث لها من ذلك ان أمرتها فينوس بالتوجه الى هيدز - دار الموتى - واقتحامها ، ثم لقاء برسفونيه ، ربة الربيع ، وزوج بلوتو ، وسؤالها صندوق الطبيب الذى تدهن منه العجوز الشمطاء ، فيرثد اليها صباها ، ويتدفق ماء الشباب فى أعطافها ، وتعود كما كانت ، شرخ صبى ، وعنفوان شباب !

وأسقط فى يد بسيشيه ! ولم تدر كيف السبيل الى هيدز ! ولكنها حين ذكرت برسفونيه ، بدأ لها أن تذهب فتستشير أمها ديميتير عسى أن ترشدها أو تزودها خالص نصيحتها . فذهبت الى الغابة ، ولقيت لحسن حظها ديميتير تودع ابنتها ، لتعود أدراجها الى هيدز ، اذ كان الربيع الحلو قد صوح ، وأزف الشتاء ببرده وزمهريره (١) وهشت لها ديميتير ، وعقدت بينها وبين ابنتها أواصر الصداقة ، ولما حان موعد الافتراق ، أبدت بسيشيه رغبته فى أن تصحب ربة الربيع لتؤنسه فى ظلمات دار الفناء ، فلم تعارض الفتاة ، بل أذنت لها راضية (٢)

وسارا بين صفين من أرواح الموتى تغنى وتنشد .. وتبكي !!

وكم كان عجب بلوتو شديدا حين لمح الفتاة الرشيقه

(١) الربيع والصيف فصل واحد والشتاء والخريف كذلك
(٢) فى بعض المصادر أن زفيروس هو الذى قاد الفتاة الى هيدز

الهيفاء تسير الى جانب زوجته ، وبلغ به التأثير مبلغه ،
فغادر لهما غرفة العرش المظلمة ..

وتلطفت ببيشيه فسألت مليكة هيدز صندوق الطيب
الشمين ، فوجمت برسفونيه ، وكانت على وشك أن ترفض
هذا الطلب ، لولا أن ذكرت الفتاة أن فينوس هي التي
أرسلتها لتطلبه وتجيئها به . فنهضت برسفونيه الى دولاب
قريب ، وعادت بالصندوق ، ترتجف به يدها العاجية
الجميلة ، وقدمته للفتاة وهي تقول :

« لا تفتحيه .. لا تفتحيه أيتها الصغيرة ! »

واستأذنت ببيشيه ، وعادت أدراجها الى .. هذه
الدار الاولى ..

وفي طريقها الى قصر فينوس ، ذكرت كلمات ربة الجمال
عما يحتويه الصندوق من دهان يرد القليل منه جمال
الشباب وريعان الصبي .. وذكرت كذلك تلك الليالي
الطوال التي ظلت فيها مسهدة العينين تبكي كيوبيد وتحن
اليه ، حتى شفاها الوجد ، وأوهنها السقم ، وبرح بها
الهيام الشديد ، فتحدثت الى نفسها تقول : « فلم لا أدهن
بقليل منه وجهي وبشرتي ؟ ولم لا أرتد جميلة كما كنت .
مادمت أطمع في لقاء كيوبيد ؟ ان ربة هيدز حذرتني من
فتح الصندوق ، لا أدري لماذا ؟ فإذا كان مابه شر ، فلم
تريده فينوس الجميلة ؟ لا .. لابد أن أتطيب به ، وليكن
بعدها ما يكون ! »

وداعبت أناملها الصندوق ففتحته .. ولكن ..
واأسفاه ! لم يكن به غير هذا الروح الشرير المنكر .. روح
النوم .. ولقد وثب في وجه ببيشيه فحلق في عينيها
الزرقاوين الصافيتين ، ثم ما هي الا لحظة حتى انكفأت
المسكينة على الحشيش المندى تفت في نوم عميق !

وكان كيوبيد يتنزه في الحدائق المجاورة ، فما ذهاه الا
أن يرى ملاكه المحبوب ممددا على الكلا ، وصدره يعالو
ويهبط ، كأن كابوسا مستقر عليه

ودنا اله الحب من ببيشيه ، وسرعان ما هاجت به
ذكريات غرامه الاول ، وثار في قلبه الحنين الى الليالي
المقمرة التي كان يقضيها الى جانب الرشا الفير ، الذي
يترنح أمامه في قبضة الروح الشرير .. روح النوم !

ونظر كيوبيد بعينه السحريتين ، فرأى الروح يصارع
ببيشيه صراعا هائلا .. فثارت فيه نخوة الوفاء ، وأنفذ
الى العدو سهامها متتابعة متلاحقة ، حتى قهره ، واضطره
الى العودة من جديد الى الصندوق الصغير ، وما كاد
يستقر فيه حتى أغلقه عليه ، ودفنه في غور من الارض

ثم تقدم الى حبيبته ، وطفق يروح على وجهها ، ثم
أيقظها بقبلة اهتز لها الروض ، وطرب الورد ، وشاعت في
الطبيعة الضاحكة أسرا وسحرا !

« أختاه ! انهضي ! انظري الى ! هاذا كيوبيد ! هلمى فلن
نفترق بعد اليوم ! »

وأغذا السير ، حتى اذا كانا في دولة الاولمب صاح كيوبيد
في معشر الآلهة : « أن اشهدوا أيها الارباب ، لقد اخترت
ببيشيه الجميلة زوجة لي مباركة .. » وطرب الآلهة ،
وأقيم المهرجان الفخم ، ورقصت ديانة ربة القمر ، وعزف
أبوللو موسيقاه ، ورسمت ببيشيه ربة الروح الخالدة
التي تفنى .. ومنذ ذلك اليوم وهي ترف بأجنحة
فراشة جميلة في جنة الاولمب ، والى جنبها حبيبها كيوبيد

إيخو ونركيسوس

(الفاتنة التي أصابها البكم،
والجمل الذي عشق صورته)



كان زيوس - كبير آلهة اليونان - يتعشق فتاة حلوة
الدل ، بارعة الحسن ، رقيقة السمائل ، تدعى يو . وكان ،
برغم زواجه الخمس أو الست ، يختلف إلى حبيبته في
الخلصة بعد الخلصة ، يؤانسها ويسامرها وتؤانسـه
وتسامره ، ويبل فمه الظامىء من ثغرها الراوى بقبلة ..
أو رشفة ..

وكانت أولى زوجاته (حيرا) هى التى تزوجه بما تبث
حوله من الرقباء وتنشر من الجواسيس ، يحملون إليها
كل حركة من حركاته . وكان هو يضيق بكل ذلك ، ولكنه
لا يستطيع إلا أن يداهن ويداهن .. ويبالغ في المداهنة ،
لشدة شغفه بحيرا ، ولأنه يحس في الخضوع لها لذة
أولبية لا تعدلها لذة .. إلا لذة تدليله لحبيبته يو
وكما كانت حيرا تمكر مكرها في كل حين ، كذلك كان
الاله يمكر مكره .!

أراد أن يشغلها عنه بملهاة تذهب من وقتها كل يوم

(*) أثرتا عدم ترجمة إيخو - أو اكو - بما يرادفها في العربية
وهى لفظة (صدى) لأن التسمية يونانية وقد نقلها الرومان عنهم ثم ذاعت
في كل اللغات وكذلك أثبتت لفظة نركيسوس (نرجس) ليونانيته أيضا

بساعات يقضيها في أحلامه الغرامية بين يدى يو ، ملتذا
قوامها الخصب ، مستمتعا بجمالها الفينان ، سابحا في
هذه اللجة المترعة بالمفائن ، في كل جارحة من جسمها
المشوق ..

وقد سنحت له الحيلة ..

حدثها عن فتاة ناضرة الشباب ، ريانة الالهاب ، عذبة
اللسان ، وقادة الجنان ، تعرف من قصص الحياة وأنباء
الدنيا ما لم يتيسر بعضه للآلهة أنفسهم ! وكانت حيرا ،
ككل الانثيات ، مولعة بالثرثرة ، مشفوفة بالمعرفة ، تبغض
الصمت وتغرم بالكلام الطويل الموشى . وهى مع ذلك
طلعة ، بقدر ما هى أذن ، تتكلم كثيرا ، وتثرثر كثيرا ، وتسمع
كثيرا ..

وانطلقت إلى الفتاة ، فشغفت بها لأول لقاء ، ووجدتها
كما حدث زوجها فياضة القول غزيرة القصص ، تتدفق
في حديثها تدفق الخمر في الكأس ، حتى إذا استقرت
في مكانها من الجسم ، شاعت حمياها فيه ، فأطربت ،
وأرقصت ، كأنها عصرت من حديث هذه الفتاة !

ثم جعلت تتردد عليها ، وما تكاد الفتاة تفرغ من إحدى
قصصها العجيبة حتى تأخذ في أعجب منها وأغرب ، وهى
بين الآونة والأخرى ما تنى تنمق حديثها بالنكات البارعة ،
والملمح الرائعة ، مرسله المثل في مقامه ، والحكمة في
موضعها ، في غير كلفة أو عناء ، ثم هى كانت رقيقة دقيقة ،
لا تمل السامع ولا ترهق الناظر . وكانت تقبل على سمارها
وكأنها تختص كلا منهم بقلبها ، وكأنها تلقى إلى كل منهم
بقرارة نفسها ، حتى ليحسبها كل له وحده بما يحسبه
تؤثره به من عطف ، وتغمره من ود ، وترجى إليه من
محبة ..

وكانت حيلة صائبة من زيوس ، شغل بها حيرا طويلا ،
ليفرغ هو الى يو . . . فيا للآلهة !!

ولكنها شعرت من زوجها لفحة الصد ، وأحست فيه
انقباضا وجفوة ، فوقر في نفسها ان لابد من أمر ، وان
هناك سرا أى سر ، قالت لتكشفن ما تغفلها فيه

وبشت عيونها ، وأرسلت أرسادها ، حتى استوثقت مما
كان بينه وبين يو ، وأدركت انه قصد الى الهائها بهذه
القصاصه الخبيثة ليفرغ هو الى لباناته وأوطاره !

ولا ندرى ما ذنب الفتاة التى ملأت أذنى حيرا سحرا ،
ونفثت فيهما موسيقى وألحانا ؟ لقد ظلمتها زوجة الاله
الاكبر ، التى تحمل بالباطل لقب حامية النساء وحافظة
الاجنة ، حين أقسمت لتسلبنها الطلاق والذلاقة ، ثم
لتسلطن على لسانها العى والحصر يشقيانها ويعذبانها !

لقد كان كل ما اتهمت الفتاة به أنها كانت سببا في تمادى
زوجها فى غى حبه ، وإبعاده فى ضلالة هواه فنفثت فى
عقد سحرها ، ثم قصدت الى الفتاة المسكينة فنهرتها .
وارسلت عليها شواظا من غضبها ، وقذفتها برقية من
رقاها المهلكة ، لم تستطع بعدها ان تلجج لسانها بكلمة
واحدة تفرج بها عما فى نفسها . . .

وقهقهت حيرا حين حاولت الفتاة أن تتكلم فلم تستطع ،
ثم شاءت الخبيثة أن تظهر آية أخرى من آيات غدرها ،
فقالت ، بعد أن نفثت نفثة ثانية : « أنا أسمىك ايخو ،
وأمن عليك فأطلق لسانك باللفظة المفردة ترسلينها فى ذيل
كل كلام تسمعين . . . اللفظة الاخيرة فحسب يا ايخو . . . »
فرددت الفتاة المسكينة : « ايخو !! »

أما يو ، فقد نفذت اليها حيرا وصبت عليها من جام
سحرها ما تحولت به الى بقرة صفراء فاقع لونها . .

ثسوء الناظرين . ولهذا حديث طويل مشج ندعه الآن ،
لنرى ما كان من أمر ايخو . .

دهشت الفتاة لبيانها اين ذهب ، ولصوتها الجميل
الين ولى ، وللرخامة الفضية التى كانت تترقرق من فمها
الشيتيت كيف ضاعمت ، ولهذا السحر الدنىء كيف قضى
على أولئك جميعا ؟!

لقد بكت كثيرا ، وتوسلت الى الآلهة ، ولكن . . . اين
الآلهة ؟ لقد تصاموا جميعا ، لان حيرا هى القاضية ، ولانهم
يشفقون ان تفسد أسباب السماء كما أفسدت
الأرض على عرائس البحر !

وأطلقت ساقبها للريح ، فيممت شطر غابة ذات ماء
وذات افياء ، ثم انها اتخذت لها مأوى فى أصل سندية
ضخمة الجذع ، معروشة الفروع وارفة الافنان ، وأقامت
ثمة تجتر أحزانها وتسعر اشجانها ، وتقابل بين ماضيها
السعيد وحاضرها الشقى ، وتسكب بين هذا وذاك دموعا
ساخنات وعبرات غاليات ! وبينما هى سادرة فى كهفها ،
مستغرقة فيما آل اليه أمرها اذا بصحب يافع من الشباب
اليانع يمرون ببابها ، من دون أن يروها ، وهم يتحدثون
أحاديث الصبى ، ويتسامرون سمر الفتوة ، ناعمين بأشهى
مناعم الحياة

وظلت ترقبهم وتستذكر أيامها الخوالى ، اذ الشمل
مجتمع ، والرواد محذقون ، مرهفة آذانهم ، شاخصة
ابصارهم ، فاهتزت هزة المحموم بالشجن ، المروع
بالشجن !

واظلت من كناسها ، فرأت الغلام الاغريقى المشهور ،
« نركيسوس » الذى دله الآلهة بجماله ، وتام عذارى أثينا
بنضارته واشراقه . وأنه يتخلف عن أصحابه ، مأخوذا

بجمال ثرجسة حلوة اقتطفها من غصنها المياس وفننتها
المياذ ، ثم وقف يحدق فيها بعينيه المعسولتين ، اللتين
لونتها شمس الجنوب بهذه الصبغة السحارة ، وكنمت
ملأهما يعاسيب الفتنة ، تنتشر منهما في دنيا القلوب !
والسبيل في القاب ملتوية متداخلة ... تيه يضل فيه
العابر ، ويباب أخضر لا يهتدى فيه السائر ، هنا منعرج
لا يصل منه الانسان الى أمن ، وهناك منحني لا ينتهي الى
سلام . ولقد مضى الدليل مع الصحاب ، ولبت نركيسوس
وحده ، يضرب اخماسا لاسداس

ولم تستطع أيخو حين أبصرت به أن تفلت من هذا
الشرك المنتشر حوله ، تعلق بخيوطه السحرية القلوب
والالباب .. فأحبه بكل قلبها ، وأرسلت في نظراتها
اليه نفسها تتمرغ تحت قدميه ، وتهمهم بين قدميه ،
كانها خلقت له .. لا لها !

ولكن كيف السبيل الى التعبير عن هذا الهوى المالح ،
والحب المخامر ، ولسانها في عقال الا من المقطع الاخير ،
ينطلق في اثر الحديث ، او اللفظة المفردة تردفها بصياح
كل صائح ، وهتاف كل هاتف ؟!

وراحت تقتفى أثره ، من غير أن تشعر هي ، ودون أن
يشعر هو ! وتقص خطاه وهي لا تعي ما تفعل ، وهو لا يدري
كذلك ، فكان دببها كدبيب القطا ، أو كوثب الضفادع .
على أن حركة غير مقصودة أتت بها أيخو جعلته يعتقد أن
أحدا من سكان الغابة يتبعه ، فصاح قائلا :

« من ؟ ... »

فرددت المسكينة نداءه : « من ؟ ... »

فقال : « هل من أحد هنا ... ؟ »

وارسل هذا السؤال في رعب خفيف ، فرددت أيخو
اللفظة الاخيرة : « هنا ... »

فبهت نركيسوس ، وقال ، وقد خال المتكلم امرأة :
« هلمى يا فتاة .. هلمى .. »

فرددت أيخو اللفظة الاخيرة .. « هلمى .. »

فزادت حيرته ، وتضاعف خباله .. وقال :

« لم لا تأتين الى ، وليس هنا أحد يرى ؟ ولا انسان
يشهد ؟ »

فثار كامن الهوى في نفس أيخو ، ونطقت اللفظة الاخيرة :
« يشهد ؟ » بكل ما تركت لها حيرا في قرارة لسانها
من رنين فضي ، وجرس جميل ... »

وعاد نركيسوس يقول : « يا فتاة ! ليت شعري ما
يحجزك ؟ أين أنت ان كنت هكذا تستحيين ؟ تعالى .. »

وكان أيخو أدركت ان الفرصة سانحة للقاء هذا الحبيب
الطارىء ، فبرزت من مكمنها في غير هيبة ولا وجل ،
وقصدت اليه تعرض حبها ولظى جواها ، ولما لم يكن
في مكنتها أن تخاطبه ، لتكشف له عما تضرع من هيام
به ، ومحبة له ، بدا لها أن تشب الى حيث هو فتعانقه ،
وتضم صدره الى صدرها ، لبت أحدهما الى الآخر

ولم تكد تفعل حتى جهد نركيسوس في تخليص نفسه
منها ، ثم انطلق في الغابة لا يلوى على شيء ، كالرثم المروع ،
والظليم لمزع .. !!

وذلك أنه لم يجرب هذه المفاجأة بالحب ، ولا وقع مرة
في شرك غرام ، وقد ربكته أيخو حين غمرته بكل حبها ،
فشرق به وغص ، وقال : الفرار .. الفرار !

وتسلط الهم على قلبها فشفه ، والشجن على جسمها
الناحل فأضناه ، وكانت صدمة هائلة صدمت جوانب

نفسها ، وزادتها نكالا على نكال ، ثم تتابعته الايام وهى
ما تزداد الا سقاما ...

واضحلت ... ثم اضمحلت ... حتى غدت ...
لا شيء !!

ولا شيء هذه ليست مبالغة فيما حل بها ، اذ الصحيح
انها غدت لا شيء ، الا هذا الصدى يتردد فى كل واد ،
ويذهب اثر كل نداء

وهى الى اليوم تأوى الى الغيران ، وتتخلف الى الشطآن
وتنحدر مع الريح على جنبات الجبال ، تنعى همها ، وتندب
حظها فى النادين !

وشاءت المقادير أن تنتقم لا يخو المعذبة من هذا الشاب
الجميل نركيسوس الذى حطم قلبها الفضى ، وقضى على
نفسها المحزونة . فبينما كان فى طراد عظيم ، فى يوم قاتظ
عرج على خميلة ناضرة ملتفة الاغصان ليشرب من الفدير
الصافى الذى يترقرق من تحتها .. وما كاد ينحنى الى
الماء حتى رأى صورته فى صفحته الساكنة ، فبهرة حسنها ،
واخذ يرمقها بقلب مشوق ونفس هائمة ، وهو لا يعلم
ان الحبيب الذى تامه ان هو الا ظله ، وعروس الماء التى
تبلت فؤاده ان هى الا خياله !!

عينان كبيرتان ذواتا اهداب زائهما وطف ، وجبين
واسع وضاء مشرق ، وخذان أسيلان كخدود ربات الاولب ،
وخمل حلونابت فوق بشرة الوجه يزيده رونقا وجمالا ،
وغير حبيب كاقحوانة تتفتح ، ترف حوله بسمة ساحرة
من حين الى حين ، وذقن رقيق مستدق يرتفع على عنق
يونانى رائع ثم فتنة تغمر ذلك جميعا !!

خاطبه نركيسوس ، ولكن ... وا اسفاه ! انه لا يرد
تمتمة ، ولا يجيب الا كما تهمهم الريح !

ومد يده ... فمد الخيال يده ، واستطير صاحبنا من
الفرح ، ظانا ان حبيبه تواق الى ما يريد !

واقترب بفمه ، يريد قبلة ، فاقترب الخيال بفمه كذلك
ولكن .. يا أخيلة الامل ! ما كاد العاشق الولهان يمس الماء
بشفتيه حتى ذهب حلمه اباديد ، وتكسرت منى نفسه
الحيرائه ، وفر الخيال فى شظايا الماء ... وتحطمت الصورة
الرائعة بددا !! وخيل لنركيسوس انها تقول وهى تهتز ،
قبل ان تلتئم : « لا ... لا ... لا ... لا ... »

ولبت عبثا يحاول قبلة ، وتتكرر الآية كلما مسست الماء
شفته .. فانطلق مغيظا محنقا ، وهام فى القفار على
وجهه ، لا يطيب لجفنه المسهد كرى ، ولا يحلو بفمه
المرير عيش ، لجفاء الحبيب ، ونفاره آسية العجيب !!

نركيسوس ، الذى بلبل قلوب العذارى ، وسفك
دموع الحسان ، وخرج كبرياء الغيد بالدم ، واذل البسمات
التي طالما حملتها اليه اجنحة الحب من ثغور الفاتنات ..
نركيسوس ، الذىلقى بحب ايوخو فى التراب ، تسببيه
صورته ، ويتصباه خياله ، ويأسره ظله ، فيا لنقمة كيوبيد ،
ويا لعدالة فينوس !!

لقد طفق يختلف الى الفدير لدى كل شروق شمس ،
يناجى حبيبه المعبود وأمله المنشود ، فلا ينثنى الا اذا
توارت الشمس بالحجاب !

وما انفك يشكو ويتوجع ويستعطف ، وما انفك الخيال
يتصام ويتباكى . واذا تحدث تمت !!
ثم ...

ثم ذوى عوده ، وذبلت نضرته ، وتهدم جسمه ، وتحطم
قلبه ، وتأرجحت روحه فى حدقتيه ... و .. دنت ساعته
ووقفت ايوخو فى فنن وارف ، فى آيكة قريبة من الفدير ،

تشهد الفصل الاخير ، من مأساة حياتهما ..

وسمعه يقول مخاطبا ظله : « ايها الحبيب ! اجل !
لقد حق لك أن تنتصر على كبريائي ، وتسحق مرتي وتهد
أعضائي .. هأنذا أموت ايها الحبيب ... بقربك ...
يا عروس الماء النافر ... أموت ... واحبك ... فالوداع
... الودا ... ع »

وبكت ايخو ... ورددت هذا الصدى الحبيب : « الودا
... ع ! »

واقبلت عرائس الماء تنوح بدورها على نركيسوس ، ثم
ذهبت في أرجاء الغابة تجمع الحطب لاحتراق الجثة ،
كما جرت بذلك العادة في ذلك الزمن .. ولكن ، يا للعجب !
لقد عادت فما وجدت غير زهرة جميلة من أزهار النرجس !
انحنيت على صفحة الغدير تنظر فيه الى ظلها ... وتذرف
دمعها .. قطرة ، فقطرة ..

بين أبوللو وكيوبيد



عصى الناس ، في قديم الزمان ، سيد أرباب الاولمب ،
السند الاعظم المهيمن على ملكوت السموات والارض :
زيوس . ومع ما اشتهر به من واسع الحلم ، وطول
الاناة ، وجم المغفرة ، فانه لم يشأ أن يمد للعالم في حبال
الفواية للدرجة انكارهم لذاته ، والحدادهم فيه ، وكفرهم
به ، فأقسم ليهلكن حرثهم ونسلهم ، وليقطعن دابرهم
أجمعين ! فأطلق الرياح الجنوبية الهوج ، وأرسل السحب
تتدجى كقطع من الليل البهيم ، وأذن للارض فتشقققت
بناييع وعيونا ، ثم انهمرت الامواه من فوقهم ، وتفجرت
من تحت أرجلهم ، وطفى الموج يجرف الدور ويعفى الآثار .
وفى أيام قلائل ، كان الطوفان يغمر وجه الارض ولم يكن
ثمة الا بحر خضم عظيم

وهلك الناس جميعا ، وشفى زيوس موجدته عليهم ،
ثم بدا له ان يعيد مياه الحياة الى مجاريها ، فأطلق الرياح

(*) لقد طفت أسماء الميثولوجية الرومانية على الميثولوجية اليونانية
طفيانا كبيرا مع ان الثانية اصل للاولى ، وأبوللو هو الاسم الروماني
للالة فوبوس اليوناني ، وكذلك كيوبيد هو ايروس بن أفروديت
(فينوس) وقد اثرنا الاسماء الرومانية لشهرتها فحسب

من عقالها ، فهبت في شدة وعنف ، وأخذت ترشف ماء الطوفان ، تعاونهما في ذلك مركب أبوللو . . يوح (١) العظيمة . وبدأت الأرض تجف ، وشرع بساطها السندسي الجميل يبدو قليلاً قليلاً ، حتى ازدهرت المروج ، وأينعت الخمائل ، وسمق الدوح ، واهتزت الربي ، وأخذت السهول زخرفها . وبدأ له مرة أخرى أن يخلق أناسي يعمرون الأرض الجديدة ، فما كاد يفعل حتى ظهرت حيوانات بحرية هائلة ، جعلت ترحف من الماء إلى الأرض ، فتهلك الخلق الجديد . وكان أشد هذه الحيوانات وطأة . وأكثرها فتكا ، ذلك التنين البحري الهائل ، الذي يصمد للعصبة القوية من الرجال فيفنيها عن آخرها ، حتى ضج الناس واستغاثوا ، وجأروا بالدعاء إلى زيوس الرحيم ، فرق لهم وحيد عليهم ، وأرسل أعز أبنائه من زوجه لاتونا . أبوللو ، فألقدهم من التنين (بيثون) بسهامه التي سددتها إليه حتى أرداه

وانثنى ثملاً بخمرة النصر ، مزهوا بما رفع الناس إليه من صلوات وابتهالات ، وبينما هو راق إلى سماء الأولمب ، إذا أخوه كيوبيد بن أفروديت يصيد الطباء في غيضة لقاء ويلهو باجتناء الشمر ، ويمرح بين أفواف الزهر ، كالمستهتر الخالي . فلأراد أبوللو أن يناوشه ، فقال له « كيوبيد يا ابن أفروديت ! أنت هنا تصيد الطباء الضعيفة ، وتريش سهامك إلى أطلائها المفروعة ، ولا تجسر على اقتناص الافعوانات البحرية المرعبة التي تفتك بعباد أبينا زيوس ، ومع ذلك لا تفتنأ تفاخر الآلهة بسهامك التي لا تطيش ، ورمياتك التي لا تخيب . كيوبيد الصغير ! يجمل بك أن تنزل إلى عن قوسك المرنان ، وسهامك الذهبية ، أو أن

(١) الشمس

تحد من كبريائك ، وتأتني إلى كل يوم أعلمك كيف تكون الرماية ، كيف ينبغي أن تسدد السهام ! » وغيظ كيوبيد من هذا التقريع الذي لا مسوغ له ، وذلك التفاخر الأجوف الذي لا فائدة منه ، ولا طائل وراءه فعبس وبسر ، وتجهم وزمجر ، وقال في عسارة ملتبهة ، وأسلوب مشبوب : أبوللو يا ابن لاتونا ! كان الأولى بك أن تذكر كيف عذبت حيرا في سالف الأيام أمك وأذلتها ، فتفني حياء ، وتقتل الأري خجلاً ، ولا تملأ الهواء بمثل هذا الفخر الكاذب ! أبوللو ! أنت تشبه بسهامك وتدل ، وتدعي أنك تقنص بها الافعوانات البحرية ، على حين أصيد الطباء ، وأقتل الاطباء ، ألا فلتعلم أنني أمهر منك ألف مرة في تسديد السهام ، واقوى في توتير القوس ، وإن كنت بعد حدثاً صغيراً . على أنني أنذك ، أنت يا أبوللو يا ابن لاتونا سهامى التي سأجربها فيك قريباً !! »

فضحك أبوللو ملء شذقيه ، وقال : بخ بخ يا كيوبيد ابن أفروديت ! ليس هكذا يخاطب سيد الشمس أبوللو ! ولكن يبدو لي أنك متعب من طول ما أخذت نفسك به من الصيد في هذه الغيضة ، وأحسبك قد أعياك طبعي نافر فأخرجك عن طورك ، خصوصاً ، وأفروديت تنتظر لك لتعد الشواء ! . أنت ستجرب سهامك في . . في أنا . . ! »

فقال كيوبيد : « فيك أنت . . فيك أنت يا أبوللو يا ابن لاتونا . . وسبرى . . »

وأمتلات أسارير أبوللو بضحكة ساخرة ، وفصل مستهزئاً . .

وشرع كيوبيد يدبر انتقامه ، ويرسم له الخطط التي ينال بها من أبوللو ، فلا يستطيع أن يفلت ، وكان يحمل كنانتين ، يحتفظ في الأولى بسهامه الذهبية التي يصمى

بها القلوب فتملأ حبا وصباية ، وفي الاخرى بسهامه
الرصاصية التي يصيب بها القلوب فيفعمها بغضا وكراهية
.. ونشر كنانيه وانتقى من كل واحدة سهمها حاد الشبابة
مزدوج السنان ، ثم انطلق في الادغال يفكر ويدبر ، ويمم
شطر غدير قريب يطفىء منه غلته ، فرأى القينة الحسنة
(دفنيه) متجردة من ثيابها ، جالسة كالقطاة على عذوة
الجدول ، تداعب الماء بقدميها الحبيبتين ، وتظللها صفصافة
ممتدة الفىء وارفة ، والاطيار من فوقها تغنى لها . فقال
كيوبيد ، متحدثا الى نفسه : « فرصة نادرة لن أفلتها ..
هذه (دفنيه) الجميلة تستنقع من القيقظ ، وهى وسيمة
قسيمة ، بارعة الحسن ، تامة المفاتن ، لابد ان اسدد سهمي
رصاصيا الى قلبها الصغير فيمتلىء كراهية وبغضاء ..
ويحسن ألا أشعرها بوجودى حتى أصمى قلبها ..
فلأختبئ هنا .. »

وتوارى خلف دوحة كبيرة ، وثبت السهم الرصاصي في
مكانه من القوس ، ثم أطلقه في قلب دفنيه ، وما كاد يفعل
حتى انخلع قلب الفتاة من الذعر ، وأسلمت ساقها للريح
تعدو بين الايك ، صارخة من ذلك الشلج الذى ذهب بحرارة
فؤادها ..

وقصد كيوبيد الى حيث أبوللو ، وكان قريبا من دفنيه ،
فسدد الى قلبه السهم الذهبى فأصماه . وتلفت أبوللو
ينظر ماذا أصابه ، وحدث ان كانت دفنيه متطلقة تعدو
اذ ذاك ، فلمحها ، وسرعان ما جن بها جنونا . لقد ملأه
سهم كيوبيد حبا ، كما ملأ سهمه الرصاصي دفنيه
بغضا ..

لقد كانت دفنيه أول من وقع عليه نظر أبوللو بعد اذ
ملأه سهم كيوبيد حبا ، فهام بها ، وشعر نحوها بهوى
ممض ، وبرح كأنه برح آلاف من السنين ، وكذلك كان

أبوللو أول من وقع نظر دفنيه عليه بعد اذ أفعمها سهمهم
كيوبيد كراهية ، فأبغضته ، وشعرت بسهم تنفته عيناه
فى قلبها حينما رآته

أفلح كيوبيد اذن فى الفتك بأبوللو ، حين اوقعه فى
أحبولة الهوى ، ورداه فى شرك الغرام ، بهذه الفتاة الكارهة
المحنقة ، دفنيه ! أفلح كيوبيد ، وتبع أبوللو يرى اليه
يتذلل ويتضرع ... ويبكى كما يبكى الادميون ... وهو
سيد الشمس ، ورب الموسيقى ، وقانص الافعوانات كما
دل على كيوبيد واقتخر !

انتصر كيوبيد اله الحب ، صاحب القوس الذهبية ،
كيوبيد الطفل ، ذو الجناحين ، على أبوللو سيد الشمس ،
صاحب القوس والوتر العرد !

ان الحرب لم تبدأ ، حين بدأت ، بين أبوللو بن لاتونا ،
وكيوبيد بن أفروديت ، بل هى قد بدأت بين البغضاء
والحب ، والقلوب ... والهوى !

انطلق أبوللو فى اثر دفنيه المذعورة يبكى ويتذلل ،
ويحاول اللحاق بها ... ولكن هيهات ! لقد كانت تمعن فى
الهرب ، كلما جد هو فى الطلب ، ولقد كانت تنظر اليه
كأنه قاتل أبيها ... او خانق أمها ! ..

وصاح أبوللو ضارعا : « دفنيه أيتها العزيزة ، قفى
أرجوك ! تمهلنى اتوسل اليك ، الشوك يجرح قدميك
المعبودتين يا دفنيه ! أوه رويدك يا حبيبة ، لاتنطلقى هكذا
فقد يؤذيك اندفاعك ، فيم أنت مذعورة هكذا ؟ ! فأنا أبوللو
... قفى ! .. »

ولكن دفنيه لا تجيب الا بنظرة القنص ، ولفتة الواجف
المراش ، وتجذب فى الهرب . فيقول أبوللو : « قفى يادفنيه !
قفى ولك نصف ملكى : بل لك الشمس كلها اذا وقفت ،
أنا رب الموسيقى سأغنى واصدح لك ! سأطربك بقيثارتى

الذهبية بعد أن أغسل قدميك بدموعي في كل ليلة (!) ،
سأطير بك في أرجاء السموات ! ستكون لك القصور في جنة
الأولب ! سأمنحك الخلود يا دفنيه ! أحبك ! أستحلفك
بزيوس إلا ما وقفت ! مالك هيمنة على وجهك هكذا ؟ هل
أخيفك ؟ هل أزعجك إلى هذا الحد ؟ ... ويلاه ! »

ولا تبالي دفنيه ، بل تعدو وتعدو ...

ويضيق أبوللو بغصته ذرعا ، فيلجأ إلى جبروت الآلهة ،
ويبدى سلطان السماء ! ويصيح صيحة هائلة ، فيكون
سد منيع في طريق دفنيه ! ..

فيقول أبوللو وقلبه يضطرب من طول الأعياء : « فيم
تهربين مني يا دفنيه ! ألم تعبدني مرة وتقدمي الضحايا
بأسمى إلى كهنة الهيكل ؟ هاأنذا أبوللو المعبود ، أرجوك
وأتوسل إليك ! أنا الذي أعبدك يا دفنيه ! ماذا تريدان بعد
هذا ؟ لقد بلغت من أبوللو منزلة لم تبلغها ربة من قبل !
لقد فضلتك على كليمين ، زوجتي المعبودة ، وأجمل عرائس
البحر ، وأم طفلي المحبوب فيتون ! فيتون أسرع الآلهة
بعد أخى هرmez ، سأمره يكون خادما لك ! أنه يقتنى أغلى
المركبات ، ولديه من الصافنات الجياد أغلاها ، ستركبين
معه فتطوفين العالم في ساعتين ، وترين ما بين الشرق
والغرب في لمحتين ، لو رضيت ! دفنيه ! أرجوك يا دفنيه !
أننى أبدا ما بكيت بمثل ما أبكى لك ، وأذرف الدمع بين
يديك ! حنانيك يا دفنيه فقد سحقت قلبي بكبريائك ،
وأذلت نفسي بخيلائك ! »

وكان فعل السهم الرصاصي في قلب دفنيه قد خف ،
ووقفت الغادة حائرة مترددة مما تسمع ، وكانت عيناها
ثرتين بعبرات حبيسة . ولكن كيوييد ، المختبئ في
عساليج الكروم القريبة كان يرى ويسمع ، فلما شاهد
من ضعف دفنيه وقرب تسليمها ، تناول قوسه ، وانتقى

سهما مسنونا من كنانة الأسهم الرصاصية وسدده إلى
قلبها ، فلصرخت المسكينة صرخة مدوية ، وهبت في وجه
أبوللو تقول : « إليك عنى أيها المسخ ! تنح ! أبغضك !
أكرهك ! أغرب عنى ، أنت أنجس من التيتان (١) وألأم
من شارون (٢) ، اذهب ! لا أطيقك ، انظر إلى هذا الغدير
لترى الشرر ينقدح من مقلتيك ، والدخان يصاعد من
منخريك ! كريبه .. شأنه أنت أيها الوحش .. »

وكذلك كان فعل السهم الذهبي قد شارف أن يبطل
في قلب أبوللو .. وكاد الآله العظيم يخلص من هذا
السحر العجيب ، فيسحق دفنيه ، لولا أن تنبه كيوييد ،
فأصماه بسهم ذهبي آخر ، فجن جنونه ، وتجدد حبه ،
وتألب به هواه .. فصرخ صرخة راجفة ، وأشار إلى
السد فزال عن طريق دفنيه ، فانطلقت تعدو .. وتعدو
.. وانطلق هو في أثرها يتوسل .. ويذرف أغلى
العبرات ! ..

لقد كانت دفنيه تطوى الطريق كأنها فكرة شاردة في
رأس شاعر ، ولقد كان أبوللو يقتص آثارها كأنه الكوكب
السيار منجذبا إلى نجم كبير ! وكان كلما سرق اللمحة
من ساقبيها الجميلتين ألهب قلبه بحبها ، واشتعلت
نفسه بالرغبة الملهمة فيها ، وانجذبت روحه إليها ..
يا كيوييد ! ويا السهام .. الذهبية .. والرصاصية ، على
حد سواء !

وتعدو دفنيه حتى تكون عند حفاقي النهر العظيم الذي
أقام زيوس والدها الكبير الها عليه ، فتصرخ قائلة :
انقذنى يا أبى ! خلصنى من هذا الوحش الذي يدعى أنه

(١) التيتان هم أبناء وبنات زيوس من المردة وقتلة ابنه زجوريوس
وأبغض الآبالسة إلى الآلهة
(٢) شارون هو حارس الجحيم

أبوللو الكريم ! انه يعدو من ورائي .. خلصني منه ..
اني أبغضه .. يا أبى .. يا أبى .. »

وينشطر الماء ، ويخرج أبوها ، اله النهر ، فيرى أبوللو مقبلا ، فيعرفه ، ولكنه يرق لابنته ويقسم ليخلصنها من سيد الشمس ، فيفرس قدميها في الشاطئ ، ويحتفن من الماء بيديه ، وينشرها به ، بعد أن يتلو عليه من تعاويذه ويقف أبوللو مشدوها ، موزع اللب ، ينظر ويرى !

لقد تحولت دفنيه ، في لمحات ، الى شجرة باسقة من أشجار الفار ، وأخذت الخضرة تينع في أغصانها ، بين حيرة أبوللو وشدة تعجبه !

ووقف الاله العظيم يبكى ، ويا ويح للعاشق المخبول !
ثم تقدم فبارك الشجرة ، وسقاها من دمه ، الذي كان من خلائقه الكبير ! وانصرف محطم النفس ، معمود القلب ، كاسف البال .. ولقيه كيوبيد ، فسأله الخبيث : « أين سهامك التي أردت بها الافهوانات يا أبوللو بن لاتونا ؟ » فقال : « كيوبيد ! أشفني مما ألم بى ! » فقال كيوبيد : « بهذا السهم الرصاصي أشفيك ! »

وتلقى أبوللو السهم في قلبه عن طواعية فبرىء مما به ، ولم يعاد كيوبيد بن أفروديت بعدها !

يو أو « مِثْأَ إِيرِيس »



كان لأحد أرباب الانهار التي تنحدر من شواحق الاولب ابنة بارعة الجمال فتاة ، حلوة كأنها قبلة على فم حبيب ، رقيقة كأنها زنبقة على غصن رطيب

وكانت تخطر كما تخطر نسمة معطرة أفلتت من الجنة لتملأ القلوب حبا ، ولتشيع في الحب سعادة ، ولترف في قيظ الحياة فتروح على المكدودين المحزونين

وكانت هذه الفتاة (يو) ، مفتتنة بجمال الطبيعة ، مشغوفة بسحرها الاخاذ ، تود لو تستطيع فتعيش ملء السهل والجبل ، او تقدر فتنسجم والحياة الدائبة في الغابة ، أو تكون روحا شفافا يرف في زرقة السماء ، ويمتزج بالظلال والافياء

ولم تكن عاشقة ، ولكنها كانت حين تجلس على الصخرة المشرفة على البحر تعبد القمر في هدأة من الليل ، يهيج حب الطبيعة في نفسها ، فتبكي ، وتبكي ، ولا يقطع عليها بكاءها الا خيرير الفدران المترققة التي تنسرب في الادغال . وكانت عبادة الطبيعة تقطعها عن أترابها من عرائس الماء ، وصاحباتها من بنات الغاب ، فكان اذا تفقدنها ، توزعن في مهاوى الجبل ، وتفرقن في منبسط السفح ، وتنادين بها

ههنا وههنا ، حتى يجدنها آخر الامر مستفرقة بين يدي
قمرها المعبود ، تناجي البحر المصطخب ، وتكلم النجم
المضطرب

ونزل زيوس يوما من ذروة الاولمب التي هي أول مراقى
السماء ، يرتاد جنات الارض في مملكة جدته (جى) ، وما
كاد يوغل في إحدى جنبات الجبل حتى لقي يو ، تلك الفتاة
الاولمبية الساحرة ، واقفة على الصخرة تستمتع بجمال
الشروق في صبيحة من اوليات الربيع . . وكانت السماء
لا تزال موشاة بسحائب خفيفة من بقايا الشتاء ، وآراد (١)
ذكاء تنتشر خللها فتفضض اذيالها ، وتذهب أوساطها ،
وتكسب الافق رونقا زاهيا خلابا

وسحر زيوس ، وهو كبير الآلهة ، بجمال العروس التي
هي من خلقه ، وابنة أحد أتباعه ، وأحس بعطف قمر قلبه
العظيم من أجلها ، وشعر كأنه ظمى الى هذا الجمال
الفتان المشرق ، الذى كسف في عينه جمال زوجاته جميعا ،
وفيهن حيرا وديون ولاتونا (٢)

ووقف الاله المشدوه يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، وسمر
مكانه ، وهو سيد الآلهة ، يعبد عبيدته الصغيرة التي
أبدعتها يداه . . وهو لا يدري !

وعول على اغتنام الفرصة ، وأقسم ليملأ وطابه
استمتاعا لا يضيره ألا يكون بريئا ، ولذاذة ليس به أن تكون
نقية خالصة . . « أنا سيد أرباب الاولمب ، وكل ما بين
لابتيك أيتها الارض فهو لى ، وقد اشتهيت هذه الجميلة
الخبثية فمن الذى يجرو أن يحجزها عنى أو يمنعها

(١) أشعة الشمس

(٢) حيرا أولى زوجات زيوس وديون هي أم أفروديت (فينوس)
ولاتونا هي أم أبولو وديانا (فوبوس وأوتيميس) ولزيوس أزواج أخرى

منى ! . . »

ثم بدا له ألا يزعجها بالظهور لها في سيماء الحقيقية
فينخلع قلبها وتطير نفسها ، لأنها ستكون منه تلقاء اله ،
فتحول في لحظة الى فتى يافع ينهل الشباب في برديه ،
ويترقق الصبي في أعطافه ، وتشع عيناه صبوة وفتونا ،
وتقدم اليها فحياها تحية كلها صفاء وكلها دعة ، فحيت
بأحسن منها ، ولقيته أرضى لقاء . .

وجلس يحدثها وتحدثه ، وكان الاله المحتال يمزج
أحاديثه بالسحر ، ويزخرف صوته بالموسيقى ، ويوصل
ابتساماته بالمحبة ، ويطلق في نظراته كل ما وسعه من
شياطين الهوى ، وكان ماينفك يقترب منها ويقترب ،
حتى لامس ذراعه ذراعها ، فأخذ يدها الصغيرة البضة
بين كفيه الحاريتين ، وطفق يضغط قليلا قليلا . . .
وصمتا هينهة . . ثم فرغ طور اللسان ، وبدأت نوبة
العين وأخذتا فى رشقات وقيل . .

وعاد أدراجه الى الاولمب ، ولما يزر من أطراف الارض
غير هذه الناحية الحبيبة التي سعد فيها لحظة بيو ، وظل
منذ ذلك اليوم يتردد اليها فيلذتها على أنها كأسه الروية
التي تبتدر بها غلته ، وتلقاه على أنه حبيب أسعدتها
فينوس به ، وما درت قط أنه كبير الآلهة ورب الأرباب . .
وكان يتحرق الى لقاءها ، وكانت تتسلى عنه بقمرها
الفضى ، فاذا سعدت منه بزورة ، اندغمت عبادتها للطبيعة
فى عبادتها له ، وأذهلتها نشوة الحب عن الدنيا وما فيها !
وأحست حيرا (١) ببعض ما يشغله ، ولحظت انه صادف
عنها ، فأيقنت أن لابد من أمر ، وأن فى الامر أنثى ، وأن فى
الانثى صباغة وغراما ، فبشت العيون ورصدت الرقباء ،
حتى وقفت من شأنه على كل شيء !

(١) حيرا : ربة الاولمب وزوجة زيوس الاولى

الحمد لله الذي جعل في كل شيء
مخرجاً من كل ضيق
والله اعلم

الحمد لله الذي جعل في كل شيء
مخرجاً من كل ضيق
والله اعلم

الحمد لله الذي جعل في كل شيء
مخرجاً من كل ضيق
والله اعلم

الحمد لله الذي جعل في كل شيء
مخرجاً من كل ضيق
والله اعلم

الحمد لله الذي جعل في كل شيء
مخرجاً من كل ضيق
والله اعلم

الحمد لله الذي جعل في كل شيء
مخرجاً من كل ضيق
والله اعلم

الحمد لله

الحمد لله الذي جعل في كل شيء
مخرجاً من كل ضيق
والله اعلم

الحمد لله الذي جعل في كل شيء
مخرجاً من كل ضيق
والله اعلم

الحمد لله الذي جعل في كل شيء
مخرجاً من كل ضيق
والله اعلم

الحمد لله الذي جعل في كل شيء
مخرجاً من كل ضيق
والله اعلم

الحمد لله الذي جعل في كل شيء
مخرجاً من كل ضيق
والله اعلم

يستطيع رب نهر صغير أن يصنع في سحر الاله الاكبر !
ولما شهد أرجس ما كان من بكاء البقرة ثم بكاء رب
النهر وعناقه اياها ، تأثر تأثرا باديا . ولو لم يفقه من
كل ما كان شيئا . ثم ذكر وعيد حيرا ، فانطلق بالمسكينة
الى مكان سحيق ، وثمة ، تخير يفاعا عاليا أقام عليه
ليشرف منه على كل شيء ، فلا يخشى على بقرته رهقا ،
ولا تستطيع هي مهربا

وذكر زيوس فتاته المسكينة التي كان حبه اياها سبب
تعسها وشقائها ، وذكر تلك الاويقات الحلوة التي يسرت
له فيها أصفى لحظات السعادة التي لم يتيسر له مثلها
في مملكة الاولب على ما جمعت من صنوف الرفاهة
والنعيم ، فثارت في قلبه عوامل الرحمة ، وتحركت في
صميمه تلك الشفقة الالهية التي اتصف بها في قديم
الآباد ..

وفكر وفكر ... ثم استدعى من فوره ابنه من زوجته
مايا ، البطل الطيار المشهور ، هرمز ، وأمره بالتوجه الى
حيث أرجس فيحتال عليه ويقتله ..

ومرق هرمز كالسهم الى حيث الاكمة التي جلس فوقها
أرجس فألفاه يحرس البقرة حراسة شديدة منكرة ، وكانت
القمرات تغمر السهل والغاب والجبل ، وكان البدر يتنقل
في دارات السماء ، والرياح تهب سحسجا والبلابل تغرد
فوق أغصان التفاح تطرب وتشجى ، وكان سنة من النوم
خفيفة رقصت في خمسين من عيون أرجس فأطبقت قليلا ،
ولكن ما برحت الخمسون الاخرى تنافس الثريا ببريقها ،
وكانت البقرة ملقاة على الثرى المندى من الاعياء ، فلما
شهدت هرمز لم تحفل به

ولكن ما هذه الموسيقى الحنون !
ومن العازف في هدأة الليل !

وما للنجوم تضطرب هكذا من الطرب ؟
آه ... لقد تحول هرمز الصنّاع الى شاب ذى قوة وذى
فتوة وذى جمال ، وبدا في شكل راع من رعاة الضأن ،
وجلس القرفصاء على صخرة مقابلة لأرجس ، ثم انبرى
يعزف على يراعه المثقب الذي اتخذه من قصب البرية
الفسيحة التي أقبل منها ، وانبطحت في السفح شاؤه
ونعمه (١) تغط في شبه نوم عميق ..

واستيقظت الخمسون الاخرى من عيون أرجس ، ودب
النشاط في هيكله الضخم لما سمع من حسن التوقيع
وروعة اللحن ، فانتفض انتفاضة كان بها عند هرمز -
الراعى الفتى - فسلم عليه وصافحه . وجلس بين يديه
كالعنز يسمع ويضطرب وينتشى ، ثم أخذ معه في حديث
طويل عن موسيقاه العذبة وألحانه الرقيقة ، ثم استطرد
فسأله عن نايه ، مم صنعه ، أو من ذا الذي وهبه ؟ ...
فقال هرمز : « فى احدى الغابات ذات الايك البالغ
عنان السماء ، والدوح المنتشر فى الارحاء ، كانت تعيش
سيرينكس عروس الماء المرحّة ، ذات السيقان الناعمة ،
والجسم الابيض الخصب الجميل . وكانت تهوى الرياضة
وتقبل عليها ، وتؤثر منها الجرى والوثب والقفز ،
والتعلق بأطراف الشجر ، ثم السباحة . وكانت تجرى
فتسبق الريح ، وتعدو فيتعثر الظليم (٢) فى آثارها ،
ولا تدرك الصافنات (٣) غبارها . وطالما طلبت اليها آلهة
الغاب مسابقتها ، فكانت تأذن لهم فيجرون قبلها
مرحلة ، ثم تنطلق فتلحق بهم ، وتسبقهم بمراحل ! ..

وتشاءب هرمز الخبيث وقال : « ومن طريف ما حدث
لها ، ان بان العظيم ، رب الرعاة واله المروج وسيد الغاب ،

(١) الشاء جمع شاه ، والنعم يطلق على الابل
(٢) ذكر النعام
(٣) الخيل

ومعبود الناس في أركاديا ، لمحها يوما تعدو كأنها — زوبعة ، فتبعها ، ولكنها شأته (١) وأجهدته ! مع ما هو معروف عنه من السبق والتفوق في الجري ، وحاول أن يلحق بها ، فضاعف سرعته وأطال خطواته . . . ولكن هيهات ! . . . والتفتت سيرينكس فرأته يطوى أديم الأرض من خلفها . ففرغت أيما فزع وهالها منظره الشائه الغريب ، فسيقانه العنزية الأربع ، وأذناه البهيمة — الشاخصة ، وجسمه المفتول ذو العضل ، ووجهه الواسع العريض . . كل ذلك بعث في قلبها الذعر ، وهاج في نفسها الرعب ، حتى كادت تذهب شعاعا .

وتشأب هرمز ثانية وثالثة ، ثم قال : « واعترضها نهر عظيم فصرخت عرائس الماء تستغيث بهن ، وتطلب اليهن النجدة ، فما أذهل بان عن نفسه إلا أن رأى طائفة من هذه العرائس تبرز من الماء فجأة فتجذب سيرينكس حتى تغيبنها في اليم ، ثم ما أذهله أيضا إلا أن تنمو قصبات رقيقة ، ذوات أرياش صفيقة ، في الموقع من الماء الذي غابت فيه سيرينكس !

ووقف بان مشدوه القلب ، ذاهل الفكر ، يحملق في النهر الذي طوى مذبة القلب ، وهوية النفس ، ثم انثنى فنزع القصبات النامية ، وراح يصنع منها نايًا حلو النغم رقيق اللحن ، حنون الجرس

ولقيته مرة في روضة مونقة ، منضورة منسقة ، وكان بان يجلس على رابية بها معشوشبة ، عازفا على يراعه ، فطربت لموسيقاه طربا شديدا ، ودلفت إليه ، فرجوته أن يهب الناي لي ، فتبسم قائلا : « اليك يا بني أكرم القنى (٢) وأعز الزكريات . . »

(١) شأنه : سيقته

(٢) جمع قنية ما يقتنيه الإنسان

وشهدت عبرات تنطلق من مقلتيه ، حاول أن يخفيها عنى . . وكان هرمز وهو يلقي هذه الاقصوصة التي اخترعها اختراعا ، يحاول أن يمطها مطا ، ويزيد في ثناياها حواشي مملّة ، ويزخرها بتعليقات لا غناء فيها ، وكان يتشأب ويتشأب ، وكانت الكلمات تساقط من فمه كأنها — مشدودة بسلسلة من حديد ، حتى تشأب أرجس هو الآخر ، وغلبه نعاس شديد أغلق عيونه كلها . وابتهج هرمز الخبيث لذلك ، وجعل يروح على وجه أرجس ، حتى انطلق الشخير من أنفه الكبير يجاوب أصداء الضفادع وهنا . . امتشق هرمز جرازه المرهف وأهوى به على عنقه الطويل ، فانفصل الرأس عن البدن ، وغادرهما معفرين بالتراب ، وعاد أدراجه إلى الأولب يحمل إلى والده نبأ المعركة . . .

وحزنت حيرا على خادمها أمض الحزن واشده وذهبت بنفسها فحملت رأسه إلى مخدعها في قصر الأولب الكبير ، وطفقت تسمل العيون عينا عينا وتركبها في ريش طاووسها (١) الجميل لتظل إلى الأبد رمز حبها له ووفائها لذكره . . ثم آلت لتسلطن على يو — البقرة المسكينة — ذبابة صفراء من ذباب الابلاسة تقرصها وتجعل من حياتها نكالا ، حتى ضجعت المخلوقة التعسة ورفعت أكف الضراعة تستمطر الرحمة من زيوس . . . كبير الآلهة ورب الأرباب : « يا الهى العظيم الرحيم ! يا أبا الآلهة ، وابن الآلهة ! أتوسل اليك بأبنائك الكرام الأرحماء ! أدركنى يا أبا زجريوس ! اغفرلى زلتى حين أحببت هذا الفتى الجميل وأحببني ! ان كنت قد صنعت بى ما صنعت

(١) كان الاغريق يرمزون لحيرا بالطاووس والكوكو وكانوا يحبونها حبا جما لأنها آثرتهم بعطفها وضحت في سبيلهم بحب زوجها وثقت فيه واسمها اليوناني هو جونو

انتقاما ، فحسبك ما حل بي من عذاب الهون ، لن أزل
يا الهى اذا غفرت لى ورفعت عنى وزر غضبك ! اقبل
يارب الاولب صلاتى واجعلها شفيعى اليك ! أنا . . . يو
المسكينة . . . كنت أعبد ابنتك أرتميس ربة القمر ،
فكنت أنزوى عن العالم ، وألبث وحدى بين يدي قمرى
الحبيب ، أصلى لك ولابنتك المعبودة ، فى هدأة الليل ،
وسكون السحر ، فما هو الا ان قطع على هذا الفتى صلاتى
وهو من خالقك ، وجماله الفتان آية من آياتك ، فأذا سحرنى
وأذهلنى عن عبادتى ، فانى أستأهل كل هذا الذى أنا
فيه ! يا الهى اغفر لى ، فقد وسع غفرانك كل شيء »

ويستجيب الاله لهذه الصلاة الحارة الخالصة ، فينطلق
الى حيرا ، حيث يجدها مكبة على رأس أرجس تسمل
عيونه ، فيواسيها ويسليها ، ثم يرجوها أن ترحم يو ،
وأن تخفف عنها العذاب ، وهو لقاء هذا يعطيها كل
الموائيق ألا يصل أسبابه بأسبابها مرة أخرى . فترق
حيرا ، وتتفجر الرحمة لاول عهدا بها ، فى قلبها ، وترسل
من يرفع الذبابة عن البقرة ، وتأذن لزيوس فيعيدها الى
صورتها الاولى . الصورة القديمة المحبوبة . ! ولكنها
تشترب عليه أن يرسل من يذهب بها الى أقصى أطراف
الارض ، حتى تطمئن عليه وعلى قلبه المتصابى من حبها
ويأمر زيوس بعض أتباعه فيحتمل يو الى . . . ضفاف
النيل ! وتخرج من الصحراء على المصريين ، فتبهـرهم
بجمالها الرائع ، وحسنها الوضاء ، ومفاتنها البارعة ،
ثم يجتمعون على عبادتها ، ويقيمونها ملكة عليهم ،
ويسمونها : « ايزيس »

وتمر الايام . . .
فيتزوجها كبير آلهة مصر ، أوزوريس ، وتلد له ابنة
حوريس !

برسيوس وأندروميدا والجرجون الثلاثة



فى احدى مدن الشاطئ الاغريقى ، كانت تعيش أميرة
جميلة تدعى « داناي » ، هى وابنها الجميل برسيوس ،
الذى كتب عليه ان يحرم صدر والده الحنون ، ذلك
الوالد الذى طوحت به أسفاره ، فشط مزاره ، ولم يعرف
أحد أين انتهى قراره

ولقد كان هذا الوالد - فيما يظهر - على جانب عظيم
من البأس وقوة الجانب ، حتى لقد فرح أهل المدينة لبعده
فرحا شديدا ، ولخوفهم من أن ينشأ طفله برسيوس على
وتيرته ، تأمروا فيما بينهم على نفيه هو وأمه من جزيرتهم
فى زورق صغير يدفعون به الى اليم ، والامواج المتلاطمة
كفيلة ، ثمة ، باجراء حكمها فيهما

يا للوحوش ! لقد أنفذ الأشقياء تدبيرهم ، وتناوحت
الامواج حول الزورق تقذف به ها هنا وها هنا ، والأم
المسكينة تغالب أحزانها وتنسى مخاوفها ، فتغنى لطفلها
الراقد فى حضنها ، وتدله ، كى ينام ، وكى يكون بنجوة
من هذا البحر المصطخب

وبعد ان كان الموت المحقق قاب قوسين من هاتين
الفريستين ، وبعد ان كانت كل موجة تشق للزورق قبرا

في أعماق الماء ، شاءت العناية ان تسخر موجة هائلة تدفع به ، في هواده ورفق الى ساحل جزيرة نائية في وسط المحيط . وهناك ، نزلت الام الموهونة متهالكة على نفسها ، حاملة وديعتها البريئة ، شاكية الى الالهة صنع الانسان بالانسان . ولمحت في الافق قرية متطامنة ، فيممت شطرها ، ومافتشت تتعثر في خطاها حتى بلغتها . والشمس تتوارى بالحجاب

ورحب الناس بالضيفين البائسين ، لان دينهم كان يأمر بايواء أبناء السبيل ، واکرام الغرباء واللاجئين ، فعاشا ناعمين ، وشب برسيوس سليما من الافات ، مكتنز العضلات ، بادي الفتوة ، موفور القوة ، عذب اللسان ، مشبوب الجنان ، واحبه الناس واعجبوا به ، والتف الجميع حوله يصغون الى احاديثه العذاب ، وقصصه الرطاب . . وتسامع الكل به ، وترامت الى ملك الجزيرة اخباره ، فشغله انصراف الناس اليه ، وافتتانهم به ، وكان (قاتله الله) ، غيورا رعيديدا ، قال ان يكيد له ويدبر حيلة يقصيه بها عن طريقه ليطمئن على نفسه . . وعرشه !

وكان في إحدى الجزائر النائية ثلاثة من الجرجون الضارية ، وهى من أفرع ما جاء في أساطير اليونان ، وكل من هذه الجرجونتين هائل له رأس امرأة ، ويدان من النحاس الأصفر ، ذواتا اظافر حادة ، تنفس في اقصى المعادن واصليها ، وليس لها شعر في رؤوسها كما للنساء ، بل لها ، عوضا عن الشعر ، حيات وافاع ذوات رؤوس تنفث السم الزعاف . وقد اوتيت قوة خارقة ، حتى تستطيع احداها ان تقصم جذع النخلة بضربة ضعيفة من ذنبها الجبار ، وليست هذه الجرجون مخيفة بسمها ، وقوة بنيتها فحسب ، بل الادهى والامر ، هو هذا السر الدفين في عيونها ، اذ كل من جرؤ على النظر الى هذه العيون ، يتحول في الحال الى صنم من الحجارة ، لا يتحرك ،

ولا يعى !

وكانت الجوجونة (مديوسا) افظع انواع الجرجون جميعا ، ولذا كانت اختاها الاخريان تحترمانها ، وتسهران على راحتها

ولكن ماذا اعتزم الملك الجبار من كل ذلك ؟ لقد دبر ان يغرى برسيوس بالذهاب الى جزيرة الجرجون لقتل (مديوسا) والاياب برأسها كأحسن هدية تقدم الى ملك . وكان هذا الرجل الخبيث يعلم تمام العلم ان مجرد محاولة الذهاب الى جزيرة الجرجون هو ضرب من الجنون لا يقدم عليه الا المأفونون ، فان نظرة واحدة من عين مديوسا كفيلة بوضع حد لكل شيء . .

وأرسل الملك الى برسيوس فمثل بين يديه ، وطفق يكيل له المدح جزافا ، ويبالغ في الثناء على ما ترامى اليه من اخباره وضروب شجاعته التى يتحدث بها الجميع

وامتلا برسيوس ، الفتى ، زهوا ، وشاعت في أعطافه الكبرياء ، وراح هو بدوره يشكر للملك حلو ثنائه ، وجميل اطرائه ، فمما ان ادرك الملك ما بلغ ثناؤه من قلب برسيوس الغرير ، ونفسه الصغيرة ، حتى أخبره بما انتدبه له ، فقبل الفتى المسكين وهو لا يدري ما هى هذه الجرجون ولا اين جزيرة الجرجون ؟

وانطلق من فوره ، وأرسل الملك من حاشيته من ابلغوه خارج الاسوار في مهرجان فخم ، وموكب أنيق . ثم غربت الشمس فغلقت الابواب ثم جلس برسيوس على صخرة عظيمة مشرفة على البحر يفكر في هذه الجرجون ، وينظر الى القمر يشرق من الاتباج ، فيفضض الموج ، ويعجور به البحر رجرجا من لجين ! ويذكر فجأة انه لم يودع أمه ، ولم يتزود منها قبلة أو دعاء لهذا السفر الطويل . فيبكي . . ويبكى بكاء مرا !

وتصدع قلبه حينما خيل اليه أنه قد لا يعود اليها
مع أنه غزاؤها الوحيد في هذه الحياة !
وانتصف الليل ..

وفيما هو غارق في لجة الفكر ، شرق بواكب الدمع ، اذا
بصوت رقيق يناديه من فوق الصخرة المقابلة : « برسيوس
ايها العزيز ! قيم بكاؤك ؟ ولم تذرف كل هذه الدموع ؟
لقد هجت الآلهة ، وأحزنت أرباب الأولمب ! » . ونظـر
برسيوس ليرى من صاحب هذا الصوت الرخيم الذي
يناديه ، فعجب عجباً شديداً ! لقد رأى مخلوقاً جميلاً
مشرق الجبين ، يترقرق البشر في وجهه ، لا يعقل ان يكون
بشراً ! يلبس فوق هامته قلنسوة ذات أرياش وأجنحة ،
وفي قدميه نعلان غريبتان يتصل بكل منهما جناح البازي ،
وفي يده عصا سحرية تتلوى بطرفها الاعلى ثعابين
وحيات !!

على أن برسيوس لم يعلم أن الذي يتحدث اليه ، ان
هو الا الاله هرمز (١) رسول الآلهة بين السموات
والارض ، الذي لا يفوقه في سرعته أحد

وبعد ، فلقد قص برسيوس قصته على هرمز ، وما فرغ
منها ، حتى قال الاله له : « بني ! انك مقدم على أمر جليل ،
وشأن بعيد المدى ، صعب المنال . ولقد أراد الملك اهلاكك
حين اختارك لهذه المهمة ، لان احدا لا يجسر على الذهاب
الى جزيرة الجرجون الا اذا كان أحمق أو مجنوناً ، ولكن
اصغ الى ! انك لابد فائز اذا عملت بوصايتي ، ولم تحدد
عما أشير عليك به . وسأذهب عنك لحظة ، ثم أعود اليك
بآلاء من الآلهة ، تقرب لك النجح ، وتسهل عليك كل شاق

(١) هرمز هو الذي يسميه الرومان ميركيوري والعرب عطار ، وهو
قائد ارواح الموتى بين الدنيا والاخرة

من أمرك .. فانتظر .. ورقى هرمز ثم غاب في السماء ،
وبهت برسيوس حين رآه يطوى الأديم الفضى ، ويطرق
أبواب أورانوس (١) !

وقص هرمز قصة صاحبه على الآلهة ، فرثت رُفتى
المسكين وتحركت في قلوبها الرحمة العلوية ، التي طالما
تنهمر من السماء ، لتغسل آلام الارض : وتعاهدت أن
تؤازر برسيوس ، وتمده بكل ما يسهل عليه أشق أمره .
فنزل بلوتو ، اله الموتى عن قلنسوته التي تخفى من يلبسها
قللاً يراه أحد ، وتبرعت مينرفا (٢) بترسها الذي يحمي
لابسسه من حراب الأعداء ، وهو ترس ثمين من الذهب
الخالص ، يلعب لمعانا شديداً ، حتى ليعكس المرئيات في
صفحته ، كأنه السجنجل

وحمل هرمز المنحيتين ، وعاد بهما الى حيث يجلس
برسيوس فقدمهما اليه ، وزوده بجرازه المتلوى القاطع ،
الذي ليس كمثل سـيف ولا حـسام . ومنحه نعليه
المجنحتين ، اللتين تسبقان به الريح ، فلبسهما ثم قال له :
« تلك يا برسيوس هدايا الآلهة أسبغها عليك . بيد أنه
ينبغي قبل كل شيء ان تذهب معي الى هذه الجزيرة
القريبة حيث تقيم ثلاث اناث من السيكلوب ذوات العين
الواحدة ، فتحتال عليهن حتى تعرف منهن موضع جزيرة
الجرجون ، لان أحدا من العالمين لا يدري أين موضعها
بالضبط غير هؤلاء السيكلوب . سر اذن على بركة الآلهة
في اثرى ، واحترس لنفسك ، والسماء تكلؤك »

وكم عجب برسيوس حين رآه يطير في اثر هرمز ،

(١) السماء

(٢) اسمها بالا أثينا في الميثولوجية اليونانية وقد أثرنا هذه التسمية
الرومانية لديومها

والبحر من تحتها يتسلاطم ، ويعج عجاجه ، وهما من فوقه كالعصافير المهاجرة ، وحطاً في الجزيرة المنشودة بعد أن دوماً فوقه طويلاً . وكان ذلك بالقرب من كهف حالك في منحدر صخرة صعبة المرتقى . وقد لمح فيه برسيوس السيكلوب الثلاث ، بفضل ترس مينرفا الذي كان يعكس في صفحته كل ما في الجزيرة

إنها مخلوقات غريبة حقاً ، ليس كمثلها شيء في الافاق ، شاذة في خلقها ، عجيبة في تنسيق جسمها ، وهي إناث على كل حال يعشن في هذه الجزيرة المعشوشبة ، بعيدات عن العالم ، منزويات في هذا الركن السحيق من أركان الدنيا . وأغرب ما في أجسامهن من شذوذ أن ليس لهن أعين كما للناس ، ولكن لهن ، وبالحرى ، لثلاثتهن ، عين واحدة : تركبها لوقت معلوم ، في حفرة غائرة من جبينها ، حتى إذا انتهى الوقت وجاءت نوبة السيكلوبية الأخرى ، نزعَت الأولى تلك العين وأعطتها للثانية ، وهذه للشاشة ، وهكذا دواليك ، وبوساطة تلك العين العجيبة تستطيع السيكلوب رؤية أصغر شيء في أقصى جهات العالم ، من دون ما مشقة ولا عناء ..

وبعد أن زود هرمز صاحبه بوصايا غالية ، انتحى ناحية قريبة ، واختبأ برسيوس خلف شجرة باسقة ، ولشد ما دهش إذ رأى إحدى السيكلوب تقود أختيها ، وفي جبينها العين العجيبة ترمق بها أصقاع العالم ، وتحدث أختيها عما ترى ، وبعد قليل ثار نزاع بين الأخوات على العين ، كل تريد أن تأخذ ثوبتها ، وكل تدعى أن الدور دورها . وفيما كانت الأولى تنزع العين ، وتوشك أن تعطيها للثانية ، انقض برسيوس فتسلما من السيكلوبية ، دون وعي منها !! لأنها بدون العين لا تستطيع أن ترى شيئاً

فم العالم . وينشب نزاع شديد بين السيكلوب على العين ، كل منهن تتهم أختها بأن العين معها وتدعى الانتكار ، حتى وضع برسيوس حداً لتنازعهن ، بأن هتف بهن : « أيتها الأخوات العزيزات ، لا تنازعن على عينكن ، فهي في هذه اللحظة معى وبين يدي » ، وانقضت السيكلوب هلعاً نحو مصدر الصوت ، ولكن هيهات أن يقبضن على شخص تحمله نعلا هرمز ، فلقد قفز قفزة هائلة ، أقصى بها نفسه عنهن ، ثم قال : « أيتها الأخوات العزيزات ! أنا أعلم أنكن لا تستطعن الحياة بدون العين الغالية ، وأنا أعدكن بردها اليكن ، ولكن بشرط واحد : ذلك أن تخبرننى عن المكان الذي تأوى إليه (مديوسا) وأخواتها الجرجون ، فإن لم تفعلن فلا عين لكن عندي »

وهنا تميزت السيكلوب من الفيظ وكدن لا يجبن بشيء ، لأنهن منهيات عن إذاعة أسرار العالم ، ولكن إذاعة السر في هذه اللحظة أهون ألف مرة من هذا العمى المطلق ، والظلام المبين يغطش حياتهن ، فأخبرته بموضع الجزيرة وماوى الجرجون فيها ، ولكى يشق مما أنبأه به نظر في العين التي بين يديه الجزيرة ، وأيقن أنهم لم يخنه ، ثم أنه تحيين للفرصة الملائمة ودفع بالعين في جبهة أقرب السيكلوب منه وغاب في الجو ميمماً شطر هرمز ، حيث وجدته يمرح في غيضة ناضرة ، فتعانقا عناقاً طويلاً ، وشكره برسيوس على جزيل مساعدته ، ثم افترقا على أن يبدأ برسيوس رحلته إلى جزيرة الجرجون

وكانت رحلة طويلة شاقة ، برغم ثقل هرمز . فكـم بحار طوى ، وكم وهاد رأى ، وكم ريح صرصر كافح ، وكم مشقة احتمل ، حتى وصل إلى جزيرة الجرجون ! ولم ينس ما أوصاه به هرمز من وجوب النظر إلى أعلى دائماً

حتى لا تقع عيناه على عيني احدي الجرجون فيحور حجارة صماء . وكان يتخذ من درع مينرفا مرآة صافية يرى فيها ما تعج به الجزيرة من كهوف وزروع وغابات . ولشد ما سر سرورا لا مزيد عليه حين وجد الجرجون الثلاث مستفرقات في سبات عميق عند مدخل كهفن السحيق . وفي وسطهن مديوسا العنانية . تغط غطيظا مروعا . فاستخار الآلهة ، وامتشق جراز هرمرز ، وتعوذ ثم تعوذ ، ثم انقض كالصاعقة ، فأهوى على عنق مديوسا بضربة قاتلة ، فانفصل الرأس عن سائر الجسد . وهنالك ، علا فحيح الأفاعي الباسقة في رأس مديوسا ، تدمدم في الكيس الجلدي الذي ألقاها برسيوس فيه ، حتى لقد استيقظ أختاها ، وانطلقتا مرتاعتين في أثر الفتى ، تودان لو تمسكان به ، فتعتصران عظامه اعتصارا . . . ولكن قلنسوة بلوتو تخفيه عنهما ، وتحفظه من شرهما

وبينما هو يطوى الضحاضح والبحار ، وبينما هو منتش بخمرة انتصاره ، مفكر في اللحظة التي يلقي فيها الملك برأس مديوسا ، ويحظى لديه بثمرة فوزه ، بينما هو كذلك ، اذ يلمح في احدي الجزائر زحاما شديدا ، وجماهير حاشدة ، متكبة حول صخرة ناتئة ، مشرفة على البحر ، وقد تدلت منها فتاة بارعة الجمال ، بادية الحسن ، مغلولة العنق ، مربوطة الأطراف بسلاسل وأصفاد من حديد صلب . ونظر فرأى تنينا بحريا هائلا يطفو فوق الماء ، ويقترب من الفتاة قليلا قليلا ، وراعه أفرع الروع تلك الصرخة الهائلة التي صرختها الفتاة فرددت الغيران والكهوف ومشارف الجبال اصداؤها ماذا ؟ . . .

الفتاة مذعورة أيما ذعر ، والناس من حولها ينظرون ولا يحركون ساكنا . . . والتنين يقترب ويقترب . . .

ولم ينتظر برسيوس حتى يفترس الوحش تلك الفتاة المفزعة ، بل استل جراز هرمرز وانقض فوق ظهر التنين وأهوى على عنقه بضربات سريعة متلاحقة غاص بها في أحشائه ، ولبثا يتصارعان ساعة من الزمان كانت كلها هولا ، وكانت كلها فزعا ، والناس ينظرون مشدوهين ، زائفة أبصارهم ، لا يصدقون ما يبصرون . ثم انجلت المعركة عن جثة التنين الضخمة طاافية فوق الماء ، الذي تحول بدوره خضما من الدماء . وقفز برسيوس الى الشاطئ ، وذهب الى الفتاة ففك أصفادها ، وهذا من روعها ، ثم حملها على حصانه ، وسأل الناس فقادوها الى والدتها المسكينة المعذبة ، التي حبست نفسها في حجرة مظلمة ، وانتظرت ثمة من ينعي اليها ابنتها

أما هذه الام فهي الغادة الاغريقية كاسيوبيا ، المشهورة بجمالها ، وحسن روائها ، والتي كانت أفتن حسان هيلاس في زمانها ، ولقد امتلات زهوا بما أضفت عليها الآلهة من قسامة ، وما أسبغت عليها من وسامة ، فزعمت ، وهي تفاخر أترابها ، أنها من عرائس البحار التي لا يدانيها في جمالها الباقي ، جمال هذا البشر الفاني . ففضبت عرائس الماء ، لهذا الادعاء ، وأقسمن ليعذبن أهل الجزيرة التي فيها كاسيوبيا بهذا التنين المروع الذي شرع يغدو كل يوم الى شواطئ الجزيرة فيقتل ويلتهم عشرات من سكانها ! . .

وذعر القوم . وحاروا في أمر هذا التنين ، وذهبوا الى الهيكل يقدمون قرابينهم للآلهة ، ويستوحون كهنتها نبوءة تبعد عنهم شره ، وتكفيهم أمره . ولقد أجيب أدعيتهم ، وتقبلت أضحياتهم ، وأرهفت الاسماع ، وشمل الهيكل هذا السكون المقدس الرهيب ، وما هي الا لحظة حتى انطلق صوت خفي من أعماق المذبح ، يقول : « قدموا

العذراء أندروميذا ، ابنة الفانية كاسيوبيا ، ضحية حلالا
لتنين البحر ، جزاء غرورها وكبريائها - ذلك ان أردتم أن
يكف التنين عنكم شره ، ولا يعاودكم آذاه ! »

وانكفأ القوم محزونين مروعين ، لأنهم كانوا يحبسون
كاسيوبيا وابنتها ، حبا هو العبادة ، وثاروا كيف يتقدمون
للام بهذا النبأ العظيم !

وكان لابد من النفاذ ، لانقاذ الجزيرة وجميع سكانها .

والآن ، لقد أنقذ برسيوس أندروميذا الجميلة من
التنين ، وشعر في سويدائه بعاطفة نورانية تجذبه الى هذه
الفتاة وأحس كأن مستقبله مرتبط بمستقبلها برباط
قدسى تباركه السماء وتحرسه العناية ، فتقدم الى والدتها
يطلب يد أندروميذا .

ووافقت الوالدة ، وسعدت الفتاة بهذا البطل الشاب
الذى أنقذ حياتها مرتين : مرة من هذا الوحش الضارى
الذى تركه برسيوس جثة هامدة ، ومرة ثانية من ذلك
الشيخ الفانى الهرم الذى تقدم اليها يريد لها زوجة له ،
وكادت أمها أن تقصر على الموافقة لما للشيخ فى الجزيرة من
صولة وجبروت ، لولا المقادير التى تتابعته بعد ذلك

وأقيم مهرجان كبير ، وزينات فاخرة للاحتفال
بالعروسين ، فمدت الاخونة ، وأعدت الاسمطة ، وبدأت
الموسيقى الاغريقية تعزف أشجى الحانها ، وأخذ الجميع
فى قصف حللهم وسمر برىء

وانهم لفى كل ذلك اذا بالرجل الهرم الذى تقدم لخطبة
أندروميذا من قبل ، يقتحم الحفل هو وعصبة قوية من
رجالهم المسلحين ، واذا بالرجل يهتف ببرسيوس قائلا :
« برسيوس ! لقد اعتديت على مولى هذه الجزيرة اعتداء
صارخا بانتزاعك أندروميذا من يدي ، وانك ان لم تنزل

عنها طواعية فسأكبرهك على تركها قسرا ، بعد ان تروى
هذه السيوف من دمائك ودماء من يلوذ بك ! .. » فحدثه
برسيوس بنظرة ساخرة وقال : « من أنت أيها الرجل
الذى يجسر على مخاطبتي بهذا الهرم ؟ لقد أصبحت
أندروميذا زوجتى ، وان كانت من قبل خطيبتك ، أنت من
غير ريب تحلم ... غير أنى أسألك . اين وليت وجهك
يوم اضطرت أمها المسكينة ان تنزل عنها قربانا للتنين ؟
لقد كان أولى بشجاعتك أنت ورجالك لو قولتتم انقاذها
من الافعوان البحرى الذى اذلك واذلهم .. » ومد يده
الى الكيس الذى كان به رأس مديوسا ، فأخرجه وقال :
« ولكن انظر الى هذا قبل أن تقتلنى » . وما كاد الرجل
ينظر الى مديوسا ، حتى تصلبت عضلاته ، وتحجر
جسمه ، وظل مكانه كأنه تمثال ! ودهش أصحابه لجموده ،
وظنوه قد سمر حيث هو ، فلما لمسوه استطيرت ألبابهم
ولاذوا من الفزع بالفرار

وأخفى برسيوس رأس مديوسا ، واستمر القوم فى
سمرهم كأن لم يحدث شيء ... اللهم الا هذا التمثال
المنتصب فى أول الردهة ، والذى كان يهرف منذ لحظة ،
فأصبح عبرة الزمان ، وضحكة الايام !

وحان يوم الرحيل ، فخرج أهل الجزيرة يودعون
الزوجين ، وظلت كاسيوبيا تعانق برسيوس مرة ،
وأندروميذا مرة أخرى ، والدموع فيما بين هذه وتلك ،
تنهمر على خديها انهمـسـارا ... والناس ينظرون ...
ويبكون ..

ثم حمل برسيوس عروسه ، ومرق فى الهواء كالسهم ،
والقوم من عجب يتصايحون ويهتفون

وكانت الرحلة هذه المرة ، على شدتها وطولها ، من
أروح الرحلات الى قلب برسيوس . وتسمتع أن تتصور

القبل الحلوة تنطبع على هذين الشغرين الحبيبين ، فى ملكوت السماء ، لتدرك أى سعادة شعرية ، وأى هنيهات سحرية ، فازا بها فى لازورد الفضاء

وبلغ مدينة الملك بعد نأى طويل ، وسنين عدة ، فذهب أول ما ذهب الى منزل أمه ، وناهيك بما كان من عناق ، وما تبادلا من تحيات ، وبكت داناى المسكينة ، وهى تهنىء ابنتها باندروميديا ، ثم أخذت تقص ، ملء أحزانها ، وفى فيض أشجانها ما انتابها من سوء ، وما لحقها من عسف ، لأنها أبت أن تكون خلية الملك المخاتل الجبار ، الذى صب عليها جام نغمته ، وأذاقها من الهوان ألوانا ! فحزن برسيوس حزنا ممضا ، وهيج حتى خيف عليه ، وذهب من فوره الى قصر الملك بكل عتاده ! ودخل الى البهو الملكى بدون استئذان وهو يضم فى القلب غصة ، وفى النفس لوعة ، وفى الكيس رأس مديوسا !!

وقال الملك حين لمح برسيوس : « أهلا ! برسيوس ! لقد عدت أخيرا ، وما أحسبك وفيت بما قطعت على نفسك من عهود ! لعل شجاعتك التى بالغ الناس فى اطرائها والثناء عليها قد واتتك فى حרבك مع الجرجون ؟ »

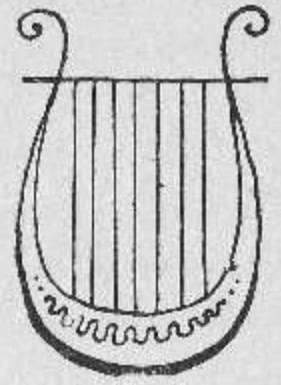
فأجاب برسيوس ، دون أن يحيى بالتحية الملكية : « أيها الملك ! لم تخاطبنى هكذا ولا تتريث حتى تنظر ان كنت قد عدت اليك برأس مديوسا الرهيب ؟ »

فقهقه الملك ، وملا التهكم شذقيه ، وقال : « طبعاً ، ستمدعى أنك قتلت مديوسا ولكن رأسها وقع منك فى البحر ، فالتقمه الحوت ؟ ... يا للشباب المخدوع ! » وثار ثائرة برسيوس ، ولم يجد الى صبر من سبيل ، فحصر عن رأس مديوسا وقال : « أيها الملك ... أنظر ! »

وبهت الملك مكانه حين وقع بصره على عيني مديوسا ، ثم تحول فى لمحة الى تمثال من الحجر ما يأتى بحركة ، ولا ينبس ببنت شفة !!

وحدث عما شمل أهل الجزيرة من الفرح حين تراءت اليهم أخبار الملك ، وما تم له مع برسيوس . لقد كانوا يؤثرون الموت على أن يحكمهم مثل هذا الظالم العاتى المستهتر ، ولقد كانوا يودون له الهلاك ، حتى خلصهم برسيوس منه ، فهرعوا إليه ، وهتفوا فى كل مكان بأسمه ، وحملوه على الاعناق الى حيث الملك التمثال ... وهناك ، صبوا لعناتهم على الطاغية ، وانصرفوا ، يهنئ بعضهم بعضاً ، بعد أن اختار لهم برسيوس ملكاً منهم ... فاضلا ، عادلا ... وقد عرضوا عليه الملك فأبى ... لأن مملكته الكبيرة المكونة منه ومن أمه ، ومن آندروميديا كانت آثر لديه من كل ملك عتيدي !!

وتوجه الى حيث لقي هرمز ، عند الصخرة المشرفة على البحر ، فوجده ينتظره ، فتعانقا عناقا يفيض محبة ، ويقطر ودا ، ثم رد اليه هدايا الآلهة بالحمد والثناء ... أما رأس مديوسا ، فقد أهدها الى مينرفا ، ففرحت به فرحا شديدا ، وهو الى اليوم مركب فى وسط ترسها ترهب به أعداءها الإلداء ...



أرفيوس الموسيقى

أرفيوس ! لسان الطبيعة ، ونجى الآلهة ، ووحى السماء الى جى (١) وصاحب القيثارة ذات الرنين ... والانيث !

كان يعزف ، فتشيع الحياة فى الصخر ، ويقف أبوللو العظيم فى مركبته الذهبية (٢) مطلا برأسه من عليين ، يسمع ويضطرب ... وكذلك كانت تصنع ديانا ، فطالما كانت تنزل من مركبتها الفضية (٣) فى أعلى أجواز السماء ، لتلبث هنيهة بباب أرفيوس ، تتزود لرحلتها الليلية المرهقة ، من مشرق الدنيا الى مغربها

وكانت الوحوش تسكن اليه ، وتجتمع من حوله تنصت وتلتذذ ... وتغفو ...

والاشجار ! ان لها لجذورا متغلغلة فى أطباق الارض ، ومع ذلك فقد كانت حين تسمع أرفيوس ، تنزع اليه ، وتسير وراءه خبيا ! وكم شهد الناس حول بيته غابة من الدوح العظيم ، والايك المذهب ، سعت اليه تلتذذ

(١) جى هى الارض فى الميثولوجية اليونانية

(٢) مركبة أبوللو الذهبية هى الشمس

(٣) القمر

موسيقاه ، ثم هى تنصرف فى المساء فتتغرس فى أصولها ، وقد ازدادت نضارة وازدهارا !

ومع ذلك ، فقد كان ذا غرة مشرقة ، وابتسامة حلوة ما تكاد تفارق ثغره الصغير الجميل . وكان جم الحياء ، لم ينهر مرة أحد رواده ، أو المترددين عليه ، بل كان يلقي الجميع ببشاشة الاخوة ، وهشاشة الود وكانت له زوجة أجمل من روعة الفجر ، وآفتن من وشى الاصيل ، وأندى على قلبه من أنفاس الصباح

اسمها يوريديس ... مصدر الهامة ، ومعين عبقريته ، وجمال لحنه ، وأغنية حبه ، وأنشودة هواه . سئل مرة : « ماذا تملك من الدنيا يا أرفيوس ؟ » فأجاب : « قيثارتى ... ويوريديس ! »

كانت يوريديس تجمع الازهار البرية فى ربرب من أترابها ، لتصنع منها باقة مفوفة تقدمها لأرفيوس ، وكانت كلما راققتها سوسنة ، أو وقعت فى نفسها زنبقة ، طبعنت عليها قبلة ندية وضمتها الى الباقة ، وهى تقول : وأنت أيضا لحبيبي أرفيوس ...

وبينما هى كذلك ، اذا أفعى هائلة تنسل من بين الاشجار ، فتلدغ قدمها الصغيرة الجميلة المطمئنة فى الحشيش الاخضر ، فتصرخ المسكينة صرخة مدوية ، ثم تنطرح الى الارض ، وتتأثر الورود والرباحين التى جمعتها حولها ، كأنها تنضد سرير موتها

وتجتمع صديقاتها مذعورات ، فتعولن وتبكين ، وتحملنها الى أرفيوس الذى يستطار من هول الكارثة ، وينخلع فؤاده من فداحة المصاب ، ويحاول المستحيل لانقاذ أعز الناس عليه ، ولكن ... ولكن هيهات ! لقد ماتت ! واحتلكت الدنيا فى عيني أرفيوس التعس ،

وأجديت قيثارته من ألحان المرح ، واستدروحت الى البكاء
والانين . فيا رحمتاه لمن ينصت اليها ويصغي لها ! زفرات
حارة تصعد لها أوتارها ، وأنات مؤلمة ينبثق منها الدم
تنبعث من أنغامها !

وأرفيوس ، مع ذلك منزو عن العالم ، عزوف عن
الناس ، مستغرق في وحدته القاسية ، يفكر في
يوريليس

وصمم علي ألا يفقدها كما يفقد الناس أحبائهم . بل
لا بد من رحلة طويلة الى الدار الآخرة . . الى هيدز . .
حيث اله الموتى بلوتو ، فيضرع اليه أن يرد عليه زوجته
التي لا حياة له الا بها

فكرة غريبة ، وتصميم عجيب ، رجل من دار الفناء ،
له جسم ، وفيه نفس تتردد من اخمصيه الى ذؤابة رأسه ،
كيف ينفذ الى دار الموتى وعالم الارواح ، ومملكة الظلال
والاشباح ؟ !

لكنه أمل ملا قلبه على كل حال ، وها هو ذا يحمل
قيثارته ، ويبدأ رحلته ، ولا يدري الى أين ؟

ضرب في الآفاق على غير هدى ، وذرع الأرجاء في ضلال
وحيرة ، حتى رثت له الآلهة ، فرشسده ، وأنارت له
سبيله ، فاهتدى الى ضفاف ستيكس (1) ذى الزبد ،
حيث وقف شارون النوتى الجبار ، الذى يحمل أرواح
الموتى فى زورقه ، يعبر بها أنهار الجحيم للقاء بلوتو
العظيم . .

وصاح شارون صيحة راجفة حينما لمح أرفيوس ،

(1) ستيكس هو النهر الكبير الذى يحيط بالدار الآخرة « هيدز »
فى الميثولوجيا ، وهو يحيط كذلك بالنهر التى تنحصر بينها جهنم ،
وسيجى ذكرها

وزمجر قائلا : « يا ابن العدم ، يا سليل الفناء ، يا من
لم تفض روحه بعد ، ماذا جاء بك الى هنا ، ولا تزال تتعثر
فى برد حياتك البرث ، وتتكفى فى قيد دنياك الوبيلة ، عد
من حيث أتيت ، والا فوحق بلوتو المتعال لاسحتن عظامك ،
ولا قذفن بك الى ستيكس ، فيطويك اليم وتشويك اللحم
. . . عد . . . عد . . . عد أقول لك . . . وى . . . وكأنك
لا تسمع !!

ولكن أرفيوس يثبت غير هيب ، ويتناول قيثارته غير
وجل ، ثم يعزف لحنا من ألحانه الباكية فيزلزل به أركان
شارون !

شارون ! هذا الفظ ، غليظ القلب ، أقسى حراس
جهنم ، يذوب رقة ويمتلئ حنانا ورحمة لما رأى وما سمع ،
فيهرول الى أرفيوس مستمعا معتذرا عما بدر منه من
سوء اللقاء ، وعبارات البذاء ، ويسأله فى لين ورفق عن
حاجته فيجيب : « لا شئ الا لقاء بلوتو ! »

فيسأله شارون : « وكيف ، وهذا بدنك لا يحتمل زفير
الجحيم ؟ »

فيجيب أرفيوس : « لا عليك ما دامت هذه - ويشير
الى القيثاره - بيمنى »

فيقول شارون : « يا صاحبي أنت لا تعرف هول ما تريد
أن تقتحم ، وانى مخلص لك أمين ، انك غض الالهات ،
موفور الشباب ، وان جهنم لا تبقى ولا تذر ، وانها أبدا
ترمى بشر كالقصر ، وانى أمحضك نصحا علمتنى
موسيقاك كيف أمحضك اياه ، وأستنقذك من عذاب مقيم
. . . ألا فلتفكر فيما أنت مقدم عليه ، فان من دونه مهالك ،
وان من دونه أنكالا وأهوالا . . . »

وتبسم أرفيوس بسمة حزينة ، كانت ردا صامتا على

ما حذر شارون ، ثم أعد قيثارته وانطلق يتغنى أغنياته وما يكاد يفرغ من هذه الزفرة الحارة ، حتى تتحدر الدموع من عيني شارون ، ويتقدم اليه معتذرا ، فيحمله في الزورق ، ويجوس به عباب ستيكس ، وما يكاد يفعل حتى يرى أرفيوس الى تغيظ الموج وتلاطمه ، فيسأل شارون عما يهيج النهر برغم سكون الريح ، فيقول : انك ، وأنت من أنت ، من فوقه ، سبب هياجه واصطخابه ، ولو خلى بينك وبينه لما أنجاك منه شيء حتى تكون في أعماقه !! « ولكن أرفيوس يبتسم ابتسامته الحزينة ، ويتناول قيثارته فيوقع إحدى أناته المشجية ، فيها ستيكس الصاحب ، وتصفو صفحته بين دهشة شارون وشدة تعجبه ! ..

وتطول الرحلة ، ويعبران (أشيرون) نهر العدم ، و (ليث) نهر النسيان ، و (كوكيتوس) نهر الآلام ، و (فليجتون) نهر الحمم والذهب ، ويصلان آخر الامر الى (هيدز) - دار الموتى - ومملكة بلوتو ، بعد عقبات وأهوال تغلبت عليها جميعا قيثاره أرفيوس ، بألحانها الرقيقة ، وأنغامها الباكية ..

وتبدأ من هذا الشاطئ الأخير رحلة شاقة في ظلام دامس وحلك شديد ، في مسالك ملتوية ، وشعاب متداخلة ، لا تجدى معها موسيقى أرفيوس فتिला ، وهنا يبدو له أن يقصر هذا السفر الطويل بالسؤال عن يوريديس ، كيف حملها شارون في زورقه ، وكيف عبر بها هذه الفجاج الى المقر الأخير ، وهل كانت تبكي ؟ أم كانت راضية بالقضاء الذي فصلها من أحب القلوب ، وأقصاها عن أعز الناس ؟ وهل حدثته عن الشاب أرفيوس ؟ أم كانت في شغل عن كل شيء بما هي فيه ؟ وهل كل روح من ارواح

الموتى تستغرق كل هذا الزمن في عبور أنهار هيدز وفيافيها ؟ وهل تأملت يوريديس حين كانت تعبرها ؟ .. وكان شارون يجيب عن هذه الاسئلة المتتابة اجابة مستفيضة حتى وصلا الى بوابة كبيرة الحجم تصل الى قصر بلوتو ، ولكن كلبا ضاريا بادی النواجذ بارزالانياب كان رابضا عندها ، فلما لمح أرفيوس ، وهو من غير الاموات هاج وماج ، وتوثب يريد البطش بهذا الملاجىء الممنوع .. !

وتنبه أرفيوس ، فحرك أوتار القيثاره ، وتغنى على أوتارها ألحانه وآلامه ، فثاب الكلب وهدا ، وبعد أن أقعى قليلا ، تقدم الى الضيف الحبيب يلحس قدميه ، ويتمسح به ، ويا للموسيقى !

ثم هذا عرش بلوتو ، والى جانبه زوجته ربة الربيع ، برسيفون (١) كسيرة القلب مهیضة الجناح ، تعسلو أساريرها عبوسة قاتمة ، وتجتشم على قلبها لوعة دائمة . يا لبرسيفون ! ويا لهذا المنفى السحيق !

ولشد ما دهش بلوتو حين بصر بهذا المخلوق الذي استطاع أن ينفذ الى هيدز ، وفيه رفق من حياة !!

وقبل أن ينبس بلوتو ، جثا أرفيوس لدى قاعد العرش ، وطبع على الارض قبلة كلها احترام ووقار ، ثم تناول قيثارته ، وطفق يتغنى قصته المشجية ، يرسلها خلل أنغامه الحزينة ، وملء ألحانه اليتيمة .. حتى أتمها وكانت الموسيقى الممتزجة بالغناء الحلو والشعر السامي ، قد تغلغل في السويداء من قلبى الزوجين ،

(١) برسيفون ، أو بروزرين كما يسميها الرومان ، هي ربة الربيع التي اختطفها بلوتو لتؤنس في وحشته في هيدز ، بعد اذ رفضت جميع الرباب مقاسمته ملكه

وكانت الرنات ، الممتزجة بالانات ، والهديل ليس مثله
هديل ، قد أحدث أثره في نفسيهما ، حتى أن دمعـة
مترقرقة شوهدت تنسكب على خد برسيفون !

وفي الحق ، لقد هاجت قصة يوريديس شـجون
برسيفون ، لما لحظت فيها من الوشائج بينها وبين قصة
حياتها التعسة ، في هذا الملك البغيض !

وانزعج بلوتو لمجرد وسواس لـج في صدره ، لما شاهد
من تأثر زوجته ، وانسكاب هذه العبرة الحزينة على خدها
الشاحب ، حتى لقد خيل اليه أن شـياطين الحب قد
قفزت من فم أرفيوس الخبيث ، ومن موسيقاه الشاجنة ،
إلى قلبها الغض الصغير !

وقال بلوتو : « انهض أيها الشاب » فوحق أورينوس (١)
لقد كدت تكون من الهالكين ، لولا قصتك الباكية ،
وموسيقاك المبللة بالدموع . والآن ، ماذا جاء بك إلى هنا ؟
وما الذي تطلب أن ينتهي إليك من احسان بلوتو ؟ »

فركع أرفيوس ركعة التذلل والضراعة ، ثم قال :
« مولاي ! يوريديس يا مولاي ؟ تأمر فتعود أدراجها معي
إلى الحياة الدنيا ! »

فأجاب بلوتو : « طلبت المحال أيها العبد ، ولكن بلوتو
الكريم ، لن يرد رجية بائس مثلك . . . لك ما سألت ،
وستعود يوريديس معك ، ولكن على شريطة واحدة ، ألا
تراها حتى تخرج من هيدز . انها ستتبعك ، فلا تلتفت
وراءك أو تغادر دار الموتى ! »

وركع أرفيوس ركعة الشكر ، ثم قال : « سأنفذ مشيئة
مولاي »

وأمر بلوتو فأحضرت روح يوريديس ، وبدأت الرحلة

(١) أورينوس هي السماء ، أبو الالهة ، في الميثولوجيا

إلى الدار الأولى يدلجان ، في ظلمات بعضها فوق بعض ،
والحبيبان يدلجان خبيا

وكان قلب أرفيوس يدق . . . ويدق

وانهما ليكادان يبلغان العدو الأخيرة من نهر ستيكس ،
حتى يوجس أرفيوس خيفة ، ويظن - ويا شر ما يظن -
أن يوريديس قد ضلت سبيلها من ورائه ، فينسى شرط
بلوتو ، ويلتفت فجأة خلفه ، ليرى أنها ما تنفك تتبعه .
ولكن يا للهول ! لقد رأى يوريديس بأسطة ذراعها إليه ،
كمن يتلمس طريقه في الظلام ، وحين تراه يلتفت إليها .
فيخل بانشرط الذي عاهد ربها عليه ، تنثنى من لدنه
راجعة أدراجها إلى هيدز . . . متمتعة في صوت ضعيف
خافت : « وداعا يا أرفيوس » ! يا حبيبي أرفيوس . . .
وداعا . . . » فيصرخ المسكين صرخة يكون معها في هذه
الحياة الدنيا ، حياة الشقاء والآلام !

ويظل على شاطئ ستيكس سبعة أيام مفاجعا محزونا
. . . يحاول عبثا أن يعود إلى هيدز . . . ولكن . . . هيهات !
ويدخل الدنيا محطم القلب ، خفق الاحشاء ، موهون
القوى . . . لا يطيب له عيش ، ولا يسيف لذة من لذائذها ،
ويتخذ مأواه في شعاب جبل تزمزم الرياح في جنباته ،
وتزمرجر الوحوش في غيرانه ، وتدوى البواشق في قننه ،
ويكون كل أولئك خير صحابه ، ويا ما أعز الرفاق !

وتلقاه نسوة ممن اعتدن التخلف إليه في أيامه المواضي ،
فيحتلن عليه ليعزف لهن من الحانه ، ولكنه يعزف عنهن
ويشيع ، ثم يفر منهن ، فيقتفين أثره ، فيمعن في الفرار ،
فيتضايقن ، ويصمينه بسهامهن ، ثم يرجمنه بالحصى
المسومة ، والحجارة الثقال ، حتى يموت !

ويسمعه اذ هو يجود بروحه يقول : « يوريديس ...
يوريديس ! »

فتردد الاصداء نداه الحزين : « يوريديس ..
يوريديس ! »

ولا تزال الاشجار والاطيار تهتف الى اليوم هتاف
موسيقارها المغبون المحزون : « يوريديس .. يوريديس ! »

وانطلقت روحه البريئة تعبر بدورها ستيكس ،
وأشرون ، وليث وكوكيتوس ، وفليجتون فيتلقاه
شارون الجبار باسمها هاشا محييا ... ويجلسان معا في
الزورق ، يقصان ذكريات الماضي ... القريب ! ويتلقاه
الكلب عند البوابة ، فيهرول اليه ، ويتمسح به ، وفاء
وذكرى !

ويتلقاه بلوتو كذلك ، فيهنئه بالعود ... اذ كان العود
أحمد !!

أما يوريديس ... !

فلشد ما يكون فرحها بعودة حبیبها !

مأساة أم



رأها زيوس تقطف الزهر وتتيه في حدائق السوسن ،
وتنشد مع البلبل ألحان الشباب ، فتنصت الطبيعة
وتتفتح آذان الورد ، وتحملق أحداق النرجس تسرى الى
كليستو الرقيقة رقة النسيم ، الحلوة كأنها حلم جميل
في أجفان عاشق ، الموسيقى التي يستطيل نغمها حتى
يبلغ السماء ، ويتسع حتى يغمر الكون ، فيشوى بكل أذن ،
ويستقر في كل قلب ، ويخفق مع نبضات المحبين ،
وينسكب ذوبا من دموع المذنبين المعذبين !

رأها زيوس فجن بها ! وبالرغم مما اعطى على نفسه
من موثيق لزوجته حيرا الا يصبو الى انثى غير أزواجه
اللائى كن الى هذه اللحظة ستا أو أكثر من ست ، فقد
ذهب يقتفى اثر كليستو ، ويرهف سمعه ليملأ بموسيقاها
قلبه ..

كانت تمشي بين صفين من أعواد الزنبق ، تنمقهما ورود
ورياحين ، وكانت تنثني وتميس ، فيهتز البروض وينتشي
الزهر ، وكلما ترنمت بأغنية من أغنياتها الساحرة ، رددت
الازهار والاطيار ما تغنت ، كأن كل شيء في تلك الطبيعة
الرائعة الفنانة عضو في فرقة كليستو الموسيقية

وجلست تنفياً ظل خوخة وارفة كانت تداعبها فتساقط
عليها من ثمرها الجنى ، ورطبها الشهي ، فتتذوقه كليستو
وهي تبتسم

وأسكر النسيم الخمرى عينيها الساجيتين ،
فاستسامت للكرى الطارىء ، والغفوة العارضة ، وتمددت
على البساط السندسى ليحسر الهواء عن ساقها ولتكون
فتنة يضل في تيهها قلب زيوس ، وتضرب في يديها نفسه
... على غير هدى !! ..

وبدا للاله الاكبر ان يرتد فتى موفور الشباب ريان
الاهاب ، ثم يسوق آلهة الاحلام فترقص في أجفان كليستو ،
تبهرج لها من الرؤى ما يشب في نفسها رغائب الهوى
ولذائد الحب ، ويشير فيها حرارة الحياة
ونام الخبيث الى جانبها ، وطفق يروح على وجهها ثم
نثر ذراعها على جيدها الناهد ، وراح يضغط قليلا ...
قليلا ..

ولقد فعلت الاحلام الحلاوة فعلها في قلب كليستو ، فلما
استيقظت ، ووجدت نفسها في حضن هذا الشباب اليافع
الجميل ، لم تنفر ، بل خجلت خجلة زادتها جمالا ،
وضاعفت سحرها ، وفتونها ، وفترت أهدابها فاسترخت ،
وفنيت في حبيبها المفاجيء .. وفنى هو الآخر فيها ..

وجاءها المخاض !

ووضعت غلاما أحلى من القبله الحارة على الثفر
الحبيب ، وأعذب من ابتسامه الزهرة ظلها الندى
فلما زارها زيوس وبشرت به ، اهتز الآله الاكبر وشاعت
الكبرياء في اعطافه ، فباركه ، وطبع على جبينه الوضاح
قبلة أولمبية خالدة ، ثم زف الى كليستو تلك البشرى

التي ظل يخفيها عنها طوال حبه لها ، وذلك حينما أشار
الى ابنه بيمينه البيضاء هاتفا :

- « بوركت يا أركس ! يا أجمل أطفال الاولمب ! »
وقد اضطربت الام الصغيرة حين سمعت هذا الدعاء
ونظرت الى حبيبها كأنها تستريب ، وقالت له :
- « أجمل أطفال الاولمب ؟ اذن من انت ايها الحبيب ؟ »
- « بشراك يا كليستو ! فأنا ربك وزوجك وحبيبك
زيوس ! »

ولم يسمع كليستو الا ان تسجد لربها وهي ترتعد
من الخوف ، فقال لها :

- « انهضى ! انهضى ! ماذا تصنعين يا حبيبة ؟ انهضى
فقد رسمت ابناً أركس الها ، فاكفليه حتى يشب ، واياك
ان تراكما حيرا فتسحقكما .. »
وقبل الغلام وقبل الام .. وغاب في الافق ..

وكانت كليستو أحرص على فتاها من أن تدعه وحده
لحظة واحدة ، فاذا خرجت للصيد فى الغابات القريبة ،
أقامت عليه حارسين من كلابها الكواسر ، يكفى أحدهما
لتشتيت شمال جيش بأكملة .. وكانت تحمل اليه
ثمار اللوز والبندق كلما عادت من الغابة ، حتى اذا اشتد
ساعده ، علمته الرماية والعباب الفروسية ، مستعينة في ذلك
بالسنتور العظيم ، شيرون ، مؤدب هرقل ومدرسه

وذاعت الانبياء فى دولة الاولمب ، أن ازويوس خليفة
يختلف اليها فى الفينة بعد الفينة ، وأنه أولدها طفلا
بارع الحسن ، وسيما قسيما ، يكاد يكون فى مستقبله
هرقلا آخر ، يضارع هذا الهرقل الهائل ، ابن الكمين الذى
كان يدوخ أبطال العالم فى ذلك الوقت ..

وقد مادت الأرض بحيرا حين علمت هذه الأنباء ، لأنها
كانت تفار من أزواج زيوس ، وتخشى أن تلد احداهن
بظلا يكشف شمس ولديها مارس وفلكان . وكانت الحرب
بينها وبين هرقل على أشدها ، فكم نشرت في طريقه
شوكا ، وكم فجرت تحت قدميه ينابيع من نار . أفلا
يحزنها اذن أن يبرز لها خصم آخر يغطش حياتها ،
ويراوحها بالاشجان والآلام !!

وكانت كليستو تصدح في أصيل يوم من أيام الربيع ،
فتستجيب لها الغابة ، ويردد غناءها الطير ، ويمشي
في أثرها الدوح ، وتهتز الأرض والسماء ، وكانت حيرا
قد عرفت أوصافها من شيوخ ، مدرب فتاها أركس فلما
سمعتها تغنى ، ويمشي وراءها العالم بأسره ، عرفت
انها هي !!

وكاد قلب حيرا يصبو الى كليستو ، مسحورا بروعة
الغناء ، مأخوذا بترجيع البلابل . . . حتى لكانت تخال
الورد نفسه يغنى معها !! وكادت بذلك تنسى غيظها ، بل
كادت تنخرط في هذا الحشد الموسيقي الذي يصار
لكليستو ويستجيب لاجانها ! ولكن ! . .

لقد ذكرت ابنيها مارس وفلكان ، وذكرت كيف صرعهما
هرقل في حفل الاولمب ، حتى لكانا ضحكة كل راء ،
فنسيت الغناء وأصمت أذنيها ، وعرفت من ماء قريب
بيديها غرفة جعلت تتمم عليها بتعاويد سحرية ، ورقى
غيبية ، ثم صاحت بالفتاة فسمرت مكانها دهشة
مأخوذة ، فنشرت حيرا في وجهها الماء وهي تقول : «شاهت
دبة ! شاهت دبة !» . . وأأسفاه . .

لقد أحست كليستو في ذراعيها العاجيتين بخدر شديد
ثم نظرت فرأت شعرا خشنا ينمو بسرعة فيغطي جسمها

البض الجميل كله !

وأحست أطافر طويلة غليظة تنبت في أطراف أصابعها ،
ومخالب مرعبة تبرز من اصابع رجليها المعبودتين !

وشعرت بوجهها الوضاء المشرق يتغير ويتحول ، ثم
يتغير ويتحول حتى ركب فيه أنف كبير أسود ، وفم
مغبر في منتهى القبح ، يسيل على جنباته لعاب ثائنه كريه !
وخيل لها ان ذنبا ينبت وراءها ، فتحسسته فأيقنت انه
ذيل خبيث . . ما في ذلك ريب !

وفزعمت كليستو ، فأرادت ان تصيح تستنصر الغابة ،
ولكن . . يا للهول ! لقد راحت تصرخ كما تصرخ
الحيوانات ، وتعوى كما تعوى الذئاب !!

وانخلع قلب الفتاة فحاولت أن تغادر هذا المكان
الساحر ، ولكنها لم تستطع ان تنهض على قدمين ، بل
انطلقت تعدو على أربع كأنها بهيمة من بهائم الأرض !

وأصابتها حيرا بظما كاد يصهر حلقها ، فذهبت الى
غدير تروتوى ، ولما انحنت ترشف الماء رأت صورتها
المفزعة تتقلب في صفحته ، وأنها لم تعد كليستو الحسنة
بعد ، بل انها قد انسحرت فصارت دبة قبيحة قذرة
ذات أنف طويل أسود ، وعينين رجراجتين تقدحان الشرر
وانطلقت في الغابة تعدو وتعدو ، وتتوارى بين الاشجار
حتى لا يراها أحد ، وكانت الحيوانات - حتى ضواريها -
تفزع منها كلما مرت بها ، وهكذا شاعت المقادير الظالمة
الا يكون لها صديق حتى من سباع الغابة الموحشة ،
التي كانت قبل لحظات ترقص بين يديها . . وتنشد
وتفنى !!

وضربت في القفار والفلوات ، مؤثرة الا تعود الى ابنها
الحبيب أركس فتفزع ، وكانت تختلف الى الغابة ، فاذا

مر بها بعض اصدقائها القدماء عرفتهم ثم تتوارى عنهم ،
وفى نفسها هموم وحسرات ..

خمس عشرة سنة !!

خمس عشرة سنة قضتها كليستو المتاعسة فى هذا
الشقاء الطويل ، لا تمر بها هنيئة دون أن تفكر فى ابنها
وتبكي .. وتفكر فى آمالها .. وتبكي ، وتفكر فى ذكريات
شبابها .. وتبكي ، وتذكر الموسيقى والغناء .. وتبكي !!
وأشتهال قلبها شوقا الى أركس ، فجلست الى أليكة
حزينة تتناجى :

« ترى ! ماذا تصنع الان يابنى ؟ ألا تزال تنهل كأس
هذه الحياة المرة ؟ أم أنت قد طواك الردى ونسيك كبير
الاولب ؟ هل أنت مريض يا أركس ؟ هل فى جنبك جرح
يتفجر دما لبعد أمك عنك ، كهذا الجرح الذى تنزف منه
نفسى ، وتنسكب حياتى ؟ وهل اذا أصابك ضر ، فأنت
واجد قلبا يحنو عليك ويترفق بك .. ويرعاك ؟ ومن هو
صاحب هذا القلب الرفيق ياترى ؟ أى بنى ! . ياولدى !!
ياحبة القلب يا أركس !! »

وتبكي البائسة بكاء يذيب الصخر ، ويحرق فحمة
الليل ، ويزلزل أركان الكهف المظلم الذى تعودت قضاء
ليالها فيه ..

أما أركس فكان هو الآخر يبكي أمه ، حتى استطاع
مؤديه شيرون أن يفل بنصائحه غرب حزنه ، ويطفىء
بمواظله نار أساه ، فنسى ، أو تسلى .. أو تناسى ..

واشتد ساعده ، وثقف الرماية حتى ما يطيش له سهم ،
ولا تخيب له رمية ، وأحبه شيرون من سويدائه ، ولازمه
طويلا ، حتى كانت حرب الستور فودعه ، وعاش الفتى

وحيدا .. يحيا حياة هى بحياة أمه فى شبابها الاول أشبه ،
يختلف الى الغابة يصيد منها الثعالب ، وإلى البرية يرمى
فيها الوعول ، ويعود مع الغروب مثقلا بالصيد

وفيما هو يرتاد الغابة فى ضحى يوم شديد القىظ ، اذا
أمه المسكينة تلمحه فجأة ، وتعرف فيه ابنها ، وأعز الناس
عليها ! .. فتذهل عن نفسها وتقف مشدوهة باهتة لاتنبس
ولا تحير !

فهل عرفت هذه التماثيل المرمرية التى تقف صامطة
كالالغاز فى المتاحف ودور الآثار ؟ لقد كانت كليستو أشد
منها تحجرا عندما شاهدت ابنها بعد هذه السنين الطوال !

ولقد خشيت أن تزعجه بوجودها ، لان الصيادين
لا يرهبون من ضواري القاب شيئا كما يرهبون الدباب ،
فحاولت أن تختبئ وراء شجرة أو نحوها ، ولكن ..
هيئات ! فلقد عجزت عن الحركة المجردة لما تولاهما من
الحيرة والارتباك !

والثفت أركس ففزع أيما فزع لوجود دبة متوحشة
كبيرة الجرم على مقربة منه ، وهو غير متهيب للرماية ،
فارتبك لحظة ، ثم تناول قوسه بيد مرتجفة ، وأصابع
مرتعشة .. ولكنه ، ويا للعجب ! أحس ببريق غريب
ينبعث من عيني الدبة ، وشعر بخنان وعطف يتحركان
فى صميمه من أجلها ، وحاول ان يتعرف مصدر هذا
الحنان فلم يستطع ، وضاعف دهشته أن الدبة سمرت
مكانها دون ما حراك ، وان دموعا حارة أخذت تنسكب
بفزاراة من عينيها اللتين جعلتا ترنوانا اليه ، وما تريمان
عنه ! !

وكم كانت كليستو تتمنى لو تقدر على الكلام فتقص
حكايتها على ابنها ، بيد أنها خافت أن تضاعف انزعاجه
بصراخها الحيوانى المخيف .. فصمتت .. وتكلمت

عبراتها ! .. ثم ..

سدد أركس سهمه الى رأس امه ، وكاد السهم المميت يمرق فيودي بحياة أعز الامهات .. لولا أن زيوس .. الاله الذى طال رقاده ! .. كان يسمع فى تلك الاونة ويرى ، ولولا أن تحركت فى قلبه الرحمة هذه المرة ، فلم يبال التدخل فى سحر زوجته - حيرا الخبيثة - فأطلق لسان كليستو ، وصاحت فجأة :

« أركس .. ابنى العزيز .. أنا هى .. أنا هى أمك .. » وسقطت القوس من يد أركس .. وكانت مفاجأة مشجية ! وظل الفتى يرمق الدبة عن كذب وهو لا يصدق ! وقال لها :

- « ماذا تقولين ؟ أدبة تتكلم ؟ أم من ؟ .. من أنت ؟ »
- « أنا هى يا بنى .. أنا كليستو أمك البائسة .. فعلت بى حيرا ماترى .. خمسة عشر عاما يا أركس وأنا أتعذب وأبكى من أجلك فى هذه الغابة المتوحشة ! .. »
ولم ينبس أركس ببنت شفة ، بل تقدم مهدما من الهم ، فعانق أمه .. ووقفا لحظة يبكيان !!

ثم تدفق حنان السماء ، وامطرت رحمة الالهة ، وأمر زيوس فحملا الى الاولمب .. أركس وأمّه ، ومن ثم أطلقهما رب الارباب فى السماء الخالدة ليكونا برجين من أبراجها ، لا نزال نراها الى اليوم ، ولا نزال نحفظ لهما بعنوان المأساة المؤلمة اذ نسمى الام « الدب الاكبر » ونسمى الابن ، أركس الحبيب « الدب الاصفر » .. ولا نزال حيرا القاسية تنظر اليهما وتتميز من الغيظ (١)

(١) أورد الأستاذ جريس هـ . كيفر فى كتابه الجميل عن اساطير اليونان زيادة فى اخر هذه الاسطورة لم يأت بها غيره ، بل لم يشر اليها أحد من مؤرخى الاساطير . والزيادة - اذا صلق حدسنا - هى من ابتكار الأستاذ ، ولذا لم نر أن تكمل بها قصتنا

يوم قيامة وطيش فيتوت



عاد الفتى الساذج فيتون الى أمه الحسناء الهيفاء كليمين ، بعينين مفروقتين ، ونفس مكلومة ، وفؤاد خافق متصدع ، فجرى بينهما هذا الحديث :

- مالك يا حبيبى ! لماذا تبكى ؟

- .. ؟ ..

- لا . لا . لا . فيتون يبكى ؟ هذا عجيب ! أكون أبوك أبوللو وتبكى ؟ !

- أبوللو أبى ؟ كذب ، كذب ؟

- كذب ؟ وكيف يافيتون ! أمك كذابة ؟

- لا . لا . عفو يا أماه ! انت لا تكذبين ، ولكن ربما يكون كلامك سخرية بى !

- ولم أسخر بك يا بنى ؟

- الاولاد فى المدرسة يفمزوننى فى أبى ، وكلما حلفت لهم ان أبى أبوللو ضحكوا !

- دعهم يضحكوا يافيتون . ماذا يضرك ؟

- يضرنى أننى لم يعد لى وجه أريق ماءه بينهم ، لا بد اذا كان أبوللو أبى ان القاه

- تلقى أبوللو ؟

— ولم لا ؟ أليس كل الانشاء يلقون آباءهم ؟ فلم لا القى
أبى ؟ أنا بدع من الناس ؟
— لست بدعا ، ولكن أبوللو فى بلاد بعيدة .. انه فى
الهند !

— ولم لا أذهب الى الهند لارى أبى ؟ صفى لى الطريق
بحق الآلهة عليك يا أمه
— اذهب الى الأرض التى تشرق من أفقها ذكاء . فهناك
ترى أباك

وذهب الى الهند التى تقع فى مشرق الشمس مباشرة ،
وكان عند شاطئ المحيط قصر باذخ منيف ، لا يبلغ البصر
مداه ، ولا يدرك الطرف أوله ولا آخره .. وكان مع ذلك
قائما على عماد رفيعة من ذهب ركبت فيها ماسات كبيرة
ذات سناء وذات لآلاء . وكان سقفه العظيم المطعم بالعاج
المصقول يلمع ، ويكاد سناه يذهب بالابصار ، أما أبوابه
فصيفت من الفضة الخالصة ونقشت فيها أبهى الرسوم ،
وافتن فلكان فصور فوق الجدران بالرسم البارز الأرض
والبحر والسماء بما فيها من قطان ، فأقام فى الأرض غابها
وأدغالها ومدنها وأنهارها وجبالها ووديانها .. حتى
آلهتها . وأبرز فى البحر عرائسه المائسات الفاتنات ، فجعل
منهن سابحات يتواشن فوق الموج ، وجالسات على النوى
يمشطن شعورهن الداكنة التى تحكى خضرة البحر ،
وراكبات على ظهور السمك وحيوان الماء يتلاعبن
ويتضاحكن .. وجعلهن ذوات صور متشابهات وغير
متشابهات ، دليلا على حذقه وجليل قدرته ، وجعل
فوق هذا كله صورة السماء بكل بروجها الاثنى عشر ،
بحيث جعل منها ستة الى اليمين ، ومثلها الى اليسار ..
خلق فلكان ، ومن أحسن من فلكان خلقا (١) !

(١) ليزكر القارىء أن القصة أسطورة

وهكذا كان قصر الشمس آية من آيات الفن عجبا ، ومع
هذه الابهة البالغة والعظمة الاخاذة ، فقد تقدم فيتون
غير هيب ، ودخل فى غير وجل ، وكان يلمح اللمحة من
الرسوم الجميلة والتصاوير الساحرة ، ثم يسلك سبيله
قدما حتى كان فى البهو الاعظم الذى يستوى فى صدره
أبوه ، على عرش ممرد ناصع ، تنعكس منه أضواء لامعة
خاطفة ، تبهر الانظار ، وتخفى الابصار . وسار الفتى
مسافة قليلة ، ثم وقف مكانه عشيا من شدة الخطف
والايماض ، ولم يدر ايان يذهب ، وكان أبوه متشحا بوشاح
فضفاض أرجوانى ، وعن يمينه وعن يساره وقفت الايام
والشهور والسنون ، ثم الساعات فى صفوف منظومة
متلاحقة ، ثم وقف الربيع — وتمثله هنا امرأة — وفوق
رأسه اكليل جميل من الغار والزهر ، ومن بعده وقف
الصيف ، وقد نضا جيب قميصه عن صدره ، وقبض على
حزمة من سنابل القمح الناضجة يمينه ، ثم هم الخريف
متهاككا على نفسه ، وعلى قدميه أثارا من عصير العنب ..
أما الشتاء ، فقد بدا شيخا وقورا جلل الشيب رأسه ،
وتراكم الثلج والبرد على شعره الناصع
وقد لمح أبوللو ولده فيتون حيث سمر مكانه ، وقد
خطفت الاضواء بصره ، وأخذته المنظر العجب الذى سحره
عن نفسه ، فيهتف به ويباركه ويقول :
— فيتون ! فيم قدمت يا بنى ؟ لامر ذى بال ، ليس من
ذاك بد ؟

— أوه ! يانور السموات والأرض يا فوبوس (١) ! يا أبى
ان أذنت لى أن أناديك بهذا النداء ! ان كنت حقا ابنك
فزودنى ببرهان أقدمه للناس حين أقول انى انا ابن أبوللو
— برهان ؟

(١) أحد أسماء أبوللو

- أجل ، هب لي من لدنك برهانا يثبت أبوتك لي ،
فلقد استهزأ بي التلاميذ ، ففضحوني في بنوتي لك لأبد
من دليل ، هل تسمع ؟ لأبد من دليل !

- لا عليك يا بني ! لك ما أردت .. على أنه كان ينبغي
أن تصدق كل ما قالت لك أمك ، وأنا من جهتي لست
أنكرك ، فأنت ابني وأنا والدك ، والان سل ما شئت فاني
مانحك ايا ما تريد

- صحيح يا أبى ؟

- أولا تصدق ما أقول ؟

- بلى ، ولكن ليطمئن قلبي !

- صحيح يا بني ، وأقسم لك بهذه البحيرة المقدسة التي
يحلف بها الآلهة !

فيتلفت فيتون حوله ليرى البحيرة ، ولكنه لا يجد لها
أثرا ..

- وأين هي تلك البحيرة يا ابتاه !

- ولد ظريف يا فيتون ! أنا ما رأيته قط ، ولكننا نحلف
بها في كل أمر جلل يا بني !

- أذن هب لي أن أسوق محفة الشمس يوما واحدا
بدلا منك

- وى ! فيتون ! اى طلب هذا ؟

- لأبد !

- محال يا ولدى ! أنت حدث ، ثم أنت بشرى من بني
الموتى ! سل ملء الارض ذهباً أمنحك ما تريد ! أما هذا ،
فلا !

- كلا ، كلا .. لأبد ان أسوق محفة الشمس من المشرق
الى المغرب ليراني سفهاء التلاميذ ، وليتأكدوا اننى ابن
أبوللو ! !

- انها ستحرقك وتحرق التلاميذ اخوانك قبل أن

بروك !

- لا .. لن تحرقنى ، أنت قادر على أن تجعلنى أحتمل
كل شيء ! .. ألسنت الالهة ؟ ..

- بلى ، ولكن ..

- لكن ماذا ؟ لأبد ، لأبد ، محال أن أسألك شيئا آخر !

- يا بني ، ان هذا ليس في طوقك ، انك ضعيف صغير ،
والعمل الذى تطلب أن تتولاه شاق حتى على الآلهة ، انى
أقوم به والرعب يملأ قلبي ، وأنا ، من أنا يا فيتون .. ان
سيد الاولمب نفسه ، الاله الاكبر زيوس ، جل سناؤه ،
وتقدسست أسماؤه ، لا يستطيع أن يسوق عربتى الملتهبة
ذات اللظى يوما أو بعض يوم ، فما بالك أنت ؟ ان الثلث
الاول من الطريق صعب المرتقى لانه يميل قليلا قليلا عن
خط العمود ، وخيلي ترقى مزالفه (١) فى صعوبة ليس
بعدها صفويرة ، والثلث الثانى عال شديد العلو ، لانه يرتفع
فوق قمة العالم ، حتى لاجزع انا نفسى من ان أنظر الى
أسفل تقية للدوار ان يأخذ فى رأسى (٢) حين أرى الى
البحر المتمرد والبطاح الشاسعة والجبال الشم تزدلف من
تحتى ، اما الثلث الاخير ، فحدود شاق كمهاوى الجبل
اذا وقفت عليه فوق شعفته (٣) ، ولذا فهو يقتضى الحذر
وحصر البصر ، حتى ان تاتيز الواقف فى نهايته ليتلقانى ،
يرتعد من الخوف على ، والرثاء لى ، خشية أن أتردى فى
هاوية اللانهاية هذه ، ولا تنس السماء التى تجرى فوقى
لمستقر لها ، بكل ما فيها من كواكب وأجرام ، فاذا غفلت
لحظة ، او أخطأت قيادة العربة ، جرفتني فى دورتها الى
حيث لا أعلم أين تذهب او تستقر بى . ثم تدبر معى
قليلا يا فيتون ، اذا انا سمحت لك بقيادة العربة ، فماذا
يصيبك من الهلع حين تنظر الى السفلى فتسرى الارض

(١) المؤلف : المراقى (٢) هذه عبارة القاموس (٣) قمته

تلف ، والسباع تهمهم في الادغال ، والناس يظنون المدن ،
والآلهة تطل من قصور الاثير ، والاشباح تسرى حواليك
كالمسافرين ؟ ماذا من الروح يعتريك يا ولدي ؟ هل
تستطيع ان تكبح جماح الخيل او تملك الا يفلت العنان
منك ؟ انك ستمر بين قرني الثور امام الحوت ، وعلى
مقربة من فكي العقرب وذراعي السرطان (١) . . يا بني !
هل تستطيع ان تقود الخيل التي تنفث اللهب من مناخرها
وأفواهها وسط هذه الدني الدائبة ؟ اختر لنفسك يا بني
ولا تجعل الناس ان يقولوا أهلكه أبوه »

وتثبت فيتون ، وركب رأسه ، ولم يشأ أن ينكل قيد
شعرة ، فلم يسرع أبولو الا أن ينطلق به حيث عربية
الشمس ؟ العربية العظيمة المظهمة ، المصنوعة كلها من
الذهب الخالص ، وقليل من الفضة المزركشة باللآلئ
والجواهر ، وأحجار الماس التي تعكس أشعة الشمس
جميعا فتضاعف أضواءها ، وتزيد كثيرا في لالائها

وتقدمت أورورا ربة الفجر ففتحت أبواب المشرق ،
ونضرت بالورد طريق أبولو ، ثم أخذت النجوم تثب
كالحمائم قبل المغرب ، وفي أثرها نجمة الصبح فريدة كأنها
الورقاء . .

وتلفت أبولو الى الساعات المنتشرة عن جانبيه ، فأمرهن
أن يسرجن الخيل ، فأطعن ، وقصدن الى الاسطبل الكبير
حيث وجدن الخيل قد التهمت كفايتها من العلف المقدس ،
فوضعن في أفواهها اللحم ، وأسرجنها بكامل عدتها . .

وتناول أبولو وجه ولده فنضحه بطيوب الهية ، وضمخه
بدهن كريم ، ثم قطر في عينيه قطرات من ماء أولمب ، كي
يقوى الفتى على تحمل الحرارة الفائقة ، والصبر لضوء

(١) كل هذه أسماء بروج في السماء

الشمس القوي ، ثم وضع على رأسه الصغير هالة النور
الربانية ، وأشار اليه فاستوى على العربية العظمى التي تجر
الشمس ، فتسير أقطار السموات والارض ، وقال يوصيه :

- « أي بني ! ها انت قد استويت على عربية أبيك
التي ماقادها من قبل أحد غيره ، ولا يقدر عليها أحد
سواه ! أي بني فاشدد اليك أعنة الخيل ، وتجنب أن
تلهبها بهذا السوط ، فهي قد مرنت على الطريق ، وهي
لا تبطئ حتى تحتاج الى أن تساط . أي بني ولا تنحرف
عن شمالك أبدا ، وظل منتهجا سبيل الاستواء الذي
هو الدائرة الوسطى من الدوائر الخمس ، واحذر ان تعلو
الى الدائرة العليا أو أن تسفل الى الدائرة السفلى ،
وسترى آثار رحلاتي من قبل ، فسر على دربها تصل ان
شاء الله . أي بني ولا ترتق معارج السموات فتصيب
مساكن الآلهة ، ولا تهو قريبا من الارض فتجعل كل ما فيها
هشيما جرزا ، بل خذ الطريق الوسطى أبدا ، فان خير
الامور أوسطها . . فاذا أفلتت الازمة من يدك ، فظل
حيث أنت ، ولا تذهب مذاهب شتى في رحب السماء .
وسأتولى انا بعد ذلك انارة الارض والسموات . أي بني
وما دمت قد اخترت لنفسك برغمي ، فلا أقل من أن
تعني نصيحتي والسلام عليك »

ورد فيتون على أبيه السلام . . وانطلق من أبواب
المشرق ، وطفقت الخيل الصافنات تنفث اللظى فتموء
السحب بالذهب ، وتسبق أنفاس النسيم التي تهب هي
الاخرى رخاء من أبواب المشرق . .

وعجبت الخيل بعد شوط قصير من هذا الحمل
الخفيف الذي لا عهد لها به ، وعجبت أكثر حين أحست

بالعربة تتأرجح خلفها كالزورق الذي ليس له صبرة (١)
ثبت به في مهب الاعاصير

وجمحت الخيل .. وانطلقت في غير طريقها المعهود
.. ولأول مرة ارتفعت حتى كادت تلامس الدين الأكبر
والاصغر ، فشار ثأثرهما من لفح الحر ، ولأول مرة كذلك
تحرك الشعبان المتحوى فوق نجم الشمال حين أحس
الدفء فنفت سمة الزعاف ، وفرت من طريقه الكواكب
.. ونظر فيتون تحته ، فرأى الأرض تلف كالخدروف
فربيع قلبه ، وزلزلت نفسه ، وسقطت من يديه أغنية
الخيال فجرت به في السفلى حتى اقتربت من الأرض ..
ونظر ورائه .. فرأى أنه لم يقطع من الثلث الأول إلا
أقله ، ثم نظر أمامه فوجد أكثر الطرق وأوعره ، فزادت
حيرته ، وأسقط في يده ، وترك كل شيء للقضاء والقدر
.. وضاعف ربكته نسيانه أسماء الجياد .. وحدث أن
ارتفعت هذه فجأة ، حتى كانت قاب قوسين من فكي
العقرب ، ذلك الهولة المخيف الذي أوشك أن يبتلع
العربة بمن فيها .. وشدهت ديانا ربة القمر حين رأت
عربة أخيها تتخبط في الأفق ، وتصطدم بالكواكب ،
فتحدث الشهب ، وتحرق العوالم السماوية : « ترى
ماذا أصاب أبوللو ؟ مسكين ! لابد أنه نام . على كل حال
سيستيقظ ! » ولكن العربة هبطت فجأة حتى صارت في
سماء الأرض ، وحتى صارت الأرض منها على مدى رمية
سهم .. فما هي إلا لحظات حتى شبت الحرائق في كل
الارحاء .. هاهي ذي الغابات العظيمة تشتعل .. وها
هي ذي السن النيران ترقص في كل فج .. وهاهي ذي
الوحوش تجري هنا وهناك ثم تسقط في كل البقاع ..

(١) الصبرة والصبرة : الحجر الذي يضعه الملاح في قمر زورقه حتى
لا يميل فيفرق ، ويسميه الملاح (الصابورة)

والمدن ! المدن العامرة الآهلة .. انها تحترق بمن فيها من
شيوخ ضعفاء ونساء وولدان .. اما الشباب ! فواأسفاه
على الشباب ! انهم يجرون كالجان الى البحار والمحيطات
والانهار والينابيع ! وهاهم أولاء يقذفون بأنفسهم فيها .
ولكن ! واأسفاه : ان مياه البحار والمحيطات والانهار
والينابيع تفلى وتفور ، ويعب عباها بالحمم ، فالشباب
يستجيرون فيها من الرمضاء بالنار ! لقد بادت أمم ،
واختبأت أمم في الفيران والكهوف وشقوق الأرض والجبال
.. أما الطيور فقد خربت أوكارها ووكناتها ، ولم يسلم
منها الا ملاذ بأفحوص أو أدحى (١) .. ومسكينات
عرائس البحار ! لقد شحبت ألوانهن ، وذوى جمالهن
وغصن في الأعماق مع السمك يلتمسن الماء البارد ،
ولجأت أسراب منهن الى البحار الجنوبية ، وآثرن أن
يعاشرن البنجوين ! .. اما قمم الجبال العالية التي ظلت
منذ الازل الأولى مجللة بركام الثلج ، فقد خلعت حللها
الناصعة ، وحلت عمامها المخملية ، وصارت تلتهب ..
فهذه طوروس السماء وتلك القوقاز العاتية ، وهاتيك
الألب المزهوة كلها تلتهب .. كلها تقذف بالحمم .. حتى
أولب مشوى الآلهة ، لقد غدا كومة عالية جدا من النار

ولقد كانت الصحراء اللويضة فراديس يانعة ولكن
فيتون المجنون حولها الى رمال وكثبان ، ولولا أن أدخل
النيل رأسه في كتيب مهيل منها لجف مأوه ، وتبخر في
السماء كله ، ليجرى في كوكب آخر ! وهكذا فعل الفرات
وأخوه ، وكذا صنع الكنج والسند .. فشكرا لكل
الانهار التي ضحت بنفسها من أجل سعادة البقية
الباقية من النوع البشرى !

(١) الأفحوص عش في الأرض ، والادحى بيت النعام

ياله يوم قيامة ؟ • لقد ضجعت الآلهة فى الأرض ، وكلما حاول نبتيون الجبار اله البحار أن يخرج رأسه من اليم ليجار بالشكوى الى أخيه كبير الآلهة ، خاف وذعر أن تحرقه الشمس الهوجاء التى يسوق عربتها فيتون .. ولولا أن جازفت أمنا الأرض فبـرزت من المحيطات وهتفت بزيوس العظيم لاصاب من بقى العذاب الاليم .. لقد قالت له : (يا جوف العلى ! يارب الارباب ! اصنع الى ، واستجب لدعائى ! ما هذا الذى نامت عينك عنه فذهب بزرعى وضرعى ؟ أهذا جزاء خصوبتى وما تهب عبادك من حب وأب وعنب وقضب وحدائق غلب ؟ ! أهكذا تكون عاقبة اخلاصى فى مكافأة عبادك الذين يقيمون لك الهياكل ويبنون باسمك الصوامع والمعابد ؟ ماذا من القرابين يارب الارباب يذبح باسمك بعد أن يهلك كل ما على من قطعان وأسراب ورعال ؟ ثم هذه العوالم التى ما أنشأتها الا بعد عناء وجهد ؟ كيف تدع هذه الشمس الرعناء تأتى عليها جميعا ، وتصير كل شىء فى ملكك الى هيولى ؟ استيقظ يا جوف واستمع ، وأدركنا بلطفك هذه الساعة التى نحن فيها أشد مانكون فى حاجة اليك »

وهب جوف من سباته العميق على جوار ربة الأرض ، وأبصر فرأى ماحل بالعالم الجميل من تدمير ووبال .. فألم وتصدع .. ونظر الى عربة الشمس ينتفض فوقها غلام يافع عرف فيما بعد أنه فيتون ابن أبوللو فهاج وماج ، وأخذ صاعقة من أكبر صواعقه وأقتلها ، ثم أحكم تسديدها الى الراكب المجنون .. وأرسلها تقصف وتعزف .. وتهز الافلاك . فأصماه وأرداه !!

وسقط الغلام الاحيمق من علو العالم يتقلب فى نهر اريدانوس المتدفق فى سهول ايطاليا .. حيث مات ..

وأستراحت الدنيا كلها منه ! وعادت الشمس الى ربها .. أبوللو المسكين .. فهو يجرى بها الى اليوم لمستقر لها ! أما كليمين البائسة ، فهى الى اليوم تبكى ولدها .. وقد بكته معها أخواتها ، وكن فى كل صباح يذهبن الى النهر الذى سقط فيه فيسكن دموعهن ، حتى رثت لهن الآلهة ، فسحرنهن الى ايكات ثلاث من شجر الحور ، فهن حانيات على النهر منذ ذلك اليوم

وكلما سكن دموعهن حارت الدموع الى كهرمان كريم وحزن سيكنوس ، صديق فيتون ، على خدن صباه ، فجمع رفاته ، وبنى لها قبرا من الرخام تظله الشجرات كتب عليه : « ما أتعس الانسان اذا احتاج الى برهان على أنه ابن فلان ! »

بلوتو يخطف برسفونية

أسطورة الريح



كانت ديميتر الطيبة (١) ، ربة الخيرات ومغدقة البركات ، الرحيمة البارة ، ملونة الزهر ومنضجة الثمر ، وأهبة الحقول خضرتها والبساتين نضرتها .. كانت ديميتر الطيبة تسكن في قصر منيف يشرف على سهل انا Enna ، أروع سهول جزيرة صقلية جمالا وأعذبها وأطيبها هواء ، وكانت حين يتنفس الصبح ، تلبس تاجها اليانع الذي ضفرته من سنابل القمح ، وتتناول باقة من زهرات الخشخاش ريانة ، وتقبض بيمينها على صولجانها العتيد ، المرصع بالزبرجد ثم تستوى في عربتها المطهمة ، فتنتقل بها الصافنات الجياد تجوب أنحاء الأرض ، وتمر بكل مزرعة ، وتقف عند كل كرمة ، تهب القمح من نفحاتها فيربو من بركاتها ويزكو ، والينع من أنفاسها فيطيب . ثم تعود اذ يجن الليل ، فتهرع اليها ابنتها الصغيرة

(١) برسفونية اليونانية هي بروزور عند الرومان ، ربة الربيع . وهي بنت ديميتر ربة القمح والخصب ، ويسمونها الرومان سيريز Cérès وكان هؤلاء يقدسونها ويقدمون لها القرابين من الخنازير خاصة في عيدها العظيم الذي كانوا يسمونه Cerealia وكانت لوائح مجلس الشيوخ الروماني تحتفظ بها عادة في معبد سيريز . وقد اشتقوا من اسمها اللفظة Cereals للحبوب

برسفونية فرحة متهللة ، لافة ذراعيها الجميلتين حول ساقى أمها ، كأنما تبثهما ما في قلبها الصغير من لوعة وغليل ؟

وكانت الفتاة برسفونية - تقضى سحابة النهار ، الى أن تؤوب أمها ، في سرب من أترابها ، بنات الغاب الحسان فيظللان يقطفن الزهر ، ويجمعن الرياحين ، ثم تنشب بينهما معركة حامية من معارك الطفولة ، وملحمة صاخبة من ملاحم الصبي ، فيتراشقن بالورد ، ويترامين بالزنبق الغض ، ويتضاربن بأفواف السوسن .. وهن فيما بين هذا وذاك يقرقعن بالضحك ويتبادلن النكات ، ويتفننن الاغاريد ، فتستجيب الغابة لهن ، وتترقرق الفدران من تحتهن ، وتهدل الاطيوار من فوقهن ، وتمتلئ الدنيا حولهن نشوة وحبورا

وكان بلوتو : اله الموتى ، ورب الدار الآخرة ، قد مل هذا السكون المخيم في مملكته تحت الأرض : هيدز ، وسئم هذه الاشباح التي تطيف به هنا وهناك في الظلمات المحيطة به ، وأرواح الموتى تشن وتتوجع في كل مكان من ملكه الموحش الحزين ، فأسرج عربته الضخمة ، وألهب جيادها بسياطه القاسية ، فانطلقت تعدو به الى .. الدار الاولى . هذه الحياة الدنيا !

خرج بلوتو يروح عن نفسه ، وينشق هذا النسيم الحلو الذي يغمر ملكوت أخيه زيوس ، ويروى روحه الظامئة بالتفرج على عرائس الماء وبنات الغاب ، اذ أبين جميعا أن يشاركته ملكه الرحيب ، ورفضن التزوج منه ، برغم ما أغراهن به من اللآلئ واليوافيت

وفيما هو ينهب الأرض بعربته ، اذا به يسمع في غيضة قريبة ، ضحكات مرنة ، وأصواتا موسيقية ، وأحاديث كأنها دنائير من ذهب في كف صير في حذق ! فساقه الفضول

الى استكشاف أولئك الفيد اللائي يتضحكن هكذا ، كأنما
يترنمن بالشدو ، ويرجعن بالفناء ! ففرق العساليح التي
كانت تحجبهن ، فرأى البسودور البيض على الحشيش
الأخضر ، كأنهن نغمات حلوة تنطلق من أوتار أرفيوس !
وجن جنون بلوتو ! . وأقسم ليخطفن هذه الفتاة
الخدلجة المشوقة التي تدل على الجميع كأنها فينوس في
دولة الحب ، أوديانا تخطر بين أماليد !

« الام أظل في هذا الديجور الحالك وحدي ؟ ! وحتام
أقاسي منفاى السحيق من غير صديق أو رفيق ؟ ! وما
قيمة ملكي الشاسع ، وأنهارى الفائرة بالحمم مادمتم
لا سمر لى ولا مؤنس ، إلا زبانيتى وكلايى ؟ والاشارون (١)
المسخ الكئيب ؟

لقد مللت ؟ ولا بد لى من هذه الكاعب الحسناء ، والفادة
الهيفاء ؟
ان لها لهما رقيقا . . . وانها لتنشئ كالقطن ، وتخطو
كالقطاة !

يا للشدين . . . !

مالهما بارزتين هكذا ؟ أتطلبان حضنا قويا كحضنى ؟
أم يملؤهما لبن الالهة ، ورحيق السموات ؟ !
يا للفخذين الملتفتين المثلثتين ! !
انهما مترعتان باللذة ، فياضتان بالاغراء والفرغيب !
مالهما تنفجان شهوة هكذا ؟ !

وهاتان حماتا (٢) الساقين ! ويلى عليهما وويلي منهما ! !
انهما حماتان خبيثتان كأبرع ما تنحت يدا فنان ! انهما
تمثلتان لذادة ، وتطلقان رقى السحر فى قلوب الناظرين !

(١) شارون حارس بوابة الجحيم ونوتى انهارها
(٢) حماة الساق أو ربلتها : بطنها

كورتا تكويرا خفيفا من فوق ، وانعقد دهاء الفتنة عند
التفاف العضل ، فأفعمهما رغبة واشتهاء ! !
وقدماها ! !

ياللعقبين المستديرتين ، والجنة النائمة فيهما ! !
والذراعين الناعميتين !
والظهر العاجي الناصع !
والشعر الذهبى يداعبه النسيم كأنه خصلة من ظلال
الخلد ! !
ويلي !

أنا لا أرى إلا هذه الأعضاء السايبة ، وأغفل عن هذه
الابتسامة التي ترف حول الفم ! !
انها أجمل من زهرة التفاح فى أوائل فصل مايو ، وأرف
من بتلات أزهار اللوز فى شهر ابريل ! !
تلمظ يافمى ، فانك ظمىء الى قبلة تطبعها على هاتين
الشفيتين الأقحوانيتين !
وسمع احدى الفتيات تناديهما : « برسفونيه ! أنظري
هاك بنفسجة حلوة ! »
فتحدث الى نفسه :
« برسفونيه !

هذه عروس الربيع اذن ! ابنة ديميتير من أخى زيوس !
لقد كبرت وترعرت ، ونهدت ، وطابت فى جسمها البض
ثمرة الحياة ! !

اغفر لى يا أبى ساترن (١) ! سامحيني يارها (٢)
سأخطفها ! سأجلسها بجنانى على عرش هيدز

(١) تزوجت السماء (أورانوس) والارض (جى) فأعقبت آلهة كثيرة
منها ساترن الذى أعقب بدوره الالهة زيوس رب الاولب وبلوتو
رب الموتى وهستيا رب النار المقدسة وديمتر وحيرا الخ ومن
أشهر أبنائه يوسيدون رب البحار
(٢) رها زوجة ساترن وأخته

ستصبح مليكة دار الموتى ! ستنقش ظلمات ملكوتى بوجهها
المشرق الجميل . . .

لن أشعر بشقوة ، ولن أحس خبء فى ملكى ! انها
ستكون جوهرة التاج وفتنة العرش ، وستجد الارواح
تحت قدميها المعبودتين !!

سأترك لها ان تغفر وتثيب ، وسأدع لها مقاليد السفلى
تصنع فيه ما تشاء ! »

ثم ألهب جياده فانطلقت نحو الفتيات ، ولشدهما تفرعن
اذ لمحن وجهه الاغبى ، يتدلى عليه شعره الاشعث . والظلال
المظلمة تتخيل فوق جسمه كالسمادير (١) !
ولقد كان كلبه سير بيروس ، ذو الرؤوس الثلاثة ،
يلقى الرعب فى القلوب !

وفر الحسان مذعورات . . . الا برسفونيه ، فتد
قبض بلوتو على ذراعها الرخصة وجذبها اليه فى العربة ،
وذهب يسابق الريح ويلحق البرق ، حتى اعترضه ماء
نافورة اخذ عليه سبيله . وسرعان ما فار الماء كالتنور ،
وصار يغلى كالحميم ، حتى خشى بلوتو الجبار ان يعبره ،
وأوجس ، ان هو انثنى عن طريق آخر ، ان يضيع الوقت ،
وتفلت الفرصة ، وتروح ديميتير تفتقد ابنتها حتى
تستنقذها من يديه . فتناول صولجان الهائل ، وضرب
به الارض فرجفت وزلزلت وانشقت عن اخدود كبير
بعيد الغور . . .

وكانت برسفونيه قد أفيقت من هلعها ، فلما رأت
النافورة تغلى وتصطبغ ، أدركت ان احدى عرائس الماء
قد عرفت من أمرها كل شيء ، وانها قد تستطيع ان تؤدى
لها خدمة فى ذلك المأزق الحرج ، فحطت (برسفونيه)

(١) الظلال التى تترأى فى عين كليل البصر

زنارها الحريرى الأبيض ، وألقت به عند ضفاف النافورة
عسى أن يصل يوما الى أمها عن طريق هذه العروس ، فتعلم
أين هى ، وماذا تم من أمرها
وانطلق بلوتو فى ظلام الاخدود حتى وصل منه الى
مملكته . . . هيدز ! فاستوى على عرشه مثلوج الصدر
خفاق الفؤاد !

ثم طفق يترضى برسفونيه بشتى الوسائل ، وهى
لا تزداد الا شماسا ونفورا . . . طاف بها أرجاء مملكته
الشاسعة ، وأراها شيطان ستيكس وأشبيرون وليث ،
وسائر أنهار الجحيم ، ثم خاض بها وادى الأفاعى والعقارب .
ومدينة الزنابير واليعاسيب ، والدرك الاسفل من النار
حيث المنافقون والكذابون ، وحديقة الخونة واللصوص
ذات الأشجار من لظى ولهب . . . ولم يفقه المغفل أنه
كان يضاعف فزعها أضعافا مضاعفة كلما مر على منظر
جديد من ملكه البغيض !!

وعادت ديميتير فى المساء ، ولكن برسفونيه لم تهرع
للقائها كعادتها ، فحسبتها نائمة . . . بيد أنها لم تجدها
فى مخدعها ، فافتقدتها فى جميع الغرفات ، ولكن عبثا
حاولت أن تقف لها على أثر ! فاضطربت نفسها بالوساوس ،
وخرجت تبحث عنها فى الحديقة ، فلم تجدها كذلك !
ريعت الأم وارتعدت فرائصها ، وانطلقت تعدو وهى
تصيح كالمجنونة :

« برسفونيه ! برسفونيه ! أين أنت يا برسفونيه ! »
ولكن لسان الصدى — ايخو — هو وحده الذى كان يردد
نداءها . . .
ووصلت الى ابن أخيها هيفيستون (١) اله النار فأغارها

(١) هوفلكان الرومانى

شعلة عظيمة تنير لها ظلمات العالم ، ودياجير الليل ، عسى
أن تهتدى إلى برسفونيه

جاست خلال الغابات ، واخترقت الأودية . وفتشت
الشطوط ، ونفذت إلى أعماق الكهوف ، وجالت في مهاوى
الجبال ، ورقت إلى شعاف الآكام وبحثت عنها في
جميع الآفاق . . . فلم تعثر بها !!

استعانت بالآلهة ، واستنجدت بعرائس البحار ، ولكن
جهودها ضاعت عبثا

وجلست ديميتير كاسفة البال ملتاعة القلب ، تعلو
جبينها عبوسة قمطير ، وتنوء بروحها آلام وأشجان . . .
وأضربت عن الطعام

وآلت لا ينضر حقل ولا يذر نبات ، ولا تثمر شجرة ،
مادامت ابنتها نائية عنها . ! فجفت السهول ، وبيست
سوق الحنطة قبل أن تؤتى أكلها ، وخرفت البساتين
دون الثمر ، فعجف الناس ، وضمرت بهيمة الأرض ، ونشر
الجوع ألوية الخراب في العالمين !!

وانصرف الناس يصلون لزيوس ، ويضرعون إلى
ديميتير ، ولكن الحزن صرفها عنهم فلم تسمع لصلاتهم
ولم تلب نداءهم

وفيما كانت تجوب القفار ، وتطوى المهامه البعيد ، إذا
بها تصل إلى النافورة التي ألقت عندها برسفونيه
بزنارها . .

وانها لتجلس عند حفافيتها تفكر في أعز البنات ، إذا
بعروس الماء أريثودا ، التي لمحت بلوتو يخطف برسفونيه ،
والتي أهاجت النافورة لتقطع عليه سبيله ، تظهر من الماء
فجأة لتري من هذه الجالسة عند دارتها تئن وتتوجع ،
وتعلم أنها الربة ديميتير أم الفتاة ، فتحدث إليها قائلة :
« ديميتير ! عزيز علينا أن تجزعي هكذا !؟ طيبي نفسا

وقري عينا ، فإن بلوتو رب هيدز هو الذي خطف برسفونيه !
وهالك زنارها شاهدي على ذلك ولقد تبعتها إلى الدار
الآخرة احسب أنني أستطيع أن أؤدي لها يدا أو معونة
ولكن الآله القاسى أغرى بى زبانيته ، فانطلقت مذعورة من
اللعين الفیوس فعليك أن تخلصي الفتاة فانها لا تذوق
طعاما ، ويكاد الحزن يصعقها برغم أنها أصبحت مليكة
دار الفناء »

وتناولت ديميتير زناز ابنتها فعرفته ثم طفقت تلقيه
على عينيها وصدرها . . . ساكبة دموعها الغوالي !
وقصدت من فورها إلى زيوس فحدثته بما قالت
عروس الماء أريثونا وأقسمت لديه أن لم يأمر أخاه برد
برسفونيه ، لتهلكن عباده جوعا ، ولتجعلن وجه الأرض
فدفا يبابا . . . لاتسمن بزرع ، ولا تروى بضرع !

فتأثر زيوس من قولها ، وابتسم ابتسامة حزينة ،
ثم قال : « لا بأس من عودة برسفونيه أذن . . . ولكن !
على شريطة ألا تكون قد ذاقت طعاما في هيدز ، مملكة أخى ،
فانها إن كانت قد فعلت ، لاتصلح للحياة فى الدار الأولى ! »
ولسوء الحظ كانت برسفونيه ، بعد امتناعها عن ذوق
شيء من طعام هيدز طوال هذه الأشهر ، قد أكلت في نفس
ذلك اليوم الذى وعده فيه زيوس بعودتها إلى الدنيا ست
حبات من الرمان فحسب ! فلما علم زيوس بذلك ، عدل
حكمه ، ففضى أن تلبث برسفونيه في هيدز عند شقيقه
بلوتو ستة أشهر من كل سنة ، أى شهرا بكل حبة مما
أكلت !! وتعود إلى أمها فتلبث معها ستة أشهر أخرى ،
فيعود بعودها النماء إلى الزروع ، والازدهار إلى الحدائق
عاشت برسفونيه ربة الربيع ! ولا طال على الناس
مغيبتها في هيدز . . . ! عند الشرير بلوتو . . . الذى حرم
الحياة من أن تكون ربيعا كلها !!

مصرع بروكرليس



رأته أورورا حينما كان الصبح يتنفس أنفاسه الندية
العطرة يثب فوق الجبال ويصيد الوحوش بين الادغال ،
فهامت به ، ووقفت تعبده ، وتروى من جماله ، وتسقى
نفسها الصادية أبدا الى كل ريان مفتان .. وحاولت أن
تكلمه فشاح بوجهه ، وتصدت له فأعرض عنها ، ثم انطلق
في أثر ظبي فلم يزل به حتى أرداه ، وانحنى يحمله ..
ولكنه وجد مكانه أورورا ! . وجدها متجردة تمرغ جمالها
تحت قدميه ، فنفر نفرة جرح بها كبرياء ربة الفجر
الوردية ، وجعلها ترمقه بعيني أفعى ، تود لو تنفث في
صدره سمها فتدريه ..

« أنا أورورا ، ربة الفجر والندى ، حبيبة الزنبق
والبنفسج والورد ، لا أروق هذا الانسى المخلوق من تراب !
وحق أبى لأسرته ولاسجنه ، ولاجعلنه يتلوى تحت قدمي ،
ويبكي من أجل قبلة أمن بها عليه ؟ »

وأرسلت رقية من رقاها الساحرة فنشرت الظلام على
عينيه ، والنسيان في قلبه ، وبات لايملك لنفسه حلا ولا
عقدا .. ثم حملته الى كناسها (١) في شعاف الاولمب ،
وحبسته ثمة ، وأذهبت عنه طائف السحر فأدرك ووعى ،

(١) الكناس بالكسر بيت الظبي

وهب مذعورا ، ثم غرق في شيء كالحلم ، لما رأى العماد من
ذهب ، والطنافس من عجب ، والكأس حفاها الحبيب ،
والندامى والطرب ، وكل راقصة كالخيال يراقصها أمرد
كالطيف ، فتميل وتختال ، ويتأود كالسيف .. وأورورا
مع هذا وذاك تدل وتبهرج ، وتفوح وتتأرج ، كأنها ربيع
بأكمله ، زخرف الدنيا بالزهر ، ووشاها بالروض ، وابتعث
فيها المرح والحياة

- أين أنت اذن ؟ سيفال ! أين أنت ؟

- أين أنا ؟

- ألا تعرف ؟ هذه غرفات الاولمب !

- الاولمب ؟ !

- أجل .. أولمب أربابك

- محال ! لن يكون الاولمب هكذا !

- ولمه ؟

- لان الاولمب مأوى الصالحين ! ليس الالهة اجدر منا
بالتقوى ؟ ما هذا ؟ أخمر ورقص وطرب .. وفسق في
الاولمب ؟ لا .. ليس هذا الاولمب . لن يكون الاولمب هكذا !

- بل هو الاولمب ياسيفال ! وليس ماترى هنا الا قليلا
مما هناك ! هل ترى فينوس ؟ ألم تصل لها ؟ انظر من هذه
الكوة فهي تطل على حديقتها !

- وأنا ما شأنى ؟ أريد أن أذهب

- تذهب ؟ تذهب الى أين ياسيفال ؟ لن تبرح عاكفا
على اللهو الذى ترى !

- لا ، لن يقوى الاولمب كله على قهرى !

- ها . ها . مضحك . انت مضحك ياسيفال ! كل
الاولمب ؟

— أوكد لك !

— ولمه ؟

— لاني أحب زوجتي وأقدسها .. انها جميلة جدا

— أجمل من أورورا ؟ أليس كذلك ؟

— أجمل من أورورا لدى كل من ينظر بعيني زوج أمين مخلص !

— أنت عنيد ياسيفال ! أنك تزدريني !

— بل أنا أنتصر للفضيلة التي كان ينبغي أن تنزل علينا

من الاولمب ! من جاء بي هنا ؟

— أنا ..

— ولماذا ؟

— أنت تعرف !

— لا أعرف شيئا .. والذي أعرفه لا يليق بشرف ربة !

أرجو أن تطلقى سراحى ! ..

— أذن أنت تفضل على زوجتك ! أهى أجمل منى ؟ الا

تزال تعتقد هذا يا سيفال ؟

— أنا أفضل زوجتى لأنها لم تتلوث .. وما زلت أقول

أنها أجمل منك لاني أنظر إليها بعيني لا بعينيك !

— زوجتك أجمل من ربة الفجر الوردية ؟

— أجمل من ربات الاولمب جميعا ، الا من تجملن بمثل

روحها ، ولست منهن .

— أيها التعس !

— ولم أكون تعسا وأنا أسعد الناس بزواجى بروكريس !

— بروكريس ! ها ! عرفتھا ، احدى وصيفات ديانا ،

حقيرة مثلك ، أغرب من وجهى ايها القدر اذهب ! اذهب

الى زوجتك بروكريس التي تفضلها على أورورا ، ستمنى

يوما أنك لم تعرفها ، وانها لم تكن زوجتك ، اذهب ، اذهب

وبلغ بيته وهو يلهث من التعب ، ويرتجف مما ألم به ،

فلقيته زوجته الجميلة الحسان بابتسامة شفت صدره

وقبله ذات حميا أذهبت بعض ما وجد .. الا انه كان

ينتفض آنة بعد آنة ، ويعود فيبتسم ، ثم تغرورق عيناه

بدموع نقية كاللؤلؤ كلما نظر الى زوجته ، حتى هجس

وسواس في قلب بروكريس فقالت له :

— ماذا ياسيفال ؟ أتخفى عنى ذات صدرك ؟

— كلا ، ولكنها أورورا ...

— ماذا .. ؟ ماذا صنعت بك ربة الفجر ؟

— كانت تحاول ان تسحرني عنك .. أو .. تشركني

فيك على الأقل ؟ !

— ... ؟ ...

— ولكنها فشلت .. لقد أذلت كبرياءها

— وهل استطعت ؟ انها جميلة وصناع ، ولها في الغزل

الصارخ اساليب خارقة ياسيفال ...

— لقد قهرتها وأساليبها ... ان قطرة من معين

اخلاص ، تطفئ لظى جحيم يا بروكريس !

— لا ريب يا حبيبي .. أنا أمزح فقط ... سيفال ،

عندى لك مفاجأة طيبة

— مفاجأة ! أية مفاجأة يا بروكريس ؟

— تعال ... افتح هذه الغرفة

— أوه ! ما هذا .. كلب عظيم ، من أين يا بروكريس ؟

انه سينفعني كثيرا في صيدى

- ومفاجأة أخرى أعظم ! أنظر في ركن الغرفة !
- هه ! حربة لم أر قط مثل هذه الحربة ! انها ليست
من صنع بشر ! آه ! انها من صنع فلكان لاشك .. ! البشر
لا يجيدون أن يصنعوا مثل هذه !

- أحزر اذن ممن الهديتان ؟

- من الملك !

- واني لى ان يهدى الملك الى ؟

- ممن اذن ؟

- احزر !

- لا أدري !

- انهما من ديانا يا سيفال ! أهديتهما الى هذا الصباح !

- من ديانا ؟ آه ! لقد ذكرت ذلك أورورا ..

- ماذا ذكرت لك أورورا ؟

- انك كنت احدى وصيفاتها !

- وأى ضير على أو عليك فى هذا ؟ أليست هى احدى

تابعات ابوللو ؟ لقد كانت ولا تزال تتمنى أن لو كانت احدى

وصيفات ربة القمر !

- لا ضير ، لا ضير يا بروكريس

- انى أهب لك ما أهديت ديانا الى ! ..

- أشكرك !

- الكلب لا تسبقه الريح ، والحربة لا تخطيء الغرض

وظل سيفال يعود أصيل كل يوم الى زوجته مثقلا
بأنواع الصيد ، وأحب كلبه وحريته حبا لا يعدله الا حبه
بروكريس

- ١١٤ -

واشتهر أمر الكلب فى الاقليم كله وذاع صيته ، حتى
لقد اخطأ بعض أفراد الشعب فى حق بعض الآلهة ، فسلط
عليهم ثعلبا سلقا (١) لم يستطيعوا مكافحته ، ولم تقو
كلابهم له على طراد ، فاجتاح ماشيتهم ، واتى على دجاجهم
وعاثر فى حقولهم ، ونفث فى زروعهم ، ولم يدروا كيف
يكون خلاصهم منه ، حتى سمعوا بـ كلب سيفال فرجوه فيه ؛
كيما يطلقه فى أثر الثعلب فيريحهم من شره .. وانطلق
ليلاب - وهذا هو اسم الكلب - وراء الثعلب ، كما يمرق
السهم عن القوس ، أو كما تمرق النظرة الخاطفة عن العين
النجلاء ، وما انفك يحاوره ويداوره ، وينبح به فيزلزله ،
حتى هم ان يفتك به ويمزقه اربا .. ولكن حدث ان كانت
الالهة تتطلع من قلال الاولمب ، تتفرج بهذا الطراد ، وتشرح
صدورها بمرآه ، فالتفت بعضها الى بعض ، وعز عليها ان
يقتل كلب الهى ثعلبا الهيا أمام الملائ من الناس ، فقضوا
لتوهم ان ينقلب الاثنان فيكونان تمثالين من البرمر الناصع ،
فهما كذلك الى اليوم !!

وأسف سيفال على كلبه ، وانقلب على عقبيه غضبان
أسفا ... ولم يزل فى كل يوم ، وفى مثل تلك الساعة التى
حأقت بـ كلبه العزيز هذه النازلة ، يتوجه اليه ، ويقف
قليلا عنده ، حانا الى ذكراه ، آنا على ماحل به ، ثم ينطلق
بعد ، وفى يده رمح ديانا ، فيصيد الطباء بدون ليلاب
وانطلق مرة فى أثر ظبي فأنهك قواه ، ونال منه الاعياء ،
وانسبح على العشب الأخضر فى دوحه باسقة ، ثم
راح يتخلج (٢) من شدة التعب ، وكان الوقت ظهرا ،
وكان القيظ قد اجج الدنيا حوله ، فتفصد (٣) العرق من

(١) السلق . الدب واستعمل هنا صفة لتوحش الثعلب

(٢) يشكو من التعب ويضطرب

(٣) جرى وتصيب

جسمه المنهوك ، وتراخت عضلاته ، ووهنت روحه ، وأنشأ
يردد كلاما كالأغنية يرسله هكذا :

أين أنت يا نسمة ؟ يا ابنة الربيع اللعوب
يا منعمشة الروح المتعبة ، أين أنت ؟
هلمى يا نسمة ، هلمى الى سيفال ،
فهو مشوق اليك ، يرجو لو تنفسين عنه ،
هلمى يا نسمة ففرجى عن سيفال المضى ،
وهبى على رأسه الملهب ، وصدره المكروب ،
لقد كنت يانسمة ، يا أحلى قبل الحياة
تداعبين جبينى ، وتنعشين نفسى ،
فما ذا حال بينك وبينى ، يا نسمة الربيع ،
وساقية الحب ، ورسولة بين المحبين ..

وكانت أورورا ما تفتأ تتعقب سيفال فى كل فج ، وتراقبه
فى كل حنية ، وكانت تقف فى صورة بلبل فوق رأسه ،
مختبئة فى أفنان الدوحة التى نام فى ظلها ، فلما سمعته
يتغنى غناءه ، ضحكت وأستبشرت ، وانتهرتها فرصة
نادرة للايقاع بينه وبين زوجته ، وانطلقت من فورها الى
بروكريس ، حيث تكشفت لها فى صورة احدى صويحيباتها :

— بروكريس !

— مرحبا بأعز الحبيبات ، ماذا جاء بك فى هذا القبط ؟

— نبأ أسود ما كنت أوثر أن احضر اليك به !

— نبأ أسود ؟ يا للهول ! ماذا ؟

— أرجو الا أثير سخطك على ..

— كلا ... كلا ... عجلى أرجوك !

— سيفال !

— ماله ؟

— أتذكرين يوم رويت لى ما كان من أمره مع أورورا ؟

— لم أنس ! ولكن مال سيفال ؟

— يبدو لى انى لم أكن مصيبة فى تبرئته ! لقد نفيت
شكوكك فيما ذهبت اليه من الميل الى ربة الفجر ، وقلاه
لك لما عرف أنك كنت وصيفة ديانا !

— وماذا حدث بربك ؟

— انه يحب فتاة اخرى اسمها نسمة ! انه مولع بها
أشد الولوع !

— لا أصدق !

— لا تصدقين ؟ وهل أنا كاذبة ؟

— وكيف عرفت ؟ هل أوحى اليك ؟

— بل سمعته يهتف باسمها ، ويشدو بحبها ، ويتغنى
أحر الغناء !

— لا أصدق ، لا أصدق ، سيفال لا يحب واحدة سواى !

— هل لك فى أن تسمعى غناؤه بأذنك يا صديقتى !

— واين هو ؟

— قريب من الدغل (١) الذى عند النبع ... سأحضر

لك حصانا صافنا وغابت أورورا ، ولم تتلبث طويلا ،
بل عادت بعد هنيهة ومعها حصانان مطهمان ، ركبتاهما
وأسرعتا الى الدغل ... وكان فؤاد بروكريس يخفق
كالعاصفة ، وكان وجهها قد شحب وامتعق حتى صار
كالليمونة ، وكانت ألف فكرة تزحم رأسها وتشور فيه
كالبركان ، وكانت ماتنفك تحدث نفسها بالهواجس فتقول :
« نسمة ؟ ترى ما نسمة هذه ؟ عروس من عرائس البحر ؟
أم غادة من غيد السوق ؟ أم ربة كأورورا من ربات

(١) الشجر الكثيف الملتف

الأولب ؟ أهى جميلة ؟ أهى أجمل منى ؟ ألها عيـان
كعنى ؟ ألها روح تستطيع أن تمتزج بروح سيفال بقدر
ما امتزجت به روحى ؟ أهكذا ياسيفال ؟ لقد غلبت اليقين
على الشك يوم أن ذكرت لى أمر أورورا معك ، فلم تعد
الشكوك لتفترسنى ؟ يا ترى ؟ ألسـت تعود الى أصيل هذا
اليوم مثقلا بصيدك كسابق دأبك ؟ حنانيك يا آلهة السماء «
وكانت زفرياتها لا تخفى على أورورا ، فكانت هذه تواسيها
وأقتربا من الدوحة التى نام تحتها سيفال وراح
يغنى ... وأشارت أورورا الى الزوجة البائسة فاخبتأت
فى الحشائش الطويلة القريبه من سيفال ، بعد ان تركت
جوادها بعيدا عن المكان ... وهناك أنصتت بكل سـمعها
وقلبها ، فسمعت زوجها لا يزال يتغنى باسم نسمة ويقول :

يانسمة ، الام أهتف بك يا نسمة

يانسمة يا أحب شىء فى هذا الحرور

تعالى قبلى خدى ووجنتى وجيبنى !

كم أنا مشتاق الى نسمة يا سماء

فابعثها رخيـة ندية ، عـليـلة بـليـلة

تنعش فؤادى وتلج برفيفها صدرى

وكان ما خافت بروكريس ان يكون ! فها هو ذا سيفال
يهتف باسم حبيبته نسمة ويتغنى ، ويتمنى لو جاءته تقبل
خديه ووجنتيه ، وها هو ذا يضرع الى السماء ان ترسلها
اليه رخيـة ندية تشرح الصدر وتلج الفؤاد . فماذا بعد
هذا ؟ واى برهان وقد سمعت الاذنان : « اذن ، لقد كذب
على فى الاولى ، ولن يكذب على فى الثانية » . اذن لقد صبا
فؤاده الى أورورا ، ولا يزال فؤاده يصبو الى الغايات من
كل جنس وفى كل فج . آه للنساء الضعيفات من الرجال
الاقوياء ، ويلى عليك يا سيفال ، ويلى عليك وألف ويل !
وعاثت الوسـاوس فى صدرها ، وانقلبـت أضواء الظهر

الساطعة ظلـاما داجيا فى عينيها الحزینتين ، فأرسلت آهة
عميقة قطعت بها على سيفال غناءه ، فهب الفتى مذهولا
مروعا ، وحسب أن وحشا يتربص به فى الحشيش ، فجمع
قوته ، وتناول حربته - حربة ديانا التى لا تخطىء -
وأطلقها الى المكان الذى صدرت منه الهمهمة ، وذهبت
الحربة لتستقر فى صدر بروكريس ! .. وا أسفاه !

لقد جرى سيفال ليرى هذا الصيد الجديد ، فماذا رأى

- بروكريس ؟ يا للهول ؟ أهو أنت ؟

- ... ؟ ...

وماذا جاء بك الساعة يا حبيبتى ؟

- لا .. شىء .. فقط .. لا تتزوج .. نسمة .. من

بعدى !

- نسمة ؟ أوه ! انها .. لا شىء .. لقد كان الجو

متأججا من الحر يا حبيبتى ... وكنت أتمنى ان تهب

على نسمة من الريح تروح على !

- أحق ... هذا ؟ ...

- هذا هو الحق وحبك يا بروكريس !

- اذن .. سلام ... عليك !

- بروكريس ! بروكريس ! لا .. لا تغمضى عينيك دونى ؟

افتحيهما لسيفال !

ولكنها ماتت ، وماتت بيد زوجها وحبيبها الامين الوفى !

وأرسل الفتى آتينه فى الافاق ، ورفع وجهه ليقبله فى

السماء بالشكوى ، ولكنه رأى أورورا واقفة تبسم

وتضحك ... فجن جنونه ، وانطلق هائما على وجهه ،

لا يلوى على شىء ، ولا ترقأ له دموع ... حتى مات !!

أجنحة ديدالوس



لم يكن في أثينا القديمة على ما اشتهرت به من روعة الفن وكثرة الفنانين ، من هو أمهر من ديدالوس العظيم في نحت الدمى وصناعة التماثيل وهندسة المباني الضخمة . ولقد كان يتنقل بين المعاهد اليونانية ، وخاصة بين كريت وقبرص وأثينا ، لكثرة الدعوات التي كانت تصله من ملوكها ، ليقوم على بناياتهم ، وليتعهد تماثيلهم ، وليشرف بنفسه على هياكلهم ، ليقال في مواضع الفخر ، ان هذا التمثال ، أو تلك الدمية ، أو هذه الزخرفة من عمل ديدالوس

واستفاضة شهرته ، وذاع صيته ، وملا الخافقين اسمه ، ولا سيما اذ شاد اللابيرنث (التيه) لمينوس ملك كريت ، واللابيرنث عمل من أجل الاعمال الهندسية القديمة ، ان لم يكن أجلها جميعا . ذلك أنه كان لمينوس وحش هائل مخرب يسمى (المينوطور) نصفه الأسفل نصف عجل جسد ، ونصفه الأعلى نصف رجل له أنياب الأسد ، وغدرة الذئب وقوة التنين العظيم . . .

وكان لا ينفك يقتل كل من اقترب منه ، ولو كان من

(*) أول محاولة للطيران عرفها التاريخ

خاصة الملك . فلما استطار شره ، وعظمت بليته ، دعا مينوس الملك ، ديدالوس المهندس ، ليشيد هذا البناء الرائع . ذا المنعرجات والحنيات ، والشعاب المتداخلة ، التي لا يستطيع أحد أن يفلت منها ، اذا انفتل فيها . وقد بناه ديدالوس على شكل دائرة عظيمة محيطها هذه الشعاب والمنعرجات ، وفي وسطها فضاء فسيح يربض فيه المينوطور أو يركض

ولندع الآن ذاك المينوطور الرهيب جائما في اللابيرنث ، لنرى ما كان من أمر ديدالوس بعد ذلك

ظل الناس يتحدثون عما وهب ديدالوس من عبقرية ، وما أوتى من حذق ونبوغ ، وظلوا يتهافتون على آياته الفنية التي كساها الهامه ظلالا كظلال السحر ، وموهها بأمواء القداسة والخلود ، حتى كبر الفتى بردكس ، ابن أخى ديدالوس ، وكان شابا ممتلئ الجسم ، مفتول العضل ، قوى الملاحظة ، دقيق الفهم ، سريع التصور ، ما كاد يتعلم لعمه حتى بلغ شأوه بل هو قد فاقه بمزج الشعر والموسيقى بفن الحفر والمثالة ، ولاءم بين روحها جميعا ، فكان يبرز تحفه في مظهر دقيق وطرأز أنيق ، ثم هو يضيف عليها من شبابه الفض ، وروحه العطرية الشاعرة ، ظلال الحب ، وسمات الفتنة ، ويحرك فيها عواطف الآلهة !

ولهج الاثينيون باسم هذا الفنان الشاب ، وتناسوا عمه الذى هو أستاذه وملهمه . وضاق ديدالوس بابن أخيه ذرعا ، وساءه أن تكشف شمس الوضاعة المتلاثلة ، نجمه الذى لبث زمانا يسلسل نور الفن في أرجاء هيلاس وما فتىء العلم يحنق ويحنق ، وما فتىء بردكس يسمو بفنه الى الذروة ، حتى لسعت عقارب الغيرة قلب الشيخ الفنان ، ونفثت فيه سمها ، فلم يعد يطيق هذا الخصم

الذى صنعه لنفسه بيديه ، ولم يعد يحتمل ان يرى نفسه هملا بجانب الفتى العبقري ، فأقسم ليزيحه عن طريقه ، ولو بتجريعه كأس المنون

وزين له ان يحتال عليه ، فيذهب واياه الى شـعاب جبل شاهق ، ذى مهاو تنتهى الى الملح الجياش فى اليم ، حتى اذا كانا فوق القنـة المشرفة على البحر المصطخب ، نهز منه غرة ودفع به الى الأعماق ، حيث ينشق له قبر من الموت ... والنسيان !

وأنفذه ديدالوس المسكين !

ولكن الآلهة كلها كانت تنظر ، وتستعد للمعجزة ! وكيف ؟!

لقد استجمع الشيخ كل قوته ، ووضع فى يديه كل منته ، ودفع باين أخيه من فوق القنـة ، فتردى الفتى على حدود الجبل ، حتى اذا كان من الموت قاب قوسين ، هبطت منيرفا (١) سيدة الاولمب ، وصاحبة أثينا ، من عليائها ، فأنقذت بردكس من قتلة محققة ، ثم نفشت فى أذنه نفثتين ، كان بهما فرخا حزينا من أفراخ القطا ، راح يرف فى السماء مدوما فوق عمه ، حتى كاد يصعقه من حيرة وعجب !!

وانقلب ديدانوس الى بيته أسوان أسفا ، ووقر فى نفسه أن الآلهة التى سحرت بردكس لتنقذه من تدبيره السيئ ، لا بد أنها تترصده ، ولا بد أنها ستأخذه بأوزاره فى القريب ، غير متجنية ولا ظالمة ..

ثم مضت سنون ، وولد لديدانوس طفل جميل ولكن الطفل لم يستطع أن يخفف من الروع الذى كان

(١) منيرفا هى باللا أثينا ، وقد خلقت شجرة الزيتون فملات الأرض الصورة ، طلق المحيا ، مشرق الغرة ، سماه أكاروس ! بركة وكان بردكس يصنع لها تماثيل رائعة ، وهى هنا تنقذه لترد له قليلا من جميله

يشتاب أباه ، أو يذهب بسورة الهم التى كانت تجثم على قلبه ، وتثقل على نفسه كلما تصور الهامة الفرعة التى يضطرب بها نومه ، فتقض مضجعه وتزلزل كيانه

لقد كانت القطاة تتمثل له كلما أغمض طرفه ، كأنها روح ميت — رنق على خصمها تكاد تصعقه . وازداد الشيخ خيالا حينما الحف عليه الاثينيون يسألونه عن بردكس أين قضى وأيان ولى ! وأخذ الفوغاء يلغطون ، وشرع الخاصة يتسقطون أخبار الفنان ، ودأبوا على عمه يسألونه عنه ، وهو يضلهم ويخترع لهم ، حتى أوجس أن ينكشف سره ، فينكل الناس به . فأثر الهجرة عن أثينا المحبوبة ، الى صديقه مينوس ملك كريت ، مصطحبا معه ابنه الطفل ايكاروس

وتطامن الدهر ، وشب ايكاروس وترعرع ، وأخذ من والده من الفن ما أخذ بردكس من قبل ، وحسب ديدالوس أن الزمان قد غفل عنه ، وأن أعين الآلهة قد غفت واستنامت ، وأن الايام قد ابتلعت اثمه الكبير فى تضاعيفها القائمة المظلمة ، فاستيقظ الغرور فى قلب الفنان الشيخ ولم يتقبل ما غمره به مينوس الملك من النعم بالشكر الواجب على لاجئ طريد مثله ، بل بطر واستكبر ، وكفر بأنعم مولاه ، ومد له هواه فولغ فى اناء الملك ، بعد أن اختلط بأهل بيته اختلاطا شائنا أدى الى كثير من القيل والقال

وعلم الملك بما كان من خيانة ديدالوس فأمر بالقبض عليه ، واعتقاله فى احدى غرف القصر حتى يقضى فى شأنه ، فألقى به فى حجرة منفردة فى طرف القصر ، مشرفة على الماء ، متصلة بالسماء

وطالت عزلة الفنان الشيخ فى معتقله هذا ، وضاق ابنه بالحيز الضيق الذى يكاد يحبس أنفاس روحه ،

ويحسر مرامى مقلتيه ، ويشيع الهم فى حنايا ضلوعه ، فقال لوالده وهو يحاوره : « اهكذا قضى علينا ان نموت هنا صبرا يا ابتاه ! » وكانت كلمات ايكاروس المبللة بالدموع تذهب كالصدى فى آذان الشيخ ، وكان الغلام يجذب اللفظة المفردة من فم أبيه ، فما يكاد يفوز الا بلا ... أو بنعم ...

وكانت للغرفة التى اعتقلا فيها شرفة صغيرة تطل على البحر الابيض المتوسط ، وكان منظر السفائن الماخرة فى البحر كالاعلام ، والطير صافات من فوقها كأنها تسبح فى لجج من زرقة السماء ، يشر فى نفس الفتى أحلاما وأخيلة وأمنيات . وانه لفى أصيل جميل يناجى الطبيعة من شرفة سجنه الصغيرة اذ به يذهب الى والده مستبشرا متهللا ، ويقول : « أبى ! أعجزنا عن ان نصنع لنا أجنحة كهذه الطير . فنفلت بها من هذا المكان الرهيب ؟ »

وكان الشيخ جالسا فى زاوية مظلمة من زوايا الغرفة يجتر أحزانه ، ويتغنى آلامه ، فلما سمع ما خاطبه ابنه به ، افتر فمه العجوز عن ابتسامة منقبضة مفضنة ، وشاعت فى أساريره بوارق أمل جديد !

وقال لابنه : « أجنحة ؟ وانى لنا بالريش يا ايكاروس ؟ » فقال الولد : « لا عليك يا أبى ، ان غرفة الدجاج قريبة من هنا ! »

وعبس الفنان الشيخ ، وقال : « والحارس اللفظ ؟ .. » فتضاحك ايكاروس قائلا : « الحارس ! أمه أهون مما ترى ... سنرشوه يا ابتاه ، فيحضر لنا ما نشاء من الريش ، وسنخدعه اننا صانعان له لباسا لا تحلم الملوك بمثله ! »

ولكن العبوسة التى رقت على جبين الشيخ انشبت

فيه جميع مخالبيها ، وقال : « دعنى أفكر يا بنى ، دعنى أفكر يا ايكاروس ... »

وهكذا كانت العبقرية البكر ، الكامنة فى هذا الفتى الصغير ، لقاحا بعيد الاثر فى عبقرية الشيخ الفانى المتهدم ، وهكذا بدأ الفنان الاكبر ، بانى اللابيرنت ، ومشيد هياكل الآلهة ، يفكر فى هذا المقترح الشارد الذى اقترحه عليه الفنان الصغير !

« أجنحة .. دجاج .. ريش .. الحارس اللفظ .. مينوس .. بردكس .. فرخ القطا .. الطير .. ايكاروس ابنى ... ! » وهكذا انبطح الشيخ على حصيرة تتداعى هذه الخلجات فى رأسه الساخن المتأجج تذكى فيه الذكريات والمآسى !

واحتال الفتى على الحارس حتى حصل على مقادير هائلة من ريش البط والاوز والديكة ، وفكر الشيخ كيف يثبت الريش فى مكانه من عضد الجناح ، فادخر الشموع التى كانت تترك له يضيئها فى الليل ، ليتضاعف بهيبتها الخافت حزنه ، حتى اذا كان لديه قدر كبير منها ، عمد اليها فصهرها ، وثبت بها ما شاء من الريش ، وبذلك صنع زوجين من الأجنحة الكبيرة ، يكفى أحدهما لحمل فيل !

وجلس يحض ابنه النصيح ويقول :

« أى بنى ! أى ايكاروس العزيز ! سنطير من هنا يا ولدى ! الى أين ؟ لست أدري ! ولكننا سنفلت من هذا السجن على كل حال ! وهأنذا قد صنعت الأجنحة التى تخيلها أملك الصغير هو اكبر من جميع امالى ! ولقد رأيت الى كيف كنت أذيب الشمع قريبا من النار يا ولدى ، فأوصيك اذا طرنا ألا تترك سميتى ، وأن تكون دائما قريبا منى ، فانى أخشى اذا علوت علوا شاهقا أن

تصهر الشمس شمع جناحيك ، فتهوى في البحر ،
وتتردى في أعماق الموت ! وكما أخشى عليك من العلو
الشاهق ، فكذلك لا أرى لك أن تدنو من الماء فإنه أن
وصل إلى الشمع أبيضه ، ولم يعد يصلح لمهمة الطيران ،
اذ يساقط قطعة فقطعة ، ويتناثر الريش ، وتسقط ،
أما في البحر فتغرق ، وأما في الأرض فيندق عنقك .
فلا تنس يا بني أن تتبعني أبدا ، واحذر أن تعلق فتدنو
من الشمس ، أو أن تسفل فيصيبك رذاذ الماء ورشاشه .
إلى يا ولدي أثبت لك جناحيك ، ولنمض على بركة ز . .
ز . . زيوس !! »

وتلجلج لسانه حين أراد أن ينطق باسم الإله الأكبر ،
لأنه يشق أنه لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ،
وهو محيط بعباده ، لا ينسى أن ينتقم من الظالمين
للمظلومين !

وانطلقا من الشرفة ، والقيما على القصر ، وما أحاط به
من حرس وعسس ، نظرات كلها نقمة وتغيظ . .

ومرا بشطوط كثيرة ومروج كبيرة ، وكان الصيادون
والزراع والبحارون وأهل القرى كلما رأوا هذين
الطائرين الكبيرين ، ذوى الهيئة الآدمية ، خروا للاذقان
سجدا ، يحسبون أنهما إلهان من آلهة السماء ، هبطا
يباركان الناس والخلق ، فيهللون ويكبرون !!

فهذا شيخ يطلب اليهما أن يباركا في عقبه ويمدا في
أجله ، وهذه شمطاء تدعو أن يرذا عليها جمالها الضائع
وشبابها الذاهب ، وتيك رؤوم تناجي ابنها في قبره ،
فتطلب اليهما أن ينفضاه من الثرى ، وهؤلاء فلاحون
يصرخون أن يمنا عليهم فيخلصاهم من الفقر والمثربة . . .
وشاع الزهو في أعطاف إيكاروس ، فكان يرتفع قليلا ،
أو يهبط قليلا عن سمت أبيه ، ثم تشجع وتشجع ،

وبهرته زرقة السماء وأديمها الصافي ، فجازف وأرتفع
ارتفاعا شاهقا ، ونسى وصية أبيه ، فعلا وذهب في
السماء سعدا ، وكان يغريه أن يصغر العالم الأرضي في
عينيه ، فيعلو ويعلو

وأسفاه !! لقد دنت ساعة الانتقام لك يا بردكس !
فلقد صهرت الشمس شمع الجناحين ، وهوى إيكاروس
إلى الأعماق ! ولما دنا من والده صرخ صرخة هائلة دوت
في أذن أبيه ، فتلفت الشيخ ليرى ولده يغوص في اليم ،
ويبتلعه مرة ويلفظه أخرى !

فأسرع الوالد المسكين إلى البحر ، وانتشل ولده من
الماء جثة هامدة ، وكان هو بدوره قد أذاب الماء شمع
جناحيه ، فعالج الموج معالجة شديدة وسبح بقلدة كبده
إلى جزيرة قريبة ، بلغها بعد جهد وعناء !

وجلس يبكي ولده . . وبرزت عرائس الماء من اليم
تواسينه !

ثم شق له قبرا صغيرا في رمل الشاطئ ، وما كاد
يسره فيه ، حتى رأى قطاة حزينة تدوم في السماء ، ثم
تهبط قليلا قليلا ، حتى تكون بمقربة من القبر ، فتقف
كأسفة مشجونة وتنظر إلى الجثة والدموع تنهمل من
عينيه . عبرة ، فعبرة . . .

ويفرغ الشيخ من مواراة ولده في التراب ! وينتبه !
فيرى القطاة ! فينشج نشيجا مؤلما : « بردكس !! أتيت
تبكي إيكاروس !! سامحنى يا بردكس ! »

فتزقو القطاة كأنها تنتحب ! ثم تدنو من القبر حتى
تكون فوقه ، فتذرف عبرتين غاليتين ، وترف في الهواء
حتى تغيب عن عيني ديدالوس !

بومونا



عروس من عرائس الغاب يترقرق الجمال في اهابها
الوردى ، وتلتمع في فمها الرقيق الخمرى ثنايا من اللؤلؤ
الرطب ، وتبتسم ... فتثور من عينيها وشفتيها أسراب
من النحل في قلوب العاشقين ، تلسعهم ، وتسقيهم
رحيقا !

هى بدع من عرائس الغاب ، فهى لا تغشى الانهار
تتلاعب فى طيات أمواجها ، وهى لا تحب البحر لا هادئا
ولا متمردا ، وهى تكره الغابة لانها تعج بالافاعي
والوحوش ، ومنظر هذه حين يساور أحدهما الآخر يبعث
فى نفسها اشمئزا ، ويشير فيها غضبا على الطبيعة
الظالمة التى جعلت الضعيف فريسة للقوى يذله ويقتله
... ثم يأكله

لذلك أولعت بومونا بالحقول الساكنة الهادئة ، الا من
نشاط الحياة يسرى فيها فتهتز وتربو ، ثم تكتسى
بالسندس ، وتنضر بالزهر ، وتطن بموسيقى اليعاسيب
... وأولعت كذلك بالحدائق ... وقد غرست حديقتها
على عدوة النهر ، وسوجتها بسياج من شوك ، ثم جعلت
لها بوابة جميلة عرشت فوقها عساليج الشبر والياسمين

... وكانت فى جنيبتها أكثر وقتها ، ولو استطاعت
لم تبرحها قط ، لان الزنبق الفص ، والنسرير الجميل ،
وأكمام الورد ، وهالات البنفسج ، ونضرة الشقائق ،
وأرج التفاح ، وعبق الرياحين ، وشذى أزهار الخوخ
العقيقية ، وابتسامات الاقحاح ، ولآلى الندى المبعثرة فوق
العشب ... كل هذا كان أحب الى قلبها الخلى ، ونفسها
العزوف ، من هؤلاء الناس ، والآلهة ، وأنصاف الآلهة ،
الذين كانوا ينتظرون أوبتها فى المساء الى دارها ، فيقفون
فى طريقها ، ليفوز من يفوز منهم بنظرة أو خطفة أو لمحة ،
يعود بعدها الى منزله مصدع القلب ، حائر الروح ،
خفق الاحشاء ، موهون القوى !
وكأين من قائل لآخر :

- أرايت بومونا هذا المساء يا صاح ؟

- الحسان المفتان ! أجل والله ... رأيتها ، وأورثتنى
ألف حسرة يا صديقى !

- أو مشغوف أنت بها حبا ؟

ومنذا الذى لم تشغفه بومونا حبا ، وقد تبليت قلوب
الآلهة ؟

- انى أغار من كلماتك أيها الصديق ... فأقصر !

- وأنا أغار من غيرتك ، فاذهب لطيتك !!

ويكاد أحدهما يحرق صاحبه بالشر الذى ينقدح من
أغوار قلبه ... عن طريق عينيهِ ... ثم يأخذ كل فى
سبيله . وهكذا تعادى الناس فى بومونا ، وهكذا تنافس
الجميع فى حبها حتى الآلهة فلقد رآها أبوللو وجن بها
جنونا ، ولقيها مارس وفتن بها فتونا ... ولكن العروس
كانت لاهية عن الجميع ، لا يتفتح قلبها لحب ، ولا يرق
لشكاة المفرم الصب ، وكل ما كان يصيبها ويشغل بالها ،

هو هذا الفردوس ، الحبيب ، الذى لا يضايقها بكلمات
الغزل ، ولا يضجرها بالانظار الجائعة ، بل يحييها دائما
بالابتسامات البريئة ، وبالروح والشذى

غير أن واحدا من عشاق بومونا كان لا يعدل حبه لها
حب ، ولا يسمو الى افتتانه بها افتتان ... فتى لمحها
مرة تطوى الطريق قبيل الشروق الى حديقته ، فوجد
نفسه منجذبا اليها ، مجنونا بها ، فتبعها ، وجعل يقلب
عينيه فى مفاتن شعرها المتهدل فوق ظهرها وكتفيها ، حتى
ليكاد يقبل العقبين الرائعتين ، اللتين أخذتا تعلوان وتهبطان
على ثرى الطريق ، كأنهما ختم الطبيعة فى صك البكور ،
أو زهرتان من اللوتس ، ترشفان صلافة الندى ... وكان
جسمها الرخص يتأود كالخيزران ، وساقها الناصعتان
المرمريتان تضيئان فى غبشة الصبح ، فتضمرمان فى قلب
فرتمنوس نيران الحب ، وتزلزلانه زلزالا عظيما

وعرف الفتى مياعدها ، فكان يصحو مع الفجر ، ويهرع
الى الطريق ، ويلبث يعد الدقائق والثواني كأنها ساعات
بل أيام بل دهور وآباد .. حتى اذا أقبلت ، شعر بقلبه
يخفق ، وأعصابه تذوب ، وأحس كأنه خف على الأرض ،
وغدا طيفا يوشك أن يسرى مع نسيم الصباح الذى تنشقه
بومونا .. له الله ! لكم منى نفسه بقبلة يطبعها على هذا
الفم الشتيت تذهب حر قلبه وتشفى صدى روحه الظامئة
المتعطشة ، ولكنه كان يعود أدراجه كل صباح بعد أن يتأثر
سالية لبه ، ولا لب له ، ولا قلب معه ، ولا مداوى لجراحات
فؤاده إلا دموعه يسكبها عبرة فى اثر عبرة ، وإلا آهاته
يرسلها من أعماقه فتزيد فؤاده جراحا !

وذوى فرتمنوس وذبل شبابه ، وشفه الهم ، وأضوى
جسمه الفكر ، واستسلم لبكاء طويل يتعلل به ، وغناء

يشبه العويل ، يرسله فى نبرات تشبه الأنين ، يضمه
بشه ، وينظمه شكواه ، ويلف فيه بقايا فؤاده المعذب ،
ويودعه النطف الأخيرة من روحه الحيرانة ، ويذهب به فى
الليلة القمرية فتجتمع حوله الوحوش ، وتسكن بمسوح
أنغامه الهوام ، ويرقص من فوقه الشجر ... ثم يبكى
كل هؤلاء له ... ويعود من حيث أتى !

ولقيته مرة فينوس فرقت له ، ورثت لحاله ، ورأعها
أن يلقي محب كل هذا العذاب ، فى هوى عروس غاب ،
فجلست اليه تسامره وترفه عنه

- أهكذا يقتل الناس الحب يا فرتمنوس ؟

- أى وحقك يا ربة ! لقد نال منى هواها ، ولم أعد
أفكر فى أحد سواها !

- مسكين ! وهل كلمتها قط ؟

- مرة واحدة اجترأت أن أهتف باسمها ، ولكنها
أشاحت وأعرضت عني

- وفيما تطمع اذن ؟

- أطمع فى رضائها ، وأطمع بعد ذلك فى العيش فى ظل
حبها ..

- واذا لم ترض ؟

- سأعيش أحبها وآلامى ! ولكن ؟

- ولكن ماذا يا فرتمنوس ؟

- ألا تساعدنى ياربة الجمال ؟ ألا تتفضلين فترققى
قلبك على ؟

- عندى فكرة !

- أضرع اليك ياربة !

- سأمنحك قدرة التشكل ، فتستطيع ان تبدو فى أى
صورة شئت

وانحنى ربة الحب والجمال فتناولت من ماء الفدير
قطرات ، ثم نفثت فيهن ، وتمتمت بكلمات سحرية ،
ونظرت الى الفتى في ظرف ودل ، ونشرت الماء في وجهه .
- والان فكر في أى صورة تنقلب اليها

وأخذ فرتمنوس يتقلب في صور شتى ... وكلما حاول
ان يرتد الى صورته الاولى لم يستطع ، فتضاحت
فينوس وقالت له :

... فكر أيضا في صورتك الأصلية قليلا ...
وسرعان ما عاد اليها ... ثم ودعته ربة الجمال
والحب وهى تقول له :

- تستطيع الآن أن تلقى بومونا ، وسأرى ما يسوقك
اليه ذكاؤك !
ورفت فينوس فكانت في سماء الأولمب !



واستطاع فرتمنوس أن يدخل حديقة حبيبته فى أى
لحظة شاء ، وكان يدخلها فى صورة بلبل غرد ، فلا يزال
يغنى ويهتف حتى يلفت اليه أنظار بومونا وأسماعها ، وكان
يتبعها أينما ذهبت ، فيقف على أقرب شجرة ، ثم يرسل
أغاني الحب وأغاريد الغرام ، فتنسكب فى أذنى عروس
الغاب ، فتقف لتسمع لحظة ، ثم تأخذ فى عملها كأنها
لم تسمع شيئا ... فيتضايق الفتى ، ويطير أسوان
أسفا ...

واستمر على هذه الحال أشهرا ، وكل يوم يمر يزداد
بالعروس هياما ، ويفنى فيها حبا ، حتى خيف عليه من
المرض ، وأحس هو أن ريب المنون يسرى فى عظامه ،
وبرد اليأس يوشك أن يقف نبضات قلبه ، ثم بدا له آخر
الامر أن يزور حبيبته فى صورة أخرى تختلف عن تلك
الصورة الببلية التى اعتاد أن تراه فيها ، ثم عول هذه

المرّة - إذا لم يفز بحبيبته بومونا - على أن يشتحر تحت
قدميها فى صورة الببل الحزين !

رأى أن يزورها فى صورة عجوز شمطاء ! ولم لا ؟ أليس
عجائز النساء أقدر على إيلاف قلوب العذارى من كل أحد
غيرهن ؟ أليس لهن حديث طلى يتصل من حيث ينقطع ،
ويتشفق عن كل خرافة حلوة وكلمة طيبة ، وبأسلوب
ظريف يشبه (تنميل) الخمر فى أطراف السكرارى ؟!

وقف فرتمنوس فى ظل أكمة باسقة نامية فى منعرج
قريب من حديقة بومونا ، ثم طفق يفكر فى صورة عجوز
طيبة القلب ، سمحة الملامح ، وراح يتخيل شـ...عمرها
الاشمط (١) وذوائبها الخلس (٢) وغدائرها الزعر (٣) ،
ويديها عاريتى الاشاجع (٤) ، وعينيها الغائرتين ، وجبينها
المجعد ، ووجها المعروق (٥) ... فكان له كل ذلك ، ثم
كانت له هيبة ووقار وأسر ، فى سكينه ودعة وحسن
سمت ... وأضفى عليه حبرة سوداء فضفاضة ، وجعل
فى قدميه خفين هرمين ، وفى يده عكازا مقوسا أشبه
بصولجان الموت !

ثم جعل يدب فى هيئته تلك ، حتى كان لدى باب الحديقة
فطرقة ، وكانت بومونا تقطف الزهر وتصنع منه باقات
تقدمها لصويحاتها عرائس الغاب فى مثل ذلك اليوم من كل
أسبوع ... فلما لمحت العجوز تنهالك على نفسها بسباب
حديقته ، أسرعت اليها وحيثما أحسن تحية والطفها ، ثم
فتحت لها وأدخلتها ، وكانت الخبيثة - أو كان الخبيث -
تبالغ فى اظهار الضعف وتعمل الاعياء ، فكانت بومونا

- (١) بياض الشعر يختلط بسواده ويزيد عليه
(٢) بمعنى أشمط واحدها خلساء وخليس
(٣) جمع زعراء أى قليلة الشعر جدا
(٤) بدت عروقا
(٥) قليل اللحم

تسندها من هنا ، وتشهد أزارها من هناك .. حتى وصلنا آخر الامر الى ظلة وارفة ذات أفياء ، يعرش فوقها كرم نصير تدلى جناه الحلو الناضج ، يغازل العيون والأحشاء ، وأشارت العجوز كي تجلس على إحدى الأرائك التي صفت عليها الوسائد والحسبانات (١) ففعلت ، ولكن .. ؟ بعد أن أخذت بفودي بومونا ... وطبعت على ثغرها القبلة الأولى الحارة ... قبلة الأمانى والأحلام !!

لقد شدهت بومونا من أسر هذه القبلة ، لأنها لم تكن من تلك القبل الفاترة الباردة التي تخرج من شفاه العجائز كزمهرير الشتاء ، بل كانت قبلة ناعمة فيها خمر ولها حميا ، وفيها شعر وموسيقى ، وفيها روح وامقة صادية كانت تتردد على شفتي العجوز كأنما حاولت أن تلقى في صدر الفتاة بكل أسرارها !!

ولولا أنها كانت عجوزا حيزبونا لعشقتها بومونا ..



ووثبت الفتاة فقطفت عزقا (٢) من العنب وقدمته للضيقة العجوز .. ولكنها بدلا من أن تجدها تهش للثمر الجنى الشهى ، وجدتها غائبة عن رشدها .. أو ... كالمغشى عليها ! ترى ماذا أصاب أخانا فرتمنوس المختبئ في جلد هذه العجوز ؟ ! آه ! مسكين ! انه لم يكده يفيق من سحر القبلة ، حتى رفع بصره الى بومونا ، فشهد العجب العاجب ، والجمال النادر ، والحسن الباهر ، والروثق والرواء !! لقد شهد الساقين الجميلتين والقدمين الصغيرتين ! وشهد الركبتين اللتفتين ... وقليل من الفخذين اللجينيتين .. فاستطير ليه ، وصبا قلبه ، وشردت أفكاره ، وغشى عليه ؟!

(١) المساند

(٢) عنقود

ولما أفاق - أو أفاقت العجوز - سألتها ماذا أصابها ، فشكت وطأة السنين وضعف البدن ، وتهافت أعضائها من الكبر ، ثم شكرت لها عزق العنب ، وأخذت في أكل حباته ، وهي تخالس العرويس النظرات ... ثم نظرت الى الكرم العارش فوقهما ، وأرسلت من أعماقها آهنة طويلة حامية ، ثم قالت تحدث الفتاة :

- أرايت يا حبيبتي (١) لو نما هذا الكرم على الارض من غير أن يحمله هذا العريش ، هل كان يؤتى أكله ، ويحلو عنبه ، كما هو حلو هكذا ؟

- كلا يا أماء ! هذا شيء بدهى !

- تعنين أن الكرم لا يستغنى عن هذا العريش ؟!

- طبعا !

- ولا غناء للعريش من غير كرم !

- لا يكون منظره جميلا رائعا كما يكون ومن فوقه الكرم !

- عجبنا لكن والله يا عذارى !! تعرفن ذلك ، ولا تفكرن في عطلكن !!

- أو عاطل أنا يا أماء ؟ ماذا تقولين !

- عفوا يا ابنتى .. فإن لك ألف حلية من جمالك الذى لا جمال مثله ... انما قصدت أنكن تزهدن دائما فى أن يكون لكن أزواج كما لهذا الكرم عريش .. ولا سيما أنت يا صغيرتى بومونا ... انى أعرف أن كل شباب المدينة مولعون بك ، وكل أمراء النواحي متيمون فى هوائك ، وأنا أعرف أيضا أن منهم من يتعذب بالليل ، ويدل بالنهار ، لأنك ترفضين أن تمنحيه نظرة حين يلقاك فى الطريق ، وقد وقف لهذا اللقاء ساعات وساعات بل أعلم يا أجمل عرائس الغاب أنك قد بزرت هيلين الهيفاء ، وبنلوب اللعوب فى كثرة العشاق الذين يعبدون

جمالك ، وتخبث قلوبهم لحسنك ، وتتصدع صدورهم من هول ما تهجرين وتصدين . ماذا ؟ لم يا بنيته لا تختارين لنفسك من بينهم كفاء يقاسمك هذه الحياة وتقاسمينه ، ويشركك هذه الحديقة الفيحاء وتشركينه ، ويبسم لك وتبسمين ، ويواسيك وتواسين ؟ ما غايتك من هذه الوحدة ، وأنت بها في منفى ، ولو أيتعت حولك ألف ألف بنفسجة ، ومثلها من الورود والرياحين ؟ وهذا الفتى المسكين الذي اسمه . . اسمه . . ماذا ؟ آه ! فرتمنوس ! ذكرت أنني سمعت أنه يحبك حباً أورثه السهد ، وأولاه الضنى ، حتى لم يبق منه هواك الا حشاشة تترقرق دموعاً في عينيه ، وتتأجج نيراناً في صدره . . لم لا ترحمينه يا بومونا ؟ لم لا ترثين له يا أجمل عرائس الغاب ؟ انه ليس الها ولا نصف اله ، ولكنه خليق بحبك ، جدير بأن تكوني له من دون العالمين ، لانه مغرم بك أكثر من كل عشاقك ، وهو ليس كجميع العشاق ، لانه لم يحبك الا عن بصر بك ، وتقدير لحسنك ، ولان عشاق هذا الزمان مغاليك لا ألباب لهم ، فهم ينظرون النظرة فتهيج شياطين الهوى في صدورهم ، ثم ينظرون النظرة الى حسناء أخرى فتتنجب شياطينهم اليها ، فاذا لقيتهم ثالثة لم تأب تلك الشياطين أن تتصرع تحت قدميها . . أما فرتمنوس ، فقد أحبك ولم يشرك حسناء في هواك ، لانه لا يرى لك في قلبه شريكة تسمو الى اخصيك . . ارحميه يا بومونا ، اعطفي عليه ، وانظريه كأنه يتوسل اليك بلساني ، ويشكو لك بثه بعيني (!) . . ألا تخافين أن تقتص له فينوس منك ؟ ألا تعلمين أنها تنار للعشاق من كل حبيبة قاسية القلب ؟ ألم تعرفي ما صنعت بالقاسية أنا جزرتيه ؟

- ومن أنا جزرتيه يا أماء ؟ وما قصتها ؟

- ألا تعرفينها ؟ ولا تعرفين مأساة الفتى ايفيس ؟

- وما مأساة ايفيس ؟ قصيها على بالله عليك !

« لقد كان ايفيس فتى جميل المحييا وضياء الجبين ، ولكنه كان من صميم الشعب ، وكانت أنا جزرتيه من بنات الاعيان والعلية الموسرين . . وكانت بينهما من اجل ذلك هوة سحيقة لم تمنع ايفيس من حب الفتاة لدرجة الجنون . وكان كلما لقيها غشيه من الغرام ما لو حمله جبل لناء به ، ولكن الفتاة كانت تعرض عنه وتزور ، وتطوى الطريق عجلانة الى قصرها الباذخ المنيف ذي الشرفات . . وكان الفتى يتبعها بتلعب واهق متصدع ولكنها كانت تدخل من باب الحديقة الحديدى ثم توصده من دونه ، فيقف ثمة يتزود منها نظرات الموجه اللهفان من خلل القضبان ، ثم يذرف دموعه ، وينثنى الى داره ، وليس في قلبه الا حبها مع ذاك ، ولا في عينيه الباكيتين الا صورتها ! وطالما كان يهب من نومه في جنح الليل فيطوى الطريق مفزعا ، حتى اذا كان لدى البوابة الحديدية وقف عندها ، وعانق قضبانها ، وبكى ما شاعت له الآلهة ، وتغنى آلامه وغرامه ، ثم ارتد وقد تضاعف وجده ، وازدادت صبوته . . وكم ذا رآته أنا جزرتيه فكانت تحقره وتسخر منه ، بل كانت لا تعفيه من كلمة قارصة ، أو غمزة تهكم واستهزاء ، ولم يشفع لديها ما قاله مرة لمرضعها العجوز وما بث من شكاة ، بل زاده قسوة وعنادا . . ولما جد به الجد ، ولم يكن بد مما ليس منه بد ، ذهب اليها في ضحوة ضاحكة من ضحوات الربيع ، ثم تعلق بالبوابة ، وكانت حبيبته ترتع وتلعب في حديقة القصر ، فهتف بها وقال : « أيتها القاسية أنا جزرتيه اسمعى ! لقد قهرت قلبي وغزوت نفسي وتم لك النصر ! فهنئاً لك ! تغنى أناشيد الفرح واللذة العارمة لانك قتلت ايفيس ! اعقدى فوق

هامتك اكليل الغار لانك اذلت قلبه العزيز ، ومرغت
 في التراب روحه العالية .. ولكن اصغى الى يا متحجرة
 القلب .. لقد عولت على أن أشرب كأس المنون ، ولكنى
 آثرت أن أشربها أمامك ان لم يكن بين يديك ، لتتلفذ
 عيناك بهذا المنظر المروع الاخير ، وليبتهج قلبك بأخير
 صورة من صور انتصاراتك على .. بيد انى اهتف بك
 يا آلهة السموات أن تتأري لى ، وأن تجعلى لى ذكرا فى
 قصص المحبين يتناقله الخلف عن السلف ، ويتذاكره
 الناس فى طويل العصور والآباد .. « وكانت السماء
 كلها تصغى لما يقول ايفيس فلبت واستجابت .. وكان
 قد ربط جبل مشنقته فى قضبان البوابة ، وجعل
 أنشوطتها فى عنقه ، فلما انتهى من مقالته القى بنفسه
 .. وقبضت روحه ! ولم تتحرك اناجزرتيه مع ذاك ،
 بل أرسلت خدمها الذين نقلوا الجثة الى أم الفتى وهم
 يبكون ويضجون .. وصرخت الام المفجوعة وولولت على
 وحيدها ، ثم حمل الجسمان فى اران (١) الى المقابر ، ومر
 الموكب الحزين من الشارع الذى فيه قصر الفتاة القاسية
 فصعدت لتتنظر اليه ، ولكنها ما كادت ترى الى الجثة
 مسجاة فى النعش حتى تثلجت عينها ، ثم استحالتا الى
 رخام بارد .. وروعت لما أصابها ، وأرادت أن ترجع قليلا ،
 ولكنها لم تستطع لان الرخام سرى فى قدميها أيضا ..
 ثم فى ساقيه .. ثم فى ذراعيها .. ثم فى جميع جسمها
 .. أما قلبها ، فقد كان رخاما منذ زمن بعيد .. وكذلك
 تحولت اناجزرتيه الى تمثال لا يزال محفوظا فى متحف
 فينوس بسلاميس .. عظة وذكري .. »
 وكأنما عملت القصة عملها — فى نفس بومونا ..

(١) نعش

فاندرفت من عينيها الحزینتين عبرتان جارتان .. ونظرت
 لعزى الى العجوز .. ولكن .. لقد كان فرتمنوس العاشق
 الحزين الجميل القوى يجلس مكانها ، ويأخذ برأس
 الفتاة على صدره .. فقالت له :

— من أنت أيها الفتى ؟

— أنا ..

وانفجر فى بكاء شديد وقال :

— حبيبك فرتمنوس يا بومونا .. فرتمنوس

فقالت : أهو أنت !؟ اه يا ساحر !

وتبادلا قبلات أشهى من الشهد ، وأشد أسرا من
 الخمر ..

خرافة جاسون



غلب بلياس الظالم أخاه ايسون على ملك تساليا ، فهام الملك على وجهه فى أقصى الارض ، وهامت معه زوجته الملكة الصالحة السميديّة ، وطفلهما الوحيد اليانع جاسون . . وعرجا فى تطوافهم باستاذ اخيل العظيم شيرون ، فدفعوا اليه بالطفل يهذه ويؤدبه ، وينشئه على الفروسية ومكارم الاخلاق ، ورجوا أن يكتم سرهما حتى يشب ويتعرع ، ويبلغ أشده ، فيثير فى صدره الحمية ، ويرسله ليثأر لأبويه ، وليستخلص العرش من غاصبه . وأخلص شيرون فى تربية جاسون الاخلاص كله ، وكان يردفه خلفه ليعلمه الرماية ، وهو شرف عظيم لم ينله من تلاميذه غير أخيل الخالد ، وغير جاسون . . ثم مرت الايام ، وشب الفتى على غرار استاذة ، فلم يكن فى الدنيا بأسرها أحمل منه لسيف ، ولا أرمى لسهم ، ولا أرجح فى تفكير ، ولا أوفر فى حظ من جمال وكمال . ووقفه شيرون على سر أبويه ، وما كان من اغتصاب عمه بلياس عرش والده ، فثار ثائر الغلام ، وازلزل قلبه ، وضرب برجله يود لو يخرق الارض فيكون عند الظالم ، فيذرو عظامه فى الريح !

ووعظه شيرون ، وأوصاه بالصبر وطول الاناة واعمال الروية ، وحذره أن يعيث فسادا فى الارض ، ونصحه أن يكون رحيما بالضعفاء ، وألا يألو جهدا فى مساعدة من يطلب منه المساعدة ، وألا يكون عداؤه لعمه سببا فى عداؤه لجميع الناس . . وأعطاه الفتى موثقه ، ثم اخترط سيفه ، وربط على قدميه وساقيه نعليه الذهبيتين ، وودع أستاذه وحياه أحسن تحية ، وانطلق يذرع الرحب الى يولكوس ، حاضرة تساليا

ولقى فى طريقه سيلا زاهر العباب ، فوقف حيا له ينظر ويفكر ، ويدبر لنفسه خطة يعبره بها . وكان السيل جياشا ينحدر من شعاف الجبل القريب ، فيجرف فى سبيله الجلاميد والنوى ، وتظل تتدحرج ويضرب بعضها بعضا فتتسحق وتتفتت ، فراعته أن ينزل وسطها ويكون مصيره مصير جلمود منها . . وفيما هو يعمل فكره ، وفيما هو يلتفت يمنة ويسرة ، اذا به يرى عجوزا تابة (١) تدب على عكاز غليظ ، مقبلة نحوه ، مادة ذراعها المعروقة ، مستغيثة : « لهفى بنى ! بنى انتظر ارجوك انتظر يا ولدى ! » من هذه ؟ لا يدري جاسون . بيد أنه انتظر حتى أقبلت العجوز وسألها عن شأنها ، فتوسلت اليه أن يحملها على ظهره ليعبر بها مجرى السيل ! ووجم جاسون قليلا ، لكنه ذكر وصاة شيرون أستاذه ، فتبسم ، وانحنى للمرأة فاحتملها على كاهله القوى المتين ، ثم رجاها أن تدفع اليه بعكازها يتوكأ عليه ففعلت ، وتقدم بخطى وثيدة ، ولكنها أكيدة ، الى مجرى لا يفكر فى نؤيه وجلاميده ، ولا جيشانه واصطخابه ، بل يفكر فى أنه يجب أن يؤدى يدا لهذه العجوز التى استغاثت به . . وعبر مجرى السيل ، وبلغ عدوته

(١) تابة أى متقدمة فى السن

الآخرى بعد عناء وجهه ، ووضع على السرمل اللينة المتطامنة حملة .. ولكن .. يا عجبا !! أين هي المرأة العجوز الحيزبون ؟ أين الكومة من الجلد المتهاافت ، والعظام النخرة ، التي كانت ترهق كاهله ؟ لقد ذهبت ووقف مكانها شباب رائع ، وجمال فتان ، وغادة حسان مفتان !!

- يا للآلهة ! من أنت بحق السماء يا ربة ؟

- أنا ؟ .. ألا ترى الى هذا الطاووس المزهو بذيله وألوانه أيها العبد الصالح ؟

- أوه ؟ أو أنت جونو (١) ؟

وسجد جاسون بين يدي الربة ، سيدة الاولمب ، ثم أذنت له في أن ينهض ، وأخذت برأسه فباركته ، وسألها أن تهبه رعايتها في حله وترحاله فوعدت ، ثم رفت في أثر السماء التي تفتحت لها أبوابا ، وغابت عن بصر جاسون !

ووقف الفتى لحظة مسبوها مشدوها ، ثم انطلق في طريقه .. وراعه بعد مرحلة طويلة أن يرى الى قدميه فلا يجد الا نعلا واحدة في أحدهما .. أما الأخرى ، فقد ذكر أن السميل انتزعها من قدمه واحتملها ، وهو لا يستطيع استعادتها ، لان حملة كان يرهقه !

ثم بلغ يولكوس

ورأى جمعا حاشدا حول ملكها بلياس ، الذي وقف ينحر الذبائح ، ويقرب القرابين للآلهة ، ويفرق حواياها (٢) على الفقراء ! فدافع الناس ، وشق طريقه الى حيث وقف

(١) عودنا القراء في أساطيرنا أن نسميها باسمها اليوناني (حيرا) وهذا هو اسمها الروماني
(٢) حشاياها

الملك ، ثم سار الى عمه قدما ، حتى كان قبالة المذبح .. وما كادت عين صاحب العرش - أو غاصبه - تقع على الفتى الذي يلبس نعلا واحدة حتى شحب لونه ، وغاضت الدماء الوردية من خديه ، وأخذ قلبه يخفق ويضطرب اضطرابا شديدا .. ذلك لانه ذكر تلك النبوءة التي تنبأ له بها أحد سحرائه ، والتي حذرته من الشاب الذي يقبل من بلاد بعيدة لابسا نعلا ذهبية واحدة في إحدى قدميه ، في حين يكون هو مشغولا بتقريب القرابين للآلهة !! أن هذا الشاب يقتله !!

وأمر حراسه بالقبض على الفتى واحضاره الى غرفة العرش فجاء به اليها ، ولم ينتظر حتى يبدأ عمه بالكلام بل وقف أمامه جبارا يغلي الدم في عروقه ، وطلب اليه أن يعتزل الملك ويخلع التاج ، ويعطى الصولجان صاحبه ، وأن يعيد الحق الى نصابه .. « لانك انتهزت ضعف أبي الذي وهنت عظامه ، واشتعل رأسه شيبا . فعتوت عليه وألبت عليه الاوشاب من مرتزقة الجنود ، ورعاع الشحاذين والافاقين ، فلبست تاجا ليس لك ، واستويت على عرش تزعره الجريمة من تحتك ، ثم حاولت أن ترشو الآلهة وتخدع السماء بالاضحيات والقرابين ، ولكنك لا تخدع الا نفسك فآلتمس لها السلامة من موت يبعثك ، ومغبة وبال يحيط بك .. »

وكان بلياس يسمع هذه الكلمات الشائرة كأنها سهام تملأ أذنيه ، ومنايا تطير حول قلبه .. بيد أنه استعد لها بالمر ، وتهيا لصدها بالخدعة ، فتبسم لابن أخيه وقال : « ماذا تقول يا جاسون ؟ أتحسبني يابني قد سلبت اباك عرشه ، وغلبته على صولجانه ؟؟ كلا والله يابني كلا ... ولكن .. ليسكن طائر ك قبل كل شيء .. فلقد دعوت نفرا من (رعاباك !) لوليمة الهية ، وقد اقبلوا من كل

فج ، وهم ينتظروننا الآن ، وليس من حسن الرعاية
ولا من مروءة الملوك أن يستأنوا عن مواعيدهم ، فهلم
نلقهم يا جاسون ، وترحب بهم ، فإذا فراغنا وفرغوا من
طعامهم ، عدنا سوياً لنبحث هذا الأمر الذى أهمك
وأقلقك ، وملاً فؤادك بالوداد وسوالف الأراجيف ، وسترى
أن الذى أنبأك هذا النبأ زخرفه عليك ، وشوه حقيقته فى
نفسك ، بدليل هذه النيران التى تنقذف كلمات من
من فمك ! .. تعال .. مرحباً بابن أخى جاسون ؟ لشد
ما أنا مشتاق إليك يا حبيبى ! »

ثم قبله فى جبينه قبلة صفراء قاتلة ، أفتك من قبل
التماسيح ، وانطلقا إلى البهو الكبير ، حيث صفت
الأخوين (١) الحافلة بأشهى الأكال . وأطيب الاشربات ،
وحيث جلس المدعوون إليها صفوفاً صفوفاً وألوفاً ألوفاً
وجلس جاسون فأكمل وشرب ، ثم أخذت الموسيقى
تعزف فتشرح الصدور الحرجلة ، وتشفى النفوس من
كل حرد ، واعتلى المنصة التى أقيمت فى صدر الحفل
جماعة من المنشدين ورواة القصص ، شرعوا يسردون
قصصهم ، ويتناشدون أشعارهم ، ويروون من أنباء
الأبطال ما يأسر القلوب ويسحر الألباب ، حتى أن جاسون
نفسه كان يصغى إليهم ، وكأنه يتلقى وحياً من السماء
يتنزل على قلبه ، ويدعوه إلى فعال الفتية الأبطال

قال أحد المنشدين : « واسمعوا أيها الناس حكاية
الملك الذى صبا قلبه إلى امرأة غلبت فؤاده وسحرته
بجمالها عن زوجته وأم طفليه ، فبنى عليها (٢) ولم يبال
أن ينقض ركن الاسرة وينهار عمادها .. ذلك هو أتماس

(١) اخوان لغة فى خوان الذى جمعه خون وفى القلة اخونة
(٢) تزوجها

أحد ملوك تساليا فى الزمان القديم ، ولقد فزعت الملكة
البائسة وخشيت أن يصيب طفليها مكر ضررتها ، فاعتزمت
أن ترسلهما إلى ملك كولخيس ليكونا بنجوة من اينو
الخبثية .. وفيما هى واجمة تفكر فى ذلك اذا هرمز
الامين يتنزل من السماء فيسألها وتجيبه :

- نيفيل أيتها العزيزة ؟ فيم تفكرين حزينة هكذا ؟
- هرمز ؟ تباركت يا رسول السماء ، أفكر فى ولدى
هذين وما عسى أن يصيبهما من مكر اينو ..
- لا عليك يا حبيبة الآلهة ، اننى مساعدك ، كفكفى
دموعك ..

- شكراً يا اله الرحمة ، سأصبح لك ما حييت !
- وأين تحسبنيهما يكونان فى سلام وأمن يانيفيل ؟
- لا يكون ذلك الا عند ملك كولخيس ، ولا أدرى كيف
أرسلهما إليه !
- لا أهون من هذا ، فانتظري طرفة عين !

ومضى الاله فغاب برهة ، ثم رجع ومعه كبش عظيم ذو
فروة ذهبية وقرنين وحوافر من خالص الايريز ، فقدمه
إلى الملكة المحزونة ليركبه طفلاها ، ولينقلهما إلى ملك
كولخيس ، وسجدت الملكة شكراً لهرمز ، ثم قبلت طفليها
فركسوس ، وابنتها هلة ، وطبعت فوق جبينهما وخدودهما
ألف ألف قبلة ، ودعت لهما ، ثم انطلق الكبش فى الاثير
يطويه بين بكائهما الطويل وآهاتهما التى لا تنتهى .. وطفق
الكبش يعرج فى السماء ، ويخفق فوق الممالك ، حتى
كان فوق بحر صاخب مضطرب تقلبت أمواجه ، وتناوحت
زوابعه . فنظرت الفتاة المسكينة هلة تحتها لترى ما
هنالك ، ولكنها فزعت فزعاً شديداً ، حينما رأت سراطين

البحر وحلازينه تقتتل ، وتحترب ويأكل بعضها بعضا ،
فارتجفت رجفة هائلة ، وانفلت صوف الفروة من قبضتها
فسقطت من عل وجعلت تهوى حتى تردت فى البحر —
وابتلعتها أمواجه ... ومنذ ذلك الوقت ، وهذا المكان
يعرف من أجل ذلك باسم (الهلسبنت (١)) نسبة الى
الفتاة البائسة هله ! ومضى الكبش يستبق الريح ، ويطوى
العوالم ، حتى وصل الى مملكة كولخييس ، فهبط قليلا
قليلا ، حتى اذا كان على الارض نزل الفتى فركسوس ،
فصلى للالهة ، وذرف الدمع على أخته ، وسلم على الملك
الذى هش له وبش ، وأحسن لقياءه ، وأكرم مثواه ، ثم
شحن سكينه وتل الكبش لجبينه ، وكبر وسبح باسم
جوف وبأسماء آلهة السماء وجزر الحيوان قربانا لهم
جميعا ... وسلخ الجلد الذهبية وقدمها هدية للملك
الذى فرح بها فرحا شديدا ، لأنها كانت تعدل كل ما فى
كنوز الملوك من ذهب ... وقد ربطها الملك فى سنديانة
باسقة ، ووكل بها تينينا هائلا ليحرسها وليسهر عليها
من كل سارق رجيم ... ومنذ ذلك اليوم والفروة التى
تعدل ألف كنز معلقه لا تمتد اليها يد ، ولا يجسر أحد أن
يقتررب منها والا جازف بنفسه ، فأصبح لقمة سائغة
للتنين ... »

ولحظ بلياس كيف زاغت عينا جاسون عندما سكنت
المنشد ، فانتهاز الفرصة ، وانطلق يغريه بالاسـتـيلاء
على الفروة الذهبية ليكون بها أعز الملوك وأضخمهم غنى ،
وأوفرهم ثراء ، ثم ليخلد اسمه بين أسماء الابطال الذين
دوخوا الممالك ، وأتوا من الفعال ما جعلهم أنشودة المجد
فى فم الزمان ... » ولم لا يا ابن أخى ؟ لقد علمت أن

(١) هو الدردنيل

أستاذك الذى نشأك ، وهذيك وأدبك ، هو شـيـرون
السمنتور الأكبر ، أستاذ أخيل العظيم ، وقد خلد أخيل
اسمه على أسوار طروادة ، وأعلى ذكره فى جميع الانام ،
فلم لا تذهب الى كولخييس لتحصل على الفروة الذهبية اما
سلما واما حربا ، وأنت من أنت فى أبطال الوغى وصناديد
الحروب ؟ ألسنت أرمى الناس لسهم ، وأضربهم بسيف
وأخذقهم طعانا برماح ؟ انها فرصة المجد لمن يبتغى المجد
يا جاسون ، فلا تضعها ! لا تقل « بل حسبي أن أحكم
الناس » فالناس يعشقون أشجع الناس ... وهكذا
طبق بلياس المخادع يزخرف للفتى ، حتى هاج فى صدره
الشباب نائم المنى وساكن الآمال ... فرضى جاسون
بالاضطلاع بهذه المجازفة ، وظن أنها من اليسر بحيث
لا تستعصى على شجاعته . بيد أنه عندما خلا الى نفسه ،
وراح يفكر فى الوسيلة التى يبلغ بها مناه ، بدت له
حقائق أسقطت فى يده ، وجعلته يتخاذل ، ويندم على
الوعد الذى وعده عمه ، غير أنه ذكر ما قال له أستاذه
شيرون من ضرورة احترام الوعد ، وربطه بالشرف ، فصمم
على السفر الى كولخييس وجلس يفكر فوق عدوة النهر ،
وكانت سمادير اليأس تملأ عينيه ، فلم يهتد الى الوسيلة !
وانطلق الى غرفته ، فقضى فيها ليلة ليـلـاء مثقلة بالهم
والفكر ... ثم انبلج الصبح ، فانطلق الى هيكل جونو عند
دودونا ...

- جونو ... جونو ... لقد كدت أنسى جونو ، يجب
أن أصلى لجونو ، فقد وعدتني أن تدركنى بغوثها كلما
حزبني أمر ... لقد حملتها على كتفى هذين فى صورة
عجوز شمطاء ! وهى ستحمل عني هذه المرة !

ووقف بجانب المذبح يرجو ويتوسل ويصلى ، وكانت
سنديانة هائلة - هى الناطقة بنبوءات جونو - نامية وراء

المذبح ، فسمعها جاسون تهتف باسمه وتقول :

— لبيك أيها الفتى لبيك ! لبيك وسعديك يا جاسون
يا حبيب جونو لبيك ! كفكف غوارب دمك فستترعاك
الربة وتحفظك .. تعال ! اصعد فوقى ! اقطع أحـد
أغصاني واصنع منه عصا ، واجعل لها رأسا على هيئة
السفينة التى تحملك الى كولخيس ، وسينبئها ارجس (١)
لك ، وذلك بأشراف مينرفا . ولتكن العصا معك دائما ،
ولكن لا تنقلها من السفينة فهى حارستها ، وكلما ألم بك
خطب أو حز بك أمر ، فارجع اليها ، فهى تكلمك وتشير
عليك ... » وسكنت السنديانة ، وصنع جاسون العصا
وذهب عند سيف البحر ، ليرى عمال آرجس ، بأشراف
مينرفا ، قد فرغوا من السفينة الهائلة وأنزلوها الى الماء
ففرح واستبشر ، وسماها (أرجو) نسبة الى صانعها ،
ثم أعلن عن حاجته الى نفر من شجعان هيلاس ، يقاسمونه
مجازفته ، فاجتمع اليه عدد غير قليل ، منهم هرقل الجبار
وكليستو ، وأدمتوس ، وتيزيوس ، وأرفيوس ، وبولكس
ويليوس .. وأعدوا ميرتهم ، واستكثروا من ذخيرتهم ،
ثم همت الفلك ، واحتواها الماء

مساكين هؤلاء الأرجونوت (٢)

لقد كانت رحلة شاقة مضطربة بالمتاعب ، مليئة
بالأشجان ، فى بحر لجى وأمواج كالظلل ، ظلمات
بعضها فوق بعض ، وأهوال جسام يأخذ بعضها برقاب
بعض ، وطريق كله سعال (٣) وأغوال

لقد لقي الأبطال الصناديد من أمرهم رهقا أى رهق ..
فلقد أرسوا مرة بأرض شجراء باسمه الدوح ، نما أيكها

(١) حيوان رائع من أتباع جونو

(٢) المسافرون فى السفينة (أرجو)

(٣) جمع سعال أو سلاء وهى الفول أو ساحر الجن

واستطال ، وغلظت جذوعها واستوت ، فبدا لهرقل أن
يصطحب غلامه هيلاس وينطلق فى الغابة يقطع أغصانا
تصلح لأن يصنع منها مجاذيف للأرجو ، فأوغلا .. وكانت
الطريق ملتوية مضلة ... فلما أن قطعاً من الأغصان شيئا
كثيرا ، أصاب هرقل ظمأ شديدا لم يصبر عليه ، فأمر
هيلاس أن ينطلق فيملاً جرة الماء التى كانت معهما من نبع
قريب كانا يسمعان خريره يتلاشى كالصدى فى سكون
الغابة ... وذهب هيلاس ، وجلس هرقل ينتظره ...
ولكن وقتا كافيا طويلا مضى قبل أن يعود الفتى ... ثم
مضى من الوقت ساعة أو نحوها ... ثم ساعتان ... ثم
أكثر من ذلك ... ثم أكثر ... ماذا ترى ما الذى عوق
هيلاس ؟ أواه ! لقد كان هيلاس أجمل شباب الدنيا فى
ذلك الزمن ، ولقد كان له جسم سمهري ممشوق ، وصدر
رحب أخيل ، ووجه تمتزج فيه بداوات الرجولة والفتوة
بقسمات الفتنة والجمال ، وعينان يترقرق فى بريقهما
لون من السحر لا يعرفه الا العذارى ، ولا تحسه الا
قلوب الحسان ... وشفتان ان كانتا لرجل ، فقد
سرقتهما له الطبيعة الفنانة من فم غادة ... وجبين متلألئ
وضاح ، لماح كاشراقة الشمس فى مولد الصباح ...
تبارك الله ما كان أسبى وما كان أصبى ، وما كان أجمل
هيلاس !!

ذهب يملأ الجرة ... وما كاد ينشنى ليضرب بها الماء ،
حتى رآته عرائسه الغيد ، الخرد الاماليـد ، فشغفهن
وامتلك قلوبهن ، وبرزن من القاع ليسكرن بجماله ،
وينهلن من حسنه ، وليقسمن بسيد الاولب ما هذا بشرا ،
ان هذا الا ملاك كريم !! واقتربن من مكانه ، ثم لم يقوين
على البعد فاقتربن أكثر ، ثم تأجج الهوى فى فؤاد احدهن
وهى أجملهن ، ان كان فيهن من هى أجمل من أختها ،

فهتفت به ، فلم يجب ، فجذبتته من ذراعه جذبة نزل بها الى الماء

— ماذا بالله عليك يا عروس ؟

— تعيش معنا !

— أعيش معكن فى الماء وأنا بشر ؟

— لن تكون بشرا بعد اليوم ، بل تكون اليها كريما

— وأنى لى هذا وأنا غلام هرقل ومولاه ، وهو ظمىء

الى جرعة من مائكن تشفى جواده ؟

— ومن أذن لهرقل أن يرسو بأرضنا ؟ اذن هذا عقابه !

تعال ! سيمنحك الخلود سيد الاولب !

وجذبتته الى القاع .. ولكنه لم يفرق .. وهو يعيش

الى اليوم مع هذا السرب من الحور العين لا يخدم أحدا ،

ولا يجوع ولا يظمأ !

ونفض هرقل يقص أثر فتاه ، حتى اذا انتهى الى النبع ،

ووجد الاثار هابطة الى الماء ، الى غير عود ، صرخ صرخة

تجاوبت اصداؤها فى اركان القابة ، ثم جلس ساعة على

حفاىى المقبرة التى ابتلعت هيلاس ، ينشج ويبكى ...

وأقسم لا يذوقن من مائها قطرة ، وأقسم كذلك لا يصحب

الأرجو فى هذا السفر ... وعاد أدراجه ، بعد رحلة طويلة

قطعها على قدميه الى أرض الوطن ، وعاش حياته الطويلة

المقاحمة لا يفتأ يذكر هيلاس ، ولا يفتأ يبكى على هيلاس !

وأرست الأرجو فى شاطئ تراقيا ، ونزل جاسون فى

نفر من رجاله يمتارون ، فعلموا أن ملكا أعمى يقال له

فنيوس ، شديد البؤس ، طويل الشقاء ، يحكم هذه المملكة

.. ولم يكن عماه وذهاب بصره علة شقائه فحسب ، بل

كان ذلك بسبب طيور غريبة الخلق ، لها جسم الطير وريشه

ومخالبه ، ورأس الانسان ولؤمه ، وخبث طباعه .. كانت هذه

الطيور تنزل بساحة القصر الملكى ، ثم تهجم على غرفة

الملك كلما حان موعد الطعام ، قتلتهم غداه ، فلا تبقى

ولا تذر .. وكان الملك فى أكثر الاحيان لا يجد لقمة واحدة

يتبلغ بها .. لان هذه الطيور لم يكن من دأبها أن تبقى على

شئ .. حتى على الفتات .. ولم يكن يرددها عن قصر

الملك كلما حان موعد الطعام ، قتلتهم غداه ، فلا تبقى

تخمش وجوه الجند وتمزق جلودهم كلما حاولوا صدها

عن بيت مولاهم ، وكانت تفلت من سيوفهم وتمزق من

سهامهم بخفة تحير الالباب ، ولم يحدث مرة أن أصاب

أحد الجنود منها غرضا ، حتى جن جنون الملك وتضاعفت

بلواه ، وجأ بالشكوى الى آلهة السماء

ودهش جاسون ، وذهب بالقصة الى رفاقه الأرجونوت ،

فتقدم اليه البطلان الضرغامان ، ولدى بوريس ،

يقترحان أن يذهبا معه الى الملك المسكين فيعرضا عليه

حربا عوانا يشبان نيرانها على هذه الطيور ، فاما ان يتم

لهما النصر عليها ، واما أن تكون لها الكرة عليهما ...

وصادف الاقتراح هوى فى نفس جاسون فانطلق معهما

الى الملك الذى هش لهما وبش ، وفرح بما عرضاه فرحا

شديدا ... فلما حان موعد الغداء ، جلس الملك وضيافه

— وكان جاسون قد عاد الى السفينة — الى المائدة ثم

لم تمض لحظات حتى أقبلت الطيور ترنق فوقهم وتدوم ،

فوقف البطلان وامتشقا سيفيهما ، فلما هبطت ناوشاها

مناوشة عنيفة ، ولم يمكنها من خدش واحد تحدثه

بيدنيهما ، بل هجما عليها هجوما ذريعا ، وأخذا يسقطان

منها عددا كبيرا كان يهوى فوق الأرض فيلطنها بدماء

حارة فائرة ... وكلما هبطت واحدة طفقت تشكو وتبث

بلسان يونانى مبين ... ثم فرت بقية الطير ... ولكن

ملكتهما حطت بمكان قريب من الملك ، وهتفت به كى يأمر

بوقف الملحمة التي تدعو بعض جندها لنقل جثث القتلى
... بيد أن الملك رفض طلبتها حتى تقاسمه أغلظ
الاقسام وأوكدها أنها لا تعود إلى الاعتداء عليه أبدا ، ولا
تعود إلى زيارة تراقيا كلها أبد الحياة .. فقاسمته
ملكة الطير ، وأشار إلى ولدي بوريس فأغمدت حساميها .
وذهبت الملكة ، وعادت بعد قليل في شردمة من جندها ،
وبعد أن ذرفت من دموعها على قتلاها ، حملتها ، وذهبت
إلى غير عود (١) . . . وبرت قسمها ، فلم تزر تراقيا
بعد هذا أبدا . وشكر الملك لولدي بوريس ، وعرض أن
يستوزرهما ، فاعتذرا شاكرين ، ليصحبا جاسون

وكانما ذاع نبأ الهزيمة في عالم الطير فهبت جبارته
تأخذ بشار الهاربين ، فانه ما كادت الأرجو تبعد عن شطآن
تراقيا ، حتى رأى راكبوها سربا كبيرا من البزاة والنسور
البواشق يقبل من علو كأنما تفتحت عنه أبواب السماء ،
ثم لا يفتأ يضرب الهواء بخواف من نحاس تلمع في أشعة
الشمس كالذهب ، حتى إذا كان فوق الأرجو طفق يقذف
راكبيها بحجارة مسومة من سجيل ، فألحقت بهم أذى
كبيرا . . . وأم تنفع سيوفهم ولا قسيهم شيئا ، فاخبت
كل كوكبة منهم في قمرتها وخلا جاسون إلى عصاه السحرية
يستشيرها ماذا يصنع لينجو بقبيله من هذه الطير ، فتكلم
الرأس العجيب ، فأشعار بأن يضرب الجنود بأغمد
سيوفهم على دروعهم ضربا شديدا فيحدثوا صـوتـا
تنزعج الطير منه ، وتفر مروعة إلى غير عود . . . ودعا

(١) تعرف هذه الطيور في الميثولوجيا باسم هاربز Harpies
وروى أنها نفت نفسها في جزيرة ستروفيد

جاسون جنوده ففعلوا كما أشارت العصا وفرت الطير
ذاهلة ممزقة في رحب السماء

وحاقت بهم كوارث أخرى لا حصر لها . . ثم اقتربوا
من برزخ سمبلجيدز الذي ليس لمسافر إلى مملكة كوليخييس
سبيل غيره . . وهو مضيق رهيب يصل ماء بحرين
وعلى كل من عدوتيه صخرة هائلة ، فلا تزال الصخرتان
تنطبقان وتنفجران ، بحيث تسحقان كل شيء يحصل
بينهما فيصيرانه هباء غفاء كأن لم يكن من قبل . . وكأين
من سفينة جازف ملاحوها بالمرور بينهما ، فحطمتهم
وعفت على آثارهم . . ولم يدر جاسون ماذا يصنع
وجلس رفاقه يقلبون الأكف على ما أنفقوا في مخاطرتهم
هذه ، وظلوا ينظرون إلى الصخرتين ساعات وساعات
وهما ترتطمان ، وكلما سمعوا قصيفهما يجلجل في الآفاق
جعلوا أصابعهم في آذانهم حذر الغشية وتقية الصمم . .
وخلا جاسون إلى عصا جونو يستوحىها ماذا يفعل ، فما
كانت غير لحظات حتى تكلم الرأس العجيب ، فأشعار
بأن يطلق جاسون حمامة بين الصخرتين حين تنفجران ،
ويرى هل تمرق قبل أن تنطبقا عليها ؟ ثم يرى ، هل
يستطيع أن يمرق ملاحوه بسفينتهم بمثل سرعة هذه
الحمامة . . ؟ ودعا جاسون رجاله يستشيرهم ، ثم
أطلقوا الحمامة البيضاء كما أشارت العصا ، وكم كان
عجبهم شديدا حين رآها تفلت من بين الصخرتين إلا
ريشة واحدة انتزعت من ذنبها فصارت هباء نشره الهواء
واستعدوا للمقاحمة ، وطفقوا يقيسون مسافة ما بين
البحرين في البحر الذي هم فيه ، ثم يطلقون حمامة كالتي
أطلقوا ، بحيث يعملون مجاذيفهم حين تنطلق في الجو . .
وأعادوا التجربة مثنى وثلاث ورباع حتى وثقوا من

قدرتهم على قطع المسافة في مثل البرهة التي قطعتها فيها حمامتهم الاولى .. ودفعوا سيفينتهم الى أول المضيق ، وانتظروا حتى أوشكت الصخرتان أن تنفرجا ، ثم أعملوا مجاذيفهم بأذرع مستبسة ، وأرواح ترتعد فرقا من الموت في أبدانها ، فمرقت السفينة ، كما يمرق السهم عن قوسه .. واحربا !! لقد استطاعوا أن يفلتوا بفلكهم ، وان حطمت الصخرتان سكانها (١) ، كما حطمته سئل عن طلبته فقال :

وما كادوا ينجون من هذه الموتة المحققة ، حتى انسدحوا (٢) في الفلك يلهثون ويتنفسون ، ويهنيء بعضهم بعضا ..

وبلفوا كولخيس بعد عناء وجهد ، ومثلوا بين يدي ايتيس ملكها الجبار ، فسلم جاسون بسلام الملوك ، ثم سئل عن طلبته فقال :

- عز نصر مولاي ، لقد تجشمتنا مشاق هذه السفرة في سبيل الفروة الذهبية التي يقتنيها ملك الملوك ، لانه نمت الى أنها كانت من تراث آبائي .. ولا أدري كيف حصل عليها السيد بعد اذ أفلتت من كنوزنا

وقهقه الملك ملء شذقيه كالساخر المستهزيء ، ثم ربت على كتف جاسون وقال :

- أي بني ! أبق على شبابك الفض ، وجمالك الفينان ، وعلى شباب هذه النخبة أولى القوة والفتوة ممن معك .. أي فروة ذهبية يا بني تبتغي ؟ وتراث آبائك من ؟ ! لقد ذبح فركسوس الكبش بيديه أمام عيني ، وسلخه بين

(١) دفتها

(٢) انطرحوا

يدي ، وضحي باللحم والحوايا (١) للآلهة ، ثم أهدى الى الفروة الذهبية التي تعدل كنوز الدنيا بأسرها ! ففيم اذن تجشمتك تلك المشاق ، وفيم مجازفتك بالسفر بين صخرتي سملجيدز ؟ ! وفيم كل تلك المهاوى والمهالك ؟ عديابني الى بلادك فهو خير لك ، وأبق على حياتك ، وانعم بحضن أمك الدافئ ، فهو أرحب لك من ميدان كله ذوبان وغيلان ، ومنايا تثير الاشجان والاحزان !

وتبسم جاسون وتشبث بما سأل الملك ، فأخذ ايتيس يعظه وينصحه ، فلما رأى تصميمه واستمساكه ، قال له : - « لك اذن ماطلبت يا بني ، ولكن اسمع ، واصغ الى ، ان أمامك مخاطر كنت أوتر ألا تلقى بنفسك في تهلكتها ، ولكن ما دمت قد غرتك الاماني وأزهدتك هذه النخبة من أبطال بني جلدتك ، فاذهب اذن ، وحاول مااستطعت ان تلجم عجلي فلكان الهائلين اللذين ينقذف اللهب من منخريهما ويفتكان بكل من اقترب منهما ، ثم حاول بعد ذلك ان تحرث بهما الارض الجبوب (٢) التي تقدست باسم مارس ، فاذا فعلت فازرع ماحرثت بأنياب تنين كما فعل قدموس باني طيبة ، فانك لا تلبث أن ترى الارض تنبت جيلا من المردة مقنعين في الحديد يلاعبونك بأسنة الرماح ، فاذا قدرت عليهم فان عليك أن تقتل التنين الهائل الذي يحرس الفروة الذهبية ، فاذا فعلت ، ولا أحسبك تفعل ، فان الفروة لك ، كنزا ليس كمثله كنز ، وذخيرة من الذهب الابرين ليست تعد لها ذخيرة ، هذا الى فخر يرفعك الى عليين ، وينقش اسمك في لوحة الخلود الى آخر الزمان ! » وسمع جاسون .. وخفق قلبه ، ووجبت روحه وجيبا محزنا ، ثم أخذ على نفسه عهدا أن يفعل !! ونصحه رفاقه أن ينكث ، وأشفقوا عليه أن يضحي بهم

(١) الاحشاء

(٢) الفليظة

وبنفسه في مثل هذه المهالك ، بيد أنه صمم على أن يلجم
عجلى فلكان ، وأن يحرق بهما الأرض الجبوب ، وأن يزرع
فيها أنياب التنين ، وأن يحارب المردة ، فاما هزمهم واما
غلبوه ، وأن يقتل التنين الذي يحرس الفروة الذهبية ليفوز
بها وليعود الى الوطن بالفخر والمجد وخالد الذكر ، فيحكم
ويكون خير الحاكمين !

وكان يتكلم أمام رفاقه في شجاعة مدعاة ، وفتوة مفتخرة ،
فاذا خلا الى نفسه حزن أشد الحزن ، وأسلم نفسه
للتفكير العميق . . . ثم استوحى عصاه السحرية ، فقالت
له : أنه ينبغي عليه أن يلقي ابنة الملك الاميرة ميديا ،
فانها مشغوفة به حبا منذ أن رآته يحدث أباه . . . وانها
تكاد تجن به جنونا

- وكيف ألقى ميديا هذه يامعجزة جونو الحبيبة ؟

- اتصل باحدى عجائز كولخيست تقض حاجتك

- ومتى ألقاها وأين ؟

- يالك من فتى ؟ ! ألم تسمع من يقول : وكم لظلام
الليل عندي من يد ؟ ألقها في جناح الليل ، ولتكن له يد
عندك ، وألقها في حديقة قصر أبيها الملك !

- وله ؟ ألسنت ابن ملك مثلها ؟ ألسنت صاحب
عرش عظيم ؟ أليس لي ملك تساليا بعد أن أعود من رحلتى
هذه ؟

- بلى يا بني ! ولكنها تخشى أباه أشد الخشية ،
أليس يرى فيك عدوه الأكبر لما تريد من استلابه الفروة
الذهبية التي هي أكبر كنوزه ؟

- دعى هذا اليوم يا أماء ، ولكن طمئيني كان الله . .
هل تحبني ميديا حقا ؟
ومن أنبأك هذا ؟ . .

- نبأتنيه ربة من السماء لا تضل ولا تنسى . .

- ربة ؟ تقديس اسمها ؟ ! من عساها تكون ياترى ؟

- هي جونو يا أعز الامهات ؟ لا أكذبك ، انها جونو !

- أتعرف ماتقول ؟

- وهل يكذب بشر على آلهته ؟

- ان كان ماتقول حقا . فلا أذيع سرا أذاعته سييدة

الاولمب ، ومليكة جوف الكبير المتعال ، ان ميديا يا بني
مولعة بك ولوعا شرد المنام من عينيها ، وجعلها في أيام
معدودات طيفا لا يردد لسانه غير اسمك ، ولا تذرف
عيناه الا من أجلك . . . و . . .

- ميديا تبكى ؟ ومن أجلى ؟ ولم تبكى ؟

- تبكى لانك كلفت بأمور لا تحملها الجبال ! وأين أنت

من عجلى فلكان والأرض الجبوب التي لما رس ؟ ومن أنت
والجيش العرمرم من المردة من نبات أنياب التنين ؟ ثم
من أنت وما هذا كله في مواجهة التنين الهائل الذي
يحرس الفروة ؟ حقا لقد جازفت بنفسك حين وافقت الملك
على خوض تلك المخاطرة . . .

- وما الرأي اذن ، ولا بد مما ليس منه بد ؟

- الرأي أن تلقى ميديا فهي حبيبته ، وان عندها ،
فضلا عن ذلك ، أم كتاب السحر ، ولن تبخل عليك
بعلمها مهما كلفها ذلك من حنق أبيها ، واغضاب أربابها

لقد كان الليل يضرب على الدنيا بجرانه ، وكانت النجوم
تلتهب في فحمته كقلوب المحبين ، والفرقدان يتقدان من
حول الزيارة المطلوبة بين العاشقة المدلهة ، والفتى المقاوم
ذى الآمال . . .

وأقبل جاسون فوجد المعجوز تنتظره عند الباب الخلفي
... وهمست اليه ، فسار في أثرها ، حتى كانا عند
منعرج مسوج بنبات ذى عساليج ، يؤدي الى رحبة

واسعة ينتشر في أرجائها أرج الورود والرياحين ، حتى
ليوقظ القلوب النائمة ، ويعطرها بفغمة (١) الحب ويسكرها
برحيقه المختوم ، الذي كله لغو وتأثيم !

وهناك ، كانت تنتظره ميديا بنفس غرثى (٢) ، وقلب
ظامىء خفق ، فلما رآته غمرها احساس ثائر ، واستولت
عليها عاطفة صارخة ، لم تستطع معها الا أن تلقى بنفسها
على صدره القوى الرحب ، تبلله بدموعها ..

ووقف جاسون ساكنا هادئا ، كأنما كان يوجس خيفة
من هذا الحب الذى أقبل فجأة يهاجمه ويدارأ عليه ،
ويدفع بعضه بعضا من حوله .. لقد كان قلبه باردا
كالثلج ، وذراعا جامدتين كالرخام .. وكانت ميديا
تبكى وتثرى اللؤلؤ من عينيها المرتجفتين ، ولكنه لم يستطع
أن يرد تحية واحدة من تحايا هذه الدموع .. وكأنما كان
يحس ، حينما كانت الفتاة تلف ذراعيها حوله ، أن حية
رقطاء تتحوى عليه ، وتنثف سمها فيه .. لماذا ؟ لم تكن
الا الآلهة وحدها تدرى !!

- جاسون .. أحبك .. أحبك من أعماق أغوار قلبي ! لم
أكن أعرفك قبل أن رأيته من الشرفة تكلم أبى ، فلما
رأيتك فنيت فيك ..

- أشكرك يا عزيزتى .. أشكرك شكرا لا أدري كيف
أعبر عنه !

- جاسون ! ألا تكون لى الابد ؟

- أنا خادمك .. بل عبدك اذا شئت !

- لم رضيت لنفسك ماعرضه عليك أبى يا جاسون ؟

(١) الفغمة : الرائحة الجميلة

(٢) غرثى : جائعة والمراد مشوقة

- وماذا يخيفنى ياميديا ؟ نحن الاغريق لانرهب الردى ،
ولانخاف الموت !

- هذا جميل .. ولكن الموت اكره الاشياء وأقبحها
لمثل هذا الشباب !

- قد انتصر ، والنصر لا سيما فى المخاطرات ، أجمل
تاج يتألق على جبين الشباب !

- هذا محال اذا لم أساعدك !

- تساعديننى ؟

- أجل !

- وكيف ؟

- عدنى أولا !

- وبماذا أعدك يا أعز الناس !

- أن تكون لى .. أن نتزوج !

- أعدك !

- بل أعطنى موثقتك !

- أقسم لك !

- بل أحلف بجونو ، فهى حارستك واحلف بهياكاتيه !

- أ .. أ .. أ .. أحلف .. أحلف .. أحلف بجونو ! وبهياكاتيه !

- تحلف بجونو ماذا ؟

- أحلف بجونو أن نتزوج !

- وأن يعيش كل منا للآخر الى الابد !

- أ .. أ .. أ .. الى الابد ؟ !

- اذن .. لاضير عليك .. ستنجو من كل شئ يا جاسون

.. خذ !

- ماذا ياميديا ؟

- أسلحتك التى تقيك !

- أسلحتى ؟ هاتان علتان .. وهذا حجر أسود

صغير ! أكل هذه أسلحتى ؟ ماذا أصنع بها ؟

— علبة من فضة اذا فتحتها اصاعدت منها ريح تفل من حدة عجلي فلكان ، وتقى وجهك حر النار التي ينفثانها من منخريهما ، فتستطيع ان تلجمهما وتضع على عنقيهما النير حتى يكون المقوم (١) بيدك ، أما الحجر الاسود الصغير فتقذفه وسط المحاريين الذين تنبتهم ارض مارس الجبوب ، وانه لحجر مسوم من سجيل ، يجعلهم كعصف مأكول ! وأما العلبة الصغيرة الذهبية فتتشر مما بها من طيب في وجه التنين ، فيسكر وتتخدر أعصابه وينام لساعته ، ولك عندها أن تقضى عليه .. وسكنت ميديا ..

ومدت فمها الى جاسون ، فطبع عليه قبلة فاترة خائفة ترتجف وترتعد ، مما سمع من سحر الحجر الاسود ، وريح العلبة الفضية ، وطيب العلبة الذهبية !!

وكان الجو العبوس القمطرير يزيد في منظر الحفل الحاشد روعة ورهبة ، وكان الملك الجبار يملأ بجسمه الضخم ، عرشه الممرد ، فوق الاكمة المشرفة على الارض الجبوب المقدسة باسم مارس ، وكان الناس الذين أقبلوا من كل فج مشاة وعلى كل ضامر ، يجلسون على الشعاف وأحياد الجبال المطللة على الميدان ، متزاحمين متدافعين كأنهم في يوم حشر ... وكان اخوان جاسون يجلسون عصبية بينهم وفي قلوبهم حسرات على ص——احبهم ، وألسنتهم ماتفتت عن الدعاء له ، والتوسل الى الآلهة من أجله .. وكانت ميديا العتيقة تجلس في ركن من مقصورة الملك تشعوذ وتعوذ وتطلق الرقى ..

(١) المقوم: الخشية بين الثورين يمسك بها المحراث ، أما النير ، فالقصة التي تشد المحراث على عنقيهما (الثعالب)

ثم دق الناقوس الكبير فصمت الناس وشملهم سكون عجيب .. وانفتح باب الزرب فبرز عجلا فلكان ، ثم جملا يعصفان ويتلبطان (١) وينفثان من منخريهما شررا ودخانا يختلط بهما لهب أزرق ، مامس شيئا في الميدان الاحرقه .. حتى العشب الرطب المندى ، بله الهشيم اليابس .. ، وبرز جاسون من مكمنه ، فأنحبست أنفاس الناس ، وسكنت الريح ، وأشرف الآلهة من نوافذ السماء تنظر الى هذا اللقاء العظيم .. وأهطع (٢) أصحاب البطل ، وطارأت ألوان وجوههم ، وتحسس كل منهم فؤاده ... ولكن جاسون الهائل خطر شطر العجلين غير هباب ، وعليه دروعه ، وفي يده سيفه ، فلما كان قاب قوس منهما ، جعل يتلطف بهما ، ثم فتح العلبة الفضية فصعدت منها ريح هدأت ثورتها ، وأسبلت قيادهما ، فأسرع الى النير فوضعه على عنقيهما ، وشد وثاقه ، ثم ربط اليه المحراث وبدأ عمله الشاق .. وكانت الريح السحرية قد بطل عملها أو كاد ، فعاد العجلان الى سابق دأبهما من التوحش والتمصاص والشبوب (٣) وعاد منخراهما يقذفان دخانا أبيض وشواظا .. بيد أن جاسون سيطر عليهما حتى أتم حراث الارض كلها ، ثم قادهما الى زربيهما وأطلقهما ، وغلق عليهما ، وقصد ناحية الملك يسأله أنياب التنين ليزرعها .. فدفعها الحراس اليه ، وطفق يخرسها في الارض الرحبة ، حتى اذا فرغ من عمله ، نظر ، فاذا رؤوس مقنعة في خوذات من حديد تنبت من الارض ، ثم تنمو فتبرز الرقاب ، ثم تظهر الصدور وعليها الدروع السابغات ،

(١) الأعصاف السير السريع الذي يثير الارض ، ويتلبطان يختلطان في سيرهما
(٢) مدوا رؤوسهم
(٣) أن ترفع الدابة يديها غاضبة

ثم تشقق الارض وتكون الجذوع كلها من فوقها ، وتخلص
الاذرع وفي أكفها السيوف المرهفة تلاعب الهواء .. ثم
ترتفع الافخاذ وعليها كل لامة دلاص (١) ، ثم يقف أمام
جاسون جيش عرمرم من هذه الشياطين المسلحة ترغى
وتزبد وتزأر ، ثم ينقض عليه الجيش بأكمله ، وقد شرع
كل جندي حسامه ، فيتلقاهم البطل بأحسن ما علمه
شIRON استاذة العظيم من قوة في كر ، وحزم في فر ،
وحذق في تحرف لقتال ، ورسم لخطط النضال ..
وكان الملك ينظر الى كل ذلك ويتعجب ، وكان الشعب
يفغر أفواهه من دهش وذهول .. وكانت ميديا - برغم
ما سلحت به جاسون من سحر - تمسك قلبها الخفاق
بيدين مرتجفتين .. أما رفاق جاسون ، فوا رحمتهم لهم !
لقد كانوا يرون الابالسة يحدقون به من كل صوب ،
ويزالون الارض تحت قدميه ، فتزيغ أبصارهم وتتقلب
قلوبهم ، وتتسلج مشاعرهم ، وينظر بعضهم الى بعض ،
لا يملكون لهذه ردا ولا دفعا ..

وظل جاسون يناضل ويناضل ، وكلما قتل عشرة
وقفت مائة مكانها ، وكلما جندل مائة بدلت بألف ،
فانقذف شيء من الرعب في قلبه ، وسرى الى نفسه دبيب
من اليأس كاد يقتله لولا أن أقبلت جونو تكلمه في بسمة
روحت عن قلبه ، وتذكره بالحجر الصغير الاسود ..
ولكن الحجر الصغير الاسود كان في جيب صدره ، فأني
له به ولو غفل لحظة عن الدفاع عن نفسه لباء بقتلة
شنيعة يقطر سمها من ألف ألف سيف !!

وجعل المسكين يحاول مرة بعد مرة أن يخرج الحجر
الصغير الاسود .. ولكن محاولاته كلها ذهبت سدى ..

(١) الدرع الواسعة السابفة

وكان قد بلغ منه الجهد ، وتولاه الاعياء والضنى .. فلهج
لسانه فجأة باسم جونو .. فأسرعت سيده الاولب
لنجدته ، وأخرجت الحجر الاسود من جيبه ، ووضعت في
يده ، فقفه جاسون وسط جيش الاعداء المحدثين به ،
فما هي الا طرفة عين حتى تفرقوا من حوله ، ثم تصرعوا
غير مأجورين .. وماتوا جميعا

وأهرع أصحاب جاسون اليه ، وطفقوا يحيونه ويهنئونه
ويذرفون حوله دموع الفرح لما كشف عنه من غمة هذا
البلاء ، ثم حملوه وهم يهتفون أحر الهتاف ، وأهرعت
الجموع الزاخرة في آثارهم نحو البحر ، وهي لا تفتأ تردد
صيححات الاغريق ، حتى خاف الملك على عرشه أن يثله
شعبه ، وأن يجلس عليه جاسون .. لذلك اربد وجهه ،
وانتشرت عليه سحابة من الكآبة والهم تملأ أساريره

وبلغ الاغريق سفينتهم فشكروا للكلخين جميل ما
حيوا به بطلهم ثم خلوا بعد ذلك الى جاسون فنضوا عنه
ثيابه ، وضمخوه بالطيوب والعطور ، ثم هياؤا له طعاما
وشرابا ، من أفخر ما يقتنون . وفي الليل أسر لهم بسرهم
وانطلق اليلقى ميديا

ولقيته ابنة الملك بابتسامة لم يجزها عليها بمثلها ..
ثم تركها وقتا غير قليل تغمره بقبلها وتنضح يديه وخديه
وجبينه بدموعها ، وتعبر له عما كان يقيمها ويقعدها حينما
انبرى لعجلى فلكان ، وحين أحرق به أبالسة التنين يقاتلونه
ويتكاثرون عليه ، وهو صابر لهم ، ثابت لجموعهم ، حتى
قذف الحجر فانقذفت في قلوبهم المنايا

- أرايت اذن يا حبيبى ما صنع الحجر الاسود من
السحر ؟ أيقدر على مثل ذلك غير من أوتى من العلم
ما أوتيت ؟

- كلا !

- ما لك لا تتكلم يا جاسون ؟

- الفروة الذهبية ! أريد أن أفرغ من هذا الهم المطويل !

- الفروة الذهبية لك من غير ما ريب ، فلا تبتئس ! قبلنى !

وطبع على ثغرها قبلة مينة كانت ترتجف من شياطين السحر التى ترقص دائما فى فم ميديا . . . وانطلقا الى الجانب القصى من الغابة المجاورة ، حيث كان التنين الهائل يحرس الفروة المعلقة على شجرة السنديان ، وهناك ، فتح جاسون العلبة الذهبية ثم اقترب من التنين فى غفلة منه ، وقذف فى وجهه بما كان فيها من قطرات السحر . . . فترنج الوحش المخيف الرائع ، واستل جاسون جرازه ، وأغمده فى صدر الافعوان الكريه ، فخرس يتلبط فى دم غزير . . . وانقض الفتى على الفروة الشمينه التى ترجح ألف كنز فانتزعها من الشجرة . . . وعادا عجلين الى القصر الملكى الرهيب ، حيث كان وصيفاتها فى انتظارها ، وقد جمعن كل ما استطعن حمله من أذخار القصر ، كما رسمت لهن ميديا من قبل ، وحين أوشك الجميع أن يغدوا السير الى الأرجو . . . اذا بالفتى أبستروس ، أخو ميديا غير الشقيق ، وولى عهد الملك ، يقبل لبعض شأنه ، فتغريه أخته بالسفر معها فى رحلة جميلة الى أبداع بلدان العالم . . . تساليا . . . ويرضى ولى العهد . . . وينطلق الجميع الى المرفأ حيث رست الأرجو ، فيركبون فيها ، وتقلع بهم فى موج كالجبال

أقلعت الأرجو وطفقت تطوى عابا من بعده عباب ،

- ١٦٤ -

ولجة من ورائها لجة ، وبدأ الطريق كأنه يطول ، والافق كأنه يحلوك ، والسحب كأنما تتجمع من كل صوب لتنعقد فوق الآبقين بكنوز ايتيس وابنته وولى عهد . . .

ونمى الخبر المفزع الى الملك فجن جنونه ، وهب من قوره يعد أساطيله ليقتفى آثار جاسون ، عسى أن يقبض عليه ، ويعود بابنيه وأعز كنزه . . . وانطلق هو الآخر يطوى العباب ، ويتواثب بأسطوله فوق أعراف الموج ، ووقف بين الملاحين يحضهم ويحرضهم ، ويستحثهم ويشجعهم ، حتى لاحت الأرجو لهم كالنكتة السوداء فى حمرة الشفق ، أو المطوقة الورقاء فى صحيفة الافق ، فضاغفوا الجهود وشدوا الأذرع ، واستتبخوا اليها من كل فج ، وكانت سفينة الملك فى المقدمة كالطائر الدليل يتبعه سائر السرب ، ونظر الارجونوت فأبصروا السفينة تنقذف فوق نواصى الموج نحوهم ، فراحوا بدورهم يعملون المجاديف ويهددون الشراع للريح ، وكلما اقتربت السفينة منهم خفقت قلوبهم وشاع فيها الذعر ، وكانت ميديا تنظر الى مركب أبيها وترتعد فرائصها من الفرق . . . وفكرت فى ألف حيلة وألف سحر ، ولكن أفكارها ذهبت كلها أباديد ، وبطل سحرها كله ، فهو لا ينفع ولا يفيد . . . واقتربت سفينة أبيها حتى صارت على رمية سهم . . . وأخذ أبوها المسكين يهتف بها وينادى ، ويتوسل أن ترد اليه ابنة . . . ابنة الأوحده . . . أبستروس . . . « ميديا ! ابنتى ! أنا أبوك ! أتوسل اليك ! ردى على ولدى واذهبى أنى تشائين ! انه أمل فى الحياة ! انه ولى عهدى وحافظ ذريتى ! ميديا ! أرسله فى زورق واذهبى أنت . . . ! » ولكن الفتاة غلقت فؤادها وسدت بالبحود سمعها ! وأسفاه ! يا للقاسية ! يا لبرودة القلب الذى لا يحس ، والنفس التى لا ترحم ؟ لقد أمرت

- ١٦٥ -

ميديا بالفتى فأحضر اليها ، ثم شحذت سكينها وأغمדתه
فى صدره ، وتدفق الدم الحار ... دم الشباب الفينان
... يلطخ اليد الاثيمة المجرمة ... اليد الشقية ، يد
ميديا التى طوعت لها نفسها المغلفة قتل أخيها ، ثم
تقطيعه اربا ... ؟

ماذا خطر برأس الساحرة ؟ أواه ! لقد أخذت تمزق
أخاها مزقا مزقا ، وكلما اقتطعت منه شلوا قذفت به فى
الماء ، وأبوها المسكين المجنون يرى ، فيضطرب أن يتلبث
عند الشلو لينتشله ، ثم يتلبث عند الشلو الذى يليه ...
وهكذا دواليك ، حتى انتشل آخر الامر الرأس العزيز
... الرأس الصغير الذى كان يبسم لاينع الآمال ، ويحلم
بأجمل الامانى ... رأس أبستروس ... ولى العهد ،
والامل المدخر لامة بأسرها ...

لقد انتشر الظلام فى عيني الملك ... وغمر قلبه
قنوط مر ... وأمر الملاحين فطووا الشراع ، وأخذوا
يعودون أدراجهم الى الوطن فى بحر هادئ كله هم ، وكله
حزن ، وجلس ايتيس وبين يديه أشلاء ولده يغسلها
بدموعه ، ويخضبها بالدم الذى تذرفه عيناه

- آه يا بنى ! أية فروة وأى كنز ؟ ليتك خلصت لى
بكل ملكى ! ميديا ! غضبت عليك آلهة السماء يا عاقه !
تبت يداك يا أغدر البنات ! ألا ليت أمك لم تلدك ... !
أبستروس ! رد على أيها الحبيب ... ! « وهكذا ظل
الملك المحزون يجتر أشجانه حتى عاد الى الوطن !

ولكن جاسون ما خطبه ؟ ! مسكين ! لقد كان ينظر
الى ميديا وهو مأخوذ بما تصنع ! ولقد حاول أن يمنعها
من ارتكاب هذا الاثم ... لكنها حدجته بنظرة أمرة كان

يرقص فيها ألف جنى ، فسكت ! وهل كان فى وسعه أن
يفعل شيئا ؟ ! أليس يذكر الحجر الواحد الصغير الاسود
الذى أهلك جيشا بأكمله ؟ ورد عنه كيد ألف ألف مقاتل
من المردة الجب---سيرة ؟ ! بيد أنه عرف ماذا يحجز
بين قلبه وبين فم هذه المرأة الهائلة حين كانت تغمر خديه
وجبينه بالقبل ! لقد كان السر الرهيب المطوى فى صحائف
الغيب هو الذى يصون جاسون من مبادلتها حبـا بحب
وغراما بغرام ، وقبلها حارة ملتهبة بمثلها !

وقد فكر جاسون فى ملكه الضائع المغتصب ، وفى أبيه
الضعيف الطريد ، وفى عمه الجبار العتى ، وفكر فى قوة
ميديا الخارقة ، فأثر أن يبقى عليها عسى أن تنفعه ...
لهذا أظهر لها التودد ، وتعمل فى حضرتها البشاشة ...
حتى وصلت الأرجو الى ايولكوس ، حاضرة تساليا ...
وحمل جاسون الفروة الشمينية ، وقصد الى عمه ...

وذهل بلياس ... وجعل يحملق فى الكنز العظيم الذى
أتاه به ابن أخيه ... وجعل يلمسه بيديه كأنه لا يصدق
... ولكن كيف لا يصدق وهذا بريق الذهب يكاد يذهب
سناء ببصر عينيه جميعا ؟ !

- « ترى ماذا صنع هذا الفتى حتى وسعه أن يقهر ملك
كولخيـس على هذا الكنز العظيم ؟ ان الملك كان أحرص
عليه من نفسه التى بين جنبيه ؟ ألا كم هلك أناس طمعوا
فى فروة فركسوس ؟ عجلا فلكان ! وأرض مارس ! وجبل
بأكمله ينبت من أنياب التنين ... ؟ والافعوان الهولة
الذى يحرس الفروة ؟ أظفر جاسون - هذا الفتى - بكل
أولئك ؟ جاسون ابن أخى ؟ عجيب وحق الآلهة ... ؟ بل
أسأله ، فلا بد من سر فى هذا الامر ... » وسأله ،
وتبسم جاسون ، وراح يلفق قصة طويلة قذف بها الرعب

ففي جوانح عمه ، وظل يتغنى بشجاعته ، ويصف ما كان من ظفره بعجلى فلكان ، وحرثه الارض الجبوب ، وغرسه أنياب التنين ، ثم هذه الحرب الزبون التي شبها عليه المردة وما كان من افناؤه لجموعهم ، وتلك الملحمة التي قتل فيها التنين الرهيب الذي وكلت اليه حراسة الفروة العظيمة . . . ثم انه لم يشر بكلمة الى ميديا

وأكرم عمه مشواه وطلب اليه جاسون أن يتنزل له عن العرش ، فمطله ، وراوغه ، وزخرف له الاماني ، حتى أيقن جاسون أن عمه يعيث به ، بل يدبر له غيلة يخلص له العرش من بعدها ، ولا يعكر عليه صفو الحياة أى من تلاميذ شيرون

ولقى جاسون أباه فراعه أن يرى كومة من العظام ، نخرها الكبر ، وجللها المشيب ، وأوهاها الحزن ، وأوهنها الالم المتصل ، ونامت تحت كوارث الزمان . . . وبكى جاسون ! ولكن أباه انتهره وقال له : « أى بنى ! ليس لرجل مثلك شب على فضائل شيرون أن يبكى ! انما يبكى النساء والمستضعفون من الرجال . على أنه ماذا يبكيك ؟ ألا ان كان يبكيك اقتلاع أبيك من العرش ، فلهذا عهدي بك الى أستاذك العظيم ، وأحسبه قد ذكر لك ما كان من وصاتي له حينما عهدي به اليه يهذبك ويؤدبك ، ولقد أصبحت رجلا شيخا هالكا ، أما أنت فمن صباك في ابان ، ومن عنفوانك في ريعان ، وأنت بالعرش أحق منى وأولى ، وهو بك منى ومن عمك أليق ، ولن أغفر لك قعودك عنه ، وليس في تساليا الا شعب يحبك ورعية تلهج بالشثناء عليك ، فشمر عن ساعدك ، واطلب حقا بالقنا يا جاسون » وذهب الفتى ، وقد اضطرم بين جنبيه جحيم من النقرة

على عمه ، فلقى أول من لقي ميديا

- ماذا ، فيم أنت مقطب هكذا يا حبيبي ؟

- لا شيء . . . لا شيء مطلقا !

- لا شيء ؟ وكيف ؟ ألا تفهم ميديا ما في نفسك ؟ حدثني ولا تخف على ! . . .

- لا شيء وحقق يا ميديا

- أومصر أنت على كتمان دخيلتك عني ؟ اذن لقد كان أبوك يعظك !

- أجل ! وبهذه المناسبة أريد أن أقول لك كلمة . . .

- قل يا حبيبي ! تكلم يا جاسون !

- ان لك الماما تاما بغرائب السحر ، وعلم التعاويذ والرقى ، ولقد نفعتني علمك في أخرج مواقف . . . ولن أنسى مساعدتك يوم لقيت عجلى فلكان ، وحاربت المردة ، وقتلت التنين . . . انما فعلت كل أولئك بمعونتك ، ولي رجاء اليك . . .

- رجاء ؟ أى رجاء يا حبيبي ؟ انما لك أن تأمر . . .

- شكرا . . . ! الا تستطيعين يا ميديا أن تردى الشباب الى أبى ؟ أنه رجل شيخ محطم ، وأن الايام لتنحدر به الى القبر ، كما تنحدر صفوانة (١) من شاهق . . . فهل عزيز على علمك أن ترديه الى ما ولى من الصبي ؟ . . . خذى من عمرى فصلى عمره ان استطعت ! أتوسل اليك يا ميديا أن تفعل ! . . .

- اطمئن يا حبيبي فليس أيسر مما طلبت ، وسأرده الى ميعة شبابه بقليل من العناء . . . وسأزيد في عمره

ما أحببت على ألا تنقص سنوك شيئاً بل تزيد ان شئت؟!
لقد كان البدر تاماً والليل الفضى الجميل أروع ما ينشر
لجينه على الطبيعة النشوانة (١) ، وكل ما فى البرية
نائماً ساكناً والعشب الحلو كان نائماً كذلك ... وكانت
ميديا تخطر كالشبح الأبيض بين الآكام وملء الأدغال ،
حتى أتت الى ربوة تشرف على كل ما حولها فصعدت فوقها
... وتلبثت قليلاً تفحص الطبيعة الرائعة فى الأرض
والسماء بعينيهما الجبارتين ، ثم بدأت تتلو تعاويدها
وتقرأ رقاها ... وتصلى للنجوم صلاة سحرية كان
يحملها الليل الصامت الى أرجاء السماء ، والى القمر الحالم
الساهم ... ثم سبحت سبحاً طويلاً باسم هيكاتيه ربة
السفل والسحر ، وباسم تلولوس ربة هذه الأرض العجيبة
النائمة التى تنبت البقل والعشب لما تعمل ميديا ، وصلت
كذلك لآلهة الغاب والأنهار والبحار ، والغدران ، والآلهة
الرياح والضباب والسحاب ، وصلت لجميع الآلهة ، ولم
تفتر تطلق التعاويذ وترسل الرقى ...

ثم سكنت ، وصمت من حولها كل شيء ، حتى الرياح
كتمت أنفاسها ، ثم تشبقت السمااء فكانت وردة كالدهان
... ثم انفتح باب كبير من ذهب ، وبرزت منه عربة
عجيبة يجرها أفعوانان هائلان ، فلم يزالا يطويان الرحب
حتى كانا عند قدمي ميديا ... وتقدمت الساحرة وهى
تبتسم ، فركبت فى العربة وانطلق الأفعوانان يجرانها فى
الهواء ، ويرفان بها فوق الوديان والغيران ، وفوق قُلل
الجبال وهضاب الأرض ، وفوق الغاب الساكن المستتر ،
وفوق الأنهار والبحار ... حتى انتهت الى آخر أقطار

(٢) المشهور نشوى وقد استعملنا هنا لغة بنى أسد ككرانة

الأرض ، حيث تنبت الأعشاب العجيبة التى تنفعها فى
سحرها ... وهناك ... مكثت الساحرة تسع ليالٍ
بعيدة عن العالم تجمع العشب وتنتقى البقل ذا الأسرار ،
ثم ركبت عربتها ، وانسابت فى الهواء حتى أتت بيت
جاسون ، فنزلت بحملها العجيب ، وعرج الأفعوانان فى
السماء ...

وفى الصباح ، فوجئ جاسون بوجودها فذعر ذعراً
يشوبه شيء من التفاؤل بعودة الشباب الى أبيه كما وعدت
... وأمرت أن يخلى بينها وبين إيسون حتى لا تهرى عين
الى ما تصنع ، ولا تنكشف أسرار سحرها لأحد ما من
العالمين . ثم انها أقامت مذبحين عظيمين أحدهما باسم
هيكاتيه ربة السفر والسحر ، والآخر باسم هيب ربة
الشباب ، وذبحت لكل شاة سوداء فأحمة السواد ، ثم
صببت على دمائهما صلاة للربتين من خمر ولبن ...
وتوسلت بعد ذلك الى بلوتو رب هيدز ، والى زوجته برسفونية
ألا يعجلا بقبض روح إيسون . ثم بدحت (١) نحو
الرجل فتمتمت برقية أسلمته الى نوم عميق ، وأضجعتة
على فراش مهدته له من الأعشاب العجيبة التى حملتها من
أقصى الأرض ، وطفقت بعد هذا تخطر وتدور حول الجثة ،
وشعرها المتهدل يداعبه النسيم ، وصدرها المنكشف ناهد
نحو السمااء ... حتى اذا أتمت دورات ثلاثاً وقفت وشحذت
سكيناً ماضياً ، وجعلت تشعل أعواداً من عشبها وتنظمها
حول المذبحين . ثم تناولت أداوتها التى حفظت بها
أعشابها ذوات الأسرار ، وحفظت بها أزهاراً فيها من
الرحيق السحري ما هو آية ، وجعلت فيها من حجارة

(١) اتجهت اليه

الشرق ورمال البحر المحيط ، ومن البرد الذي جمعه أثناء رحلتها في ضوء القمر ، وجعلت فيها رأس بومة وجناحيها ، وحوايا (١) ذئب ، وبقايا من صدفة سلحفاة ، ومزقا من كبد غزال ، ورأس غراب ومنسره ، وما الى أولئك من آثار الحيوانات المعمرة ، ثم صبت على ذلك كله ماء وتمتمت بكلمات ، واشعلت نارا فجعلت عليها الاداة بما فيها ، وتركتها تغلي وتغور ، وهي فيما بين هذا وذاك تعوذ وتهتم وتتمتم وتغمغم ، ثم قلب ما في الاداة بغصن زيتون أملود ... فما كاد السائل يفور حتى تمت في الغصن أفنان من الورق الاخضر وحببات من الزيتون ، يكاد زيتها يقطر منها ، وكاما نثرت منه على الارض شيئا نما مكانه عشب حلو أخضر كأحسن ما ينمو العشب في ابان الربيع !

ثم شحذت سكينها مرة ثانية ، ثم أهوت على حلقوم الشيخ فقطعته ، وتركت دمه ينبجس من الجرح الكبير حتى سال أجمعه ، ثم انها صبت من الاداة في الجرح وفي الفم ، كأنما تجعل منه مكان ما سال من الدم . وما هي الا لحظة حتى دبت الحياة الفتية في جوارح الرجل المهدم المحطم ... فهذا شعره يسود ويصير فاحما غريبيا ... وهذا وجهه الجعد ذو الاسارير يمتلئ باللحم وبالدم ، وهذا ظهره المحنى يستقيم ويمتلئ قوة وعنفوانا ، وهذا دم الشباب يجري في عروقه كما كان قبل أن يكتهل ، وها هو ذا يشب كالغلام الامرد السمهري ، ويشب على اخصيه كأرشق ما يفعل الصبيان ! وها هو ذا الوجه يكتسى جمال العصر الخالي ... ثم ها هو ذا جاسون

(١) أحشاء

يقبل من بعيد فينظر الى أبيه وكأنه في حلم ... ويعانقه ويهنئه ... ويشكر ميديا ... ويبكي !!

- أرايت يا حبيبي ؟ أليست لك حاجة بعد ؟
- وكيف يا ميديا ؟ انى مفتقر أبدا الى واسع علمك ، ومبين سحرك !
- أمهمة أخرى ؟

- أجل يا ميديا ! ألا ترين الى والدى مطرودا من عرشه ، وأن الحزن يقتلنى من أجل هذا ؟ ألا تصنعين شيئا ينفعنا فى ذلك ؟

- ولم لا تقتل عمك ؟ ألا يستحق القتل بعد كل هذه الجرائم ؟

- أنا ضعيف ياميديا .. وهو رجل جبار وله جند ...
- اذن أنا أكفيك مؤونة ذلك ..

وأخذ ايسون يجوب شوارع المدينة فيراه الناس ، ويعجبون لهذا الشباب الذى تدفق فى برديه ، فيسجدون له ، وان منعهم الجند وطاردهم ... وعلم بنات الملك بما ردت ميديا على عمهن من روثق الصبي ، وما البسته من رواء الشباب ... وكان أبوهن قد بلغ منه الكبر ، ورزح تحت أعباء الملك المغتصب ، فوددن لو آتين له بميديا لتصنع معه ما صنعت مع ايسون ... واتصلن بالساحرة ، وأغرينها بالمال ، فرحبت وقبلت مختارة أن ترد الى ابيهن الصبي ، حتى لا يغلبه على الملك ايسون ولا ولده جاسون ... وأحضرت الاداة بما وعت من عشب ، ثم جرى لها بالشاة السوداء ، ولكنها حين تمتت بكلماتها السحرية ، وكانت الاداة تغلي بما فيها من سائل عجيب ، قفزت الشاة فكانت فى الاداة ، ثم قفزت منها فكانت حملا

وديعا جرى الى السهول يرعى العشب . . . وطرب البنات
حين شهدن آية السحر واعجازه . . ثم جرى بالملك وحراسه
ليشهدوا . . . وأعطت ميديا كلا منهن سيفاً مسلحاً
وتمتت بكلمات فدارت الارض برأس بلياس وصحبته وحراسه ،
فسقطوا وغطوا في سبات عميق . . . وأشارت ميديا الى البنات
أن يضربن بسيفوفهن عنق أبيهن وصدره ، لتبدأ هي عملها . . .
فتلكأن أول الامر . . ثم أطعن ، وحركن أيديهن بالسيفوف
في ضعف وفريق ، فأحدثن به جروحاً أيقظته . . فلما
شهد بناته تأوه وتوجع وصرخ بهن : « ويلاه ! بناتي
يقتلنني ؟! » وخافت ميديا أن يبطل سحرها ، فبدت في
صورة إحدى بناته ، واستلت سيفاً مرهف السنان ،
وأغمده في صدر الملك اللص . . فمات الى الأبد . .
وأغمض عينييه ليفتحهما في هيدز ، وفي هيدز فقط !

وكانت ميديا قد هتفت بالآلهة فأرسلت اليها العربة
التي يجرها الأفعوانان ، وكانت قد فعلت فعلتها حين بدأ
الفجر ينبثق ، فركبتها ولادت بالفرار ، قبل أن يكشف
صنعها أحد !

سبحان مقلب القلوب ! ان كل هذا السحر لم ينفع
ميديا ! لقد كان قلب جاسون مغلقاً دونها برغم أنه بر
بوعده فتزوج منها وأولدها أطفالاً أبرياء أطهاراً أنقياء
كالثلج !! لقد أحب جاسون الأميرة كروزا ملكة كورنث
وأحب هذه المرة حباً صريحاً لا يشوبه دعر ، ولا تعكره
التعاويد ، ولا تتلفه رقي السحر . . وأعلنت الخطبة ،
فجن جنون ميديا ! واسودت الدنيا في قلبها وعينيها . .
وهاها نكران جاسون جميلها الذي ناله مثني وثلاث
ورباع . . ولم لا ؟ أليست هي التي مهدت له سبيله الى
العرش ؟ أليست هي قاتلة بلياس ؟ اذن ، فالويل له !!

ودست الى أميرة كورنثا ثوبا لو اجتمعت الجن والانس
لم تقدر على مثله ، فلما كانت ليلة الزفاف ، لبسته
كروزا ، ولكنها ماتت لساعتها ! أواه ! لقد كان الشوب
مسموماً ، وكان ما به من سم يكفي لقتل شعب بأسره !
ولم تكتف الساحرة بذلك ، بل شحذت سكينها ،
وأعادت مأساة أبستروس ، فقتلت جميع أبنائها من
جاسون . . وأشعلت النيران في القصر الملكي ، وفرت
الى أثينا على العربة السحرية لتتزوج من ملكها ايجيوس ،
ولتلقى ثمت مصرعها !

فينوس ربّة الجمال والحب



تعالوا يا أعزائي المحبين نسمع اغنية الجمال والحب،
من ربة الجمال والحب ، بارزة من الشبح ، فوق الموجة
الكبيرة ، وسط اليم

لقد كانت السماء زرقاء صافية ، ولكنها لطفت ورقت
وتضاعف صفاؤها ، عندما ذاع فى ملكوتها النبأ العظيم،
وبشرت بمولد فينوس !

ابتسمى ايتها الشفاء الحزينة ، وانبسطنى أيتها
الاسارير المقطبة ، واثلجنى يا صدور المكومين !
وأنت أيها القلب الملتاع قف خفقانك ، وأنت أيها
الطرف الساهم كفكف عبرتك ، ويا نفوس العاشقين
اطربى ، فقد ولدت فينوس !

برزت عرائس البحار يصلين فى بكرة الصباح لابلولو،
فما راعهن الا الطفلة المعبودة تخرج من الزبد الابيض كما
تخرج من الصدفه لؤلؤة غالية ، وتتهادى على رؤوس الموج
كطيف نورانى فيسجد الماء تحت قدميها الصغيرتين ،

(*) اسمها اليونانى افروديت ، وسميت فى اساطير كثيرة ديون ،
كوثيريا ، وهى الهة الجمال والحب ، وربّة الضحك والزواج

متمتما بصلاة الحب لربة الحب ، مرتلا أنشودة الجمال
لربة الجمال !

وافتر فم الدنيا عن ابتسامة سعيدة حلوة ، يحيى الفم
السعيد الحلو ، الذى سيملا قلوب العالمين رضى وسعادة!
وأشرق ذكاء تحمل أبوللو ، فلمح السوسنة الوردية
تخطر على لازورد الماء ، فترك عربته المظلمة بالذهب تعرج
وحدها فى القبة الزرقاء ، وانثنى هو يزف البشرى الى
آلهة الاولمب !

وهرعت عرائس الماء الى فينوس الطفلة فرقصن
وزغردن وتغنين ، وحملنها الى قصورهن المرجانية فى
الاعماق ، حيث أرضعنها لبان الهوى ، ولقنها كلمات
المحبة ، ونشأنها على اساليب الصبابة والغرام ، حتى
أينعت وترعرعت ، فأزمن المسير بها الى الاولمب حيث
يتلقاها الآلهة ، فتأخذ مكانا بينهم ..

وكم كان جميلا رائعا أن يصطف التريتون والاوسيانيد
والنيريد (١) من حولها ، وكم كان جميلا رائعا رقص
التريتون على صفحة الماء الجيد — اش بالزبد ، وتغريد
الايوسيانيد كأنها بلابل الروض الاخضر ترسل فى هدير
المحيط شدوها فيحور غناء كله !

وكم كان جميلا رائعا من النيريد أن يتضاحكن مترنمات
فى الحلقة الاولى حول فينوس فتستجيب السماء لهن ،
ويميد البحر من طرب بهن !
كم كان جميلا رائعا أن يخب موكب الحب فوق الماء ،

(١) التريتون هم أبناء تيتون اله البحار ونصفهم الاعلى نصف
رجل والاسفل نصف سمكة - والايوسيانيد هن عرائس المحيطات وأجمل
عرائس الماء وهن بنات اوسيانوس رب المحيطات ومنه اشتقت
Oceans والنيريد طائفة اخرى من عرائس البحار وهن بنات الاله
نيروس

حتى يكون على فراسخ من قبرص معدودات ، فينشئ
الجميع ، الا فينوس التي يهددها زفيروس الطيب ، رب
النسيم الجنوبي ، حتى يصل بها الشاطئ ، حيث يكون
في انتظارها بنات تمييز (١) ربة العدانة ، وبنات يورينوم
ربات الفضيلة والخلق الحسن ، فيتقدمن الى ربة الحب ،
فيصلين لها ، ويجفن شعرها الذهبي المتهدل فوق كتفيها
العاجيتين ، ثم تدلف بينهن ، لفاء هيفاء ، غراء غيداء ،
مهتزة الجيد ، وضاحة الجبين ، كلما خطت خطوة قبلت
الارض قدميها المعروقتين ، وكلما مرت ببلقع اهتز وربا ،
واعشوشب وأزهر ، حتى يلقاها الهة الحب الاربعة ،
رب الشهوة هيميروس ، ورب الغزل سواديللا ، ورب الانفة
بوثوس ، وهيمين رب الزواج ، فينخرطون في الجماعة
ويهبطون الى الاولمب !

وتكون الانباء قد تواترت عن قدوم الربة الجديدة ،
فيصنع لها عرش عتيق ما تكاد آخر ياقوته تركب فيه ،
حتى تصل فينوس فجأة فتستوى عليه ، وتتصارع أبصار
الالهة العطشى حول جسمها الخصب ، المترع بالمفاتن ،
وتتلمظ الشفاه الجائعة تود لو تفترس هذا الفم الاحوى
الجميل ، وتسرى كهرباء الاشتهاء في الاذرع القوية ،
والصدور الهرقلية ، تحلم بضم الجيد الناهد ، ومخاصرة
الوسط المياس ، و .. كأنها العنقاء ترسل الممحة من
طرفها الساجي فتصرع هؤلاء وهؤلاء !!

وتقدم الالهة كل بدوره يطلب يد فينوس ، وكان كل
اله يفاخر أخاه بما لديه من نعم وآلاء . وكان مضحكا أن
يسفه الالهة بعضهم بعضا بين يدي ربة الجمال والحب
حتى ازدرتهم جميعا ، وخبرت من حماقتهم مالا يتفق

(١) بنات تمييز هن ربات الفصول الاربعة ، وبنات يورينوم هن تاليا
وأحاليا ويوفروسين

وهذا الورد المتفتح في خديها ، والسحر النائم في
مقلتيها ، والفتنة الثاوية في كل جارحة من جارحاتها ،
فرفضتهم أجمعين ، وان تكن برفضها قد أغضبت أباهما
كبير الالهة وسيد أرباب الاولمب

ولم يغض الالهة عن تحقير فينوس لهم ، بل انقلب
اعجابهم ثورة ، وارتد افتتانهم نقمة ، وود كل منهم لو
خلى بينه وبينها فيبطش بها بطشا شديدا

وأجمعوا أمرهم ضحي ، وذهبوا الى زيوس يطالبونه
بالاثار لكرامتهم كأرباب مرهوبى الجانب مخوفى
السلطان ، من ابنته ربة الحب الطائشة !!

وخاف زيوس من ثورة الالهة ، وافزعه تجمهرهم فى ردهة
الاولمب يتصايحون ويصخبون ، فخرج اليهم هاشا باشا ،
ودق بصولجانه على الارض المرمرية وقال : اخوانى ..
أبنائى :

« لستم أنتم وحدكم تفتخرون من فينوس الجميلة ما
بدر منها فى حضرتكم من زهو وخيــــــــــــــــلاء ، بل أنا
معكم ناظم على هذه الابنة العساقة التى صغرت
فى حضرتى خديها ، وشمخت بأنفها ، وحسبت أنها خير
من الالهة درجة وأعلى مقاما .. »

لتطب نفوسكم يا اخوانى ويا أبنائى .. لقد أصدرت
الساعة ارادة أولمبية تقضى بأن تتزوج فينوس المتكبرة
المتفرطسة ، المختالة ، من فلكان الحداد ، صانع دروعكم
ولجم خيولكم ! »

وما سمــــــــــــــــعها الالهة حتى صــــــــــــــــاحوا لسانا واحدا :
« ليحى زيوس العادل ! تقدرت يا زيوس ! طوبى لك
يا أولمب ! »

وكان فلكان بين الجماعة وهى تهتف ، ولكنه كان

مشغولا عنها بتلك السعادة التي هبطت عليه من
السماء ، وكان يحمل أرزبته الهائلة ، فلما سمع النطق
الأولبي ، ضرب بها الأرض ضربة راجفة ، أحس بها
بلوتو في أعماق الجحيم ...

« يحسب الآلهة أننا معشر الرباب ملك ايمـانهم
دائما ، يتصرفون بنا كما يحلو لهم !! ما عليهم الا ان
يأمروا ، وما علينا الا أن نطيع ! لقد كنت أوشر أن ألبث
في القصـور المرجانية في أعماق الاعماق ، على أن
تشرق على شعاعة من أشعة الشمس الدافئة التي يرتفع
فيها أولئك الآلهة العتاة الظالمون ! »

« هوني عليك يا مولاتي فقد يصفح غدا سيد الاولب !

« يصفح أو لا يصفح ...

« يا للهول ! ...

« أي هول يا فتاة ...

« ينبغي ألا تعرضي نفسك لغضب رب الارباب ...

« رب الارباب ! أنت تضحكينني يا أجمل العرائس

الاوسيانيد !

« مولاتي ... !

« ان رب الارباب يحكم دنيا من الخزعبلات ..

أما القلوب .. أما قلوب العذارى .. فالحب وحده

يتولاهن ، ويهيمن عليهن ..

« الهتي فينوس ...

« لا تنزعجي هكذا يا عروس الماء .. لقد ولدت

لاكون ربة الجمال والحـب .. فأولى لي ثم أولى ،

ان أسعد بالحـب ، وأن أختار من ذوى الحسن متعتي

الغالية ونعيمي الاوفى .. فلكان !! أنا أقسم أن هذا
الحداد لا يفرق بين القبلة والجدوة ، ولا بين نشوة
الحب وزفير الكير ! وأخشى أن يغازلني يوما فيقذفني
بارزبته . يحسبها ريحانة أو زنبقة ! يا للحداد القذر ! »

« ولكن زواجكما تسجل في السماء ياربتي !

« ان كان سجل السماء مدنسا بكل هذه المقابح

الاسـتـبدادية ، فأنا ... فينوس ربة الجمال والحـب

والزواج .. آنف أن يدرج في صفحاته أسمى !

والآن اسمـعـي يا أوسيانة (١) ، اذهبي الى حبيبي

مارس (٢) فبلغيه أنتى منتظرته الليلة ، بعد مغيب الشفق ،

تحت السنديانة الكبرى في أول منعرجات الغابة .. »

وهكذا أقبلت ربة الحب على كؤوس الحب تنهل منها

ما تشاء ، وتستعرض الآلهة (٣) ، تقبل منهم على

من تشاء وتعرض عن تشاء ... وما أكثر القطيع

وما أشد نهم الذئب !

لقد علقت مارس القوى اله الحرب ، ورب الدمار ،

ولم تبال بزوجها الفظ القذر المنتن ، الذي لا يميز

جرس الموسيقى من طرق الحديد ، ولا نسيم الجنة

من زفرات الجحيم !

وعلقها مارس وأفتتن بها ، حتى كان يعد دقات قلبه

دقة فدقة ، حتى يلقاها ، فتهدأ اعصابه ، ويطمئن

قلبه ، ويثوب اليه رشده

(١) واحدة الاوسيانيد (٢) اسمه اليوناني ايرس

(٣) في الميثولوجية اليونانية الآلهة هم أبناء الخلف فأنصاف الآلهة

هم من كان أبوهم أو أمهم من البشر في حين تكون الام الأخرى أو الاب

الأخر من الآلهة ..

لقد كانت فينوس فتنة حقا !

لقد كانت تتلألاً كتمثال من النور ، في إهاب من البلور !
وكان لها شعر كأشعة الشمس ، يغدودن فوق كتفيها
العاجيتين ، فيظل النسيم العاشق يقبله .. بل يعبده
فاذا تعب ، تركه لينتثر فوق الخصر أو الصدر ، ثم
يعود اليه بقلوب الآلهة وارواحها ، فينثرها تحت
القدمين الدقيقتين الرقيقتين ، لتسحقها فينوس الجبارة
والسعيد السعيد من فاز بابتسامته من هذا الفم
الاحوى المفتر ، أو غمزة من ذلك الطرف المفتر ، أو إشارة
من ذلك البنان المخضوب بدم العاشقين !

وكان مارس لا يخشى من أعين الرقباء مثل ما يخشى
من عيني أبولو ، ولذا كان اذا وافى فينوس في هذا
المنعزل الغرامي السحيق ، في أعماق أحشاء الغابة ،
ترك خادمه أليكترويون عند أول الشعب المؤدى الى
الطريق العام ، يلحظ المارين وينبه الى خطر الإعداء
والناقمين ، حتى يكون الأليفان بنبجوة من الفضيحة ،
وفي حرز من ألسن الكاشحين .. فاذا تبين الخيط الأبيض
من الخيط الاسود من الفجر ، ذهب أليكترويون فأيقظ
العاشقين الآثمين ، فينهضان من غفوة الهوى الى يقين
الفراق ، قبل أن تشرق الشمس

ولكن ! لقد ذهب العاشقان يتراشقان كؤوس
الهوى دهاقا ، حتى اذا نال منهما الجهد وترنحت أعينهما
تحت عبء السهاد الطويل ، انبطحا على الحشيش
الأخضر ، هو الى جانبها وهى الى جانبه ، غريقين في
سبات هنئ ! ولح أليكترويون ظبياً نافراً ، يتفرع في
ظلام الغابة ، فتبعه ، وطفق يعدو وراءه حتى لحق

به بعد عناء شديد ، فاحتمله ، وعاد به الى مركزه
من مكان الحراسة ... ولكنه ما يكاد يصلل ثمة ، حتى
يساقط متهدماً من التعب ، ويغلبه نعاس عميق ..

وأشرقت الشمس !! وبرزت المركبة الذهبية حاملة
أبوللو ، رب هذا الكوكب المشرق المتأجج ، وبدأت
رحلتها السماوية ، وأخذت ترتفع في العلاء رويداً ،
حتى اذا كانت بمنزلة الضحى ، أطل أبولو فرأى مارس
الآثيم ، وفينوس الغاوية ، متعانقين على الحشيش
الأخضر ، وكانت بين أمه لاتونا ، وأمهاديون ، ما يكون عادة
بين (الضرائر) من بغضاء وشحناء ، وكانت ديون
تفخر على زوجات زيوس جميعاً بأنها أم فينوس وحسب !
وكانت لا تعدل بابنتها واحدة من جميلات الأولمب ، بما
فيهن ديانا أخت أبولو ، وابنة لاتونا

انطلق أبولو والشماتة تضطرب في قلبه الناقم على
فينوس ، يحمل الخبر الفاجع الى فلكان ، فألفاه
مستغرقا في صنع شبكة حديدية هائلة ، والنار تتلظى
في أتونها الكبير ، والدخان ينعقد في جو المصنوع كأنه
ينقذف من بركان ، والملاقط والمبارد والمخارط متناثرة على
الاديم المعفر القدر كأنها أعجاز نخل ..

- « فلكان ! ... »

- « هلا ... أبولو .. ماذا جاء بك في هذه
الضحوة ... وأتى غادرت عربتك ؟ »

- « آثرت أن أظا ترى هذه الأرض بقدمي على أن

تحملني بوح (١) ، وقد تدنس شرف الاولب بالفضيحة
المزرية ! ... »

— « الفضيحة المزرية ؟ ماذا وراءك يا أبوللو ! ... »
— « فلكان ! أين زوجك ؟ ... هل أويت اليه —
الليلة ؟ »

— « ماذا ؟ ... »
— « أو لم تفقه بعد ؟ ... ولكن قل لي : ماذا تصنع
بكل هذه الاسلاك الغليظة ؟ »

— « أصنع شبكة كبيرة ... »
— « ولله ؟ »

— « لقد لاحظت النجس مارس يحوم حول حماي
... وأنا لا بد صائده »

— « هلم ، هلم ... »
— « وإلى أين ؟ ... »

— « تصيده ... ألم تنته من صنعها بعد ؟ »
— « بل انتهيت ... وأين هو هذا الوغد ؟ »

— « عني الحشيش الاخضر ، في أول شعاب الغابة ،
مما يلي الطريق العام »

— « ومـع من ؟ ... »
— « مع ... انه قطعة واحدة مع ... فين »

— « معها ؟ ... ياللهول ؟ ... ياللعرض الاحمر ؟ ... »

واحتمل شبكته العظيمة ، وانطلق الالهان الى حيث
... النائمان الحالمان الآثمان !

(١) الشمس

لقد كانا ملتصقين التصاقا تاما ... حتى ما يكاد ينفذ
الماء بينهما !

ونسى كل الف شفتيه في شفتي الفه ، فهما جلنارتان
تبشان نجوى الهوى الى جلنارتين
يا لله !

ليس هذا فسقا أيها الالهة ، بل هو التـمـازج الذي
سميتـمـوه الزوالج (١) !

وانقض فلـكان كالمذنب المدمر ، فألقى شبكته
على الخائنين !

وانتفض مارس وهو يكاد يصعق من الذعر ، وانتفضت
فينوس وهي تكاد تذوب من الخجل ! ولكن ! أي ذعر وأي
خجل ، وهذه الشبكة قد أمسكت بهما كسمكتين !!

لقد مضى فلكان ، بعد اذ ربط الشبكة بما كسبت في
أصل دوحه كبيرة ، وعاد بكل الاسرة الاولمبية (لضبط
الحادثة !)

وكانت ساعة رهيبة ، انصبت فيها لمزات الالهة
الناقمين على رأس فينوس ، وراح كل منهم ينتقم لكرامته
المهدورة من كبريائها وصلفها ، وهي ما تكاد تبين !!

وأطلق فلكان سراحهما ، أما فينوس فذهبت تنشد
عشاقا آخرين !

وأما مارس ، فمضى الى حيث خادمه الاحمق اليكتريون ،
فألفاه لا يزال يغط في نومه غطيظا مزعجا ، فركله ركلة
أطارت صوابه ، واخذ بتلايبه فخضضه تخضضا !

ثم انه أقسم لينتقم منه انتقاما يكون أحدوثة الابد
(١) هذه السطور من كهتس وهي من أبداع شعره في فينوس

وضحكة العباد ، فنفت في أذنيه نفثتين ، ارتد بهما
الخدام المسكين ديكا عجيب الصورة ، أرجوانى التاج .
طويل الجناحين ، عظيم الذيل !

وركله مارس ركلة ثانية ، وقال له : « اذهب فلن
تذوق عيناك غفوة الفجر أبد الأبدية ، ودهر الداهرين ،
وستلصحو قبل كل الخليقة لتصبح في النائمين :
ويحكم أيها الغفاة ، هبوا فقد كاد أبولو يقطر مركبة
الشمس !! ... »

ولا يزال اليكتريون ، ديكنة المحبوب ، يوقظنا قبيل
الشروق الى اليوم ! ... »

القرية الظالمة



ذهبا يدلجان في هدأة الليل ، ويضربان في ظلام الوادي ،
ويتحدث أحدهما الى الآخر حديث الالهة ، وكلما نال
منهما الجهد ، جلسا يتسامران أو ينصت الشيخ ذو
اللحية البيضاء المرتعشة ، الى السحر الذي تنفثه قيثارة
الفتى اليافع

- « حسبك يا بنى ، فلقد كادت موسيقاك تبطل عمل
العاصفة »

- « وفيم تريد أن تستيقظ العاصفة يا أبتاه ؟ »

- « أريد أن تستيقظ العاصفة لأريك عجبا هذه الليلة
من طبائع الناس . أتري الى هذه القرية النائمة في أكتاف
الجبل ؟ »

- « أين يا أبى ؟ »

- « انظر جيدا »

- « انظلام دامس ، ويكاد الحلك يختلط بسواد
الصخر فلا أرى شيئا ... »

- « انظر في الجهة التي تشير اليها يدي »

وأشار الشيخ بيده فانبعثت منها شعاعة من نور شديد
كشفت القرية للفتى

- « آه . هذه هي . عمش خفيف أصابني الليلة يا
أبتاه ! »

وكان الفتى حلو الدعابة ، رقيق النكتة ، ثرثارا ، فقال
له الشيخ يحذره :

- « اذا كنا عند القرية فلا تبدأ حديثا ، ولا تخاطبني
الا أن أخاطبك ، وإياك أن تأتي بإشارة تسقط هيبتنا في
أعين القوم ، فانهم لؤماء سفهاء ، وقد تفسد علينا ثرثرتك
ما جهنا من أجله الليلة إلى هذه القرية ! »

- « نسيت القفل يا أبتاه ! »

- « أي قفل ؟ »

- « الذي أقفل به فمي فما يتحرك ببنت شفة »

- « يا خبيث .. أصمت »

وأشار الشيخ بيده إلى السـماء فاربدت وتكلمت
وأورى برقها وقرقع رعدا ، وانصبت ميازيبها بماء
منهمر ، وانطلقت إلى القرية !

ووقفا عند منزل فخم ضخم ذى شرفات ، فقال الشيخ :

- « تشبث يا بني بأحياد الحائط حتى تكون عند
النافذة ، فانظر ماذا ترى »

وفعل الفتى ، ونزل ، وقال للشيخ :

- « أبتاه ! نسوة عاريات يرقصن ، وندامى وخمر ،

و .. وموسيقى وفتيات .. و .. »

- « وماذا يا صغيرى العزيز ؟ »

- « ودعارة وعهر يا أبتاه .. لماذا جئنا هنا ؟ لماذا
جئنا هنا ؟ .. »

- « قلت لك جئنا لاريك عجبا هذه الليلة من طبائع
الناس هلم الى باب هذا المنزل »

وطرقا الباب ، فبرز لهما فتى غرائق وقال : « ماذا ؟
شحاذان قذران ! » فقال الشيخ :

- « على رسلك يا بنى . أنا رجل شيخ غريب ، وهذا
ابنى ، وقد فجأتنا العاصفة فلجأنا اليكم نرجو أن تضمنا
غرفة صغيرة الى الصباح ، ونطمع أن نتبلغ لديكم
بلقمات .. »

- « غرفة ولقمات ؟ ها ها .. اذهبا اذهبا ..
لصوص ! هذه حيل قطاع الطرق والسفاحين بلونها من
قبل »

ثم قذف بمصراع الباب فى وجهيهما . فنظر الشيخ
إلى ولده وقال : « رأيت ؟ سر الى هذا البيت القريب »
وقال لابنه : « هلم الى النافذة فانظر .. »

وتسلق الفتى وحملق قليلا ، ثم قفز وقال : « أبتاه !
أناس يخزنون الذهب فى خواب عظيمة ، ويختمون عليها
بالرصاص المذاب ، من أين لهم بهذا الذهب كله يا أبى ؟ »
فقال الشيخ : « هم لصوص يا بنى ، وان كانوا لا يقطعون
طريقا ، ولا يسيطون على دار ، ولكنهم يمتصون دم الفقير
والمعوز ، ويصهرونه ذهبا ويكنزونه هكذا ! انهم
أصحاب هذه الضياع والبساتين ! هلم الى بابهم .. »

وطرقا الباب ، وسألا طعاما ، ومبيت ليلة ، فقالت لهم
العجوز صاحبة الدار :

- « ان هذا العام عام شدة ، ولم تبق لنا المجاعة على
زرع ولا زرع ، ماذا عندنا لنعطيكم ؟ هيكل زيوس قريب

من هنا فناما فيه ، وكهنته أسخياء كرماء ، وعندهم في كل
آونة خمر ... سيطعمونكما ويسقونكما ! وربما قدموا
لكل منكما عادة ! فهم فساق عرابيد ... انطلقا اليهم
... اذهبا ... »

وقذفت بالباب في وجهيهما ...

قال الشيخ : « رأييت يا بنى ؟ » فقال الفتى مداعبا :
« نحن نستحق أضعاف هذا الهوان ! ما لنا وللناس ؟ ! » ،
فقطب الرجل جبينه وقال : « مالنا وللناس ؟ اذن ما نحن
في هذه الدنيا يا بنى ؟ ولكن ليس الآن ما أعددت لك من
عبرة هذه الليلة ، سر بنا الى ذلك القصر العتيق »

فلما كانا عنده ، تطلع الفتى فرأى صحبا كثيرا لا يزال
يتعشى ، والموائد حافلة بالاشربات والاشواب ، وبكل ما لذ
وطاب . والندامى البيض كالنجوم رافلات ، ورافلون ، في
وشى وأفواف . وكأن الفتى استطير من العجب ، فقال
للشيخ : « كل الناس هانئون هذه الليلة المقرورة الانحن !!
الجميع يأخذ في نشوة ولذة ونحن نضرب في وحل
وننشق من غيظ ؟ ! »

قال أبوه : « ألم أقل لك ألا تبدأ حديثا حتى ابدأك ؟
هلم الى الباب » وقرعا الباب فبرز لهما شاب مفتول العضل
كأنه هرقل . فلما سألاه حاجتهما ، قادهما الى البهو
الواسع حيث القوم فيما هم فيه من متاع

قال الشاب المفتول : « اليكم أيها الاخوان لصين من
لصوص الدجاج عاثا كثيرا في قريتنا هذه ، ولولا طول
الحذر ما ذقتم الليلة رجل دجاجة ... انهما يطلبان
مبيتا وعشاء ، ولا أدري لم لم يقصدا الى هيك كل الاب
زيوس حيث المبيت الوثير والعشاء الكثير ؟ ! وحيث
أشياء أخرى ... »

وقهقه السمار وتككبوا حول الغريبين ، ثم اخذوا معهما
فى ألوان غير محتشمة من المزاح الثقيل . هذا ينتف شعرات
من ذقن الشيخ ، وذلك يرفع ذيل الفتى مما وراء ، وهذه
تعانق الشيخ وتقبله وتقدم له كأسا من الخمر ، وتلك
تتركب الفتى « زقفونه ! » (١) ...

ولما فاضت الكأس بالشيخ والفتى ، نظر أحدهما الى
الآخر نظرات ، ثم غابا عن أنظار الجماعة ، كأنما تحولا
الى هواء ... ! فشده القوم وأوجسوا خيفة

لم يبرح الرجل وابنه يتنقلان فى شوارع القرية الموحلة
من بيت الى بيت ، وكلما طلبا المبيت والعشاء استهزىء
بهما وطردا شر طردة وأخسها ، حتى ضجر الفتى وبرم
بحكمة والده فى هذه الرحلة المضنية فى ذلك البلد
البخيل ... فقال له : « اذهب أنت فسانتظرك على هذه
الصخرة الناتئة فى حيد الجبل ، وسأتسلى بموسى يقاى
حتى تعود » فقال الشيخ : « وحكمتى التى أردتك أن
تراها بعينيك ؟ هلم ، هلم ... أترى الى ذلك الكوخ ،
لندلج نحوه وليكن آخر مطافنا »

وكانت فى الكوخ كوة صغيرة ينبثق منها نور خافت .
فلما نظر الفتى تمتم يقول : « أبتاه ! امرأة مهدمة وشيخ
محطم أيا لبؤس الحياة ، ويا لطف العيش ! لماذا أثرت
العاصفة يا أبى ؟ ان الماء ينزل عليهما ويبلل فراشهما ... »

- « ستري أن هذا الكوخ هو وحده الذى يبقى »

- « ماذا تعنى يا أبى ؟ هل تهدم القرية ؟ »

- « صه ! هلم فاطرق باب الكوخ »

(١) لم تعرف غير هذه اللفظة الدابية للتعبير عن الركوب على ظهر
الانسان مع لف الساقين والذراعين حول الوسط والعنق وابتكرها
أبو العلاء فى رسالة الغفران فنقلناها عنه

- « قم يا فيلمون .. ان بالبواب طارقا » ..
- « نامى يا بوسيز ! انه البرد ترجم به العاصفة »
- « لا .. ليس بردا .. اسمع ! أناس ينادون .. قد تكون
بهم حاجة »

ونهض فيلمون متهاككا على نفسه ففتح الباب .. وما كاد
الشيخ يذكر حاجته حتى هش صاحب الكوخ وبش ،
وتلقى الرجل وابنه أحسن لقاء

- « مرحبا مرحبا ... أنتما فى حاجة الى دفء ..
بوسيز .. انهضى يا امرأة فأوقدى نارا .. أنا أعرف أن
الخطب مبلل ، ولكن حاولى ... مرحبا يا كرام ومعدرة ،
فنحن نستعين على الحياة هنا بالصبر .. بوسيز ، هاتى
قربة النبيذ أولا .. ليس فيها الا صبابة ! لا بأس ،
فسيبارك زيوس للمضيفين فيها .. هاتى شيئا من المشمش
الجاف يا امرأة ! .. »

وتأتى بوسيز بقربة النبيذ ، وما يكون فيها الا ثمالة ،
فيتناولها الشيخ ذو اللحية البيضاء ، فيتمتم فيها بكلمات
فتمتلىء نبينا من خير ما عصر باخوس ، وبعد أن يروى
منها هو وابنه ، يدفع بها الى صاحب الكوخ ممثلة كأن
لم يمتد اليها فم ! فيتولى الرجل دهش عظيم ويقول :
« بحق زيوس الا ما أخبرتنى أيها الصفى الصالح من
أنت ؟ » فيقول الشيخ : « أنا أيها العزيز رجل نقلت
وأسفار ، وهذا ابنى الموسيقى البارع .. أتطرب للموسيقى ؟ »
ويهتز الرجل ، ويوقع الفتى على قيثارته لحنا كأنه
لسان العاصفة ، فما فيها من سنا برق ، وهزيم رعد ،
ومكاء ريح ، وتنقير مطر ، ثم هو مع ذاك لحن مشرق متألق
يأسر اللب ولا يستأذن على القلب ... وطرب فيلمون ،
ورقصت جوانح بوسيز ، وأحضرت طبقا به قليل من

المشمش الجاف فقدمته للفتى ، ناسية أن تقدمه الى
الشيخ ، وهذا من أثر الموسيقى فى أعصابها ، ثم قدمته
الى أبيه فى أدب واحترام .. وما كادت البعد البيضاء
الناصعة تمس الفاكهة حتى عادت اليها النضارة ، وتأرجت
عنها أنفاس الحديقة ، وتضاعفت فى الطبق حتى ملأته ..
فأكل الشيخ ، وأكل ابنه ، وأكل فيلمون وزوجته ، وهما
لا يصدقان ما يريان !

وظلا يقدمان للمضيفين كل ما استطاعاه من خبز وأدم ،
فكان القليل يزداد والمشفوف يتضاعف .. وكانت لديهما
أوزة عجفاء حاولا أن يجريا عليها التجربة فهما بذبحها
ليصنعا منها شواء يقدمانه للمضيفين ، ليريا ماذا يكون من
أمرها .. ولكن الأوزة فزعت فزعا شديدا ، وانطلقت فى
ناحية الشيخ تستجير به كأنها تكلمه .. فابتسم ، وربت
على ريشها الناعم النظيف ، وأجارها من سكين فيلمون
وكان نسيم السحر قد أخذ يهب فى الافق الشرقى ،
فقال الشيخ :

- « أيها العزيز فيلمون .. أيتها التقية الكريمة بوسيز،
من الهكما ! »

- « الهنا زيوس تبارك فى علياء الاولب .. »

- « أو يسركما أن يكون معكما الآن ؟ »

- « معنا ؟ هو دائما معنا ! »

- « أجل هو دائما مع عباده المخلصين .. ولكن ،
أيسركما أن تكونا فى حضرته يحدثكما وتحادثانه ؟ »

فيصيح فيلمون :

- « أنت هو زيوس .. تقدست .. تقدست »

ويسجد الرجل وزوجته ، وما تفتأ تأخذهما رعـدة
شديدة

« أجل • أنا زيوس • أتيت أبتلي هذه القرية • وهذا
ولدى هرمز • انهض • والآن ستزلزل الأرض زلزالها
فلا تنزعجا • »

ووقف زيوس ، وأشار بيده إشارة خفيفة الى الشرق ،
ثم الى الغرب ، ثم الى الجنوب ، ثم الى الشمال ، ثم نظر
الى فوق وتمتم بكلمات وجلس

وما كاد يفعل حتى رقصت الأرض ، وسمع كأن الجبل
القريب يندك ، وكأن الصواعق تنقض على المنازل فتقوضها ،
وتنقلب القرية الى جحيم ملتهب ، وكلما أطل فيلمون أو
أطلت امرأته من الكوة سرت فيهما رجفة أروع من رجفة
الزلازل ، فيطمئنهما زيوس

« الكوخ يا الهى ! أنا رجل فقير ! »

« مال كوخك يا فيلمون ! »

« اذا انهدم عشت فى العراء ! »

« لا عليك ! فلن تقوض الزلازل الا قصور العتاة ؟ »

وأشرق الشمس ، فنهض الاله الاكبر ، ونهض الجميع
معه • وما كاد فيلمون يفتح باب كوخه الحقيق حتى أخذه
العجب ، وارتد على عقبه مذعورا :

« مولاي ! لمن هذا القصر المشيد ؟ »

« هو لك يا فيلمون ، أمرت الآلهة فبنى لك فى ساعة
السحر جزاء كرمكما • هلما نشهد غرفاته »

وانطلق الجميع يتنقلون فى غرفات القصر وردحاته ،
وكلما هم فيلمون وزوجته يتمثال اله سجداً له وأخبتا ،
حتى اذا كانوا فى أكبر ردهات القصر ، وقف زيوس وقال :

« فيلمون ، هذا هيكلي ! وقد جعلتك كاهنى الاكبر ، فتمن
الآن على ، فسأجيبك الى كل ما تطلب »

فتبسم فيلمون وقال : « مولاي ! الشباب يا مولاي !
ليعد الشباب الى والى زوجتى بوسيز ، ولنعش طويلا ،
فاذا جاء وعدك فلنمت فى يوم واحد وفى ساعة واحدة ! »
وسجد يقبل الأرض بين قدمى الاله الاكبر !

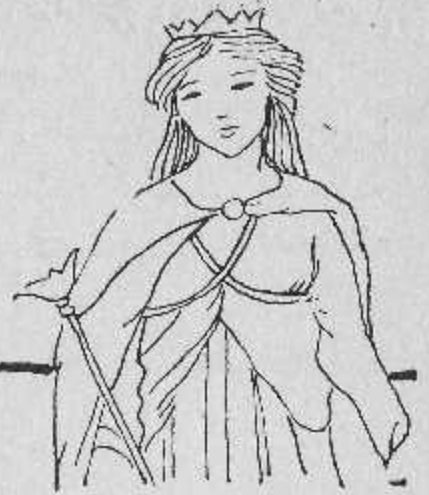
فقال زيوس : « انهض يا فيلمون فطلبك مجباب ،
وستعيشان راغدين ! »



وسلم الالهان ، ثم غابا عن الانظار ، وخرج فيلمون
وزوجته ليريا الى القرية ، فلم يشهدا شيئا غير بحيرة تعج
أمواجها ، وجزيرة كبيرة خضراء فى وسطها قصرهما
المنيف ! فأمنّا بزيوس وسبحا له !

وعاشا طويلا واستمتعا بشباب دائم ، وماتا فى يوم
واحد وساعة واحدة ، ونبتت دوختان عظيمتان من أشجار
السرو أمام باب القصر تخلدان ذكرهما فى العصور

غرام أورورا



رأته على رمال انهلستينت (١) يرتع ويلعب ، فوقفت
تملاً عينيها وقلبها بجماله ، ثم نظرت اليه وهو يداعب
البحر المضطرب ، ويتواثب فوق عبابه الزاخر ، فسحرها
قوامه ، وفتنتها قسمااته ، ونسيت أنها ربة الفجر الوردية
الهيفاء ، وأن من ذكران الآلهة من هو أكثر من هذا الشاب
- تيتون بن بربام ملك طروادة - جمالا وأشده فتنة ،
وأخلق بحب ربة جميلة لعوب مفتان مثل أورورا ...
ولكن ماذا يصنع أهل هذا العالم في قلوبهم ، ولا سلطان
لاحدهم على فؤاده ؟ يستوى في ذلك الارباب وغير الارباب
لقد كان تيتون يتقلب بين الموج ، فتتقلب نفس أورورا
في جحيم من الهوى ، وتتلقى في سعي من الحب ،
وتنجذب نحو الفتى الجميل المفتول بكل ما فيها من
نورانية وقداسة .. وكان يبرز من الماء ليسستجم على
الشاطئ الناعم الوادع ، فتكاد تجن به ، وتود لو ترشف
قطرات الماء التي تنحدر على جسمانه ذى العضل ، وتتلأأ
في ثنايا شعره الاسود الفاحم
وظفقت توسوس لها نفسها بالاماني ! وتزخرف لها

(١) مياه الدردنيل

الاحلام ، فصممت أن تتكشف له ، وتبرج على مقربة
منه ، وتدل وتميس ، عسى أن تأسر لبه ، وتسبى قلبه ،
فيسلس قياده ، وينخذل فؤاده ، دون مشقة أو عناء ...
ولكن تيتون أبى ، واستكبر قلبه أن يلين ، ولم يستطع
ذلك المهرم الناصع الذائب في ساقها ، ولا هذا الورد
المتفتح في خديها ، ولا الابالسة الراقصة في عينيها وفوق
ثديها ، أن ترقق من عناده ، أو تنتصر على فؤاده ، أو
تسكب في نفسه صباية أو هوى

- اذن أنت ماذا تشتهي !

- أشتهى ماذا أيتها الغادة ؟ اذهبي فاعرضي مقاتنك
الرخيصة على غيري !

- ومن أنت حتى تكلم أورورا ربة الفجر هكذا ؟

- أورورا ؟ كيف ؟ ما يدرينى ؟

- أجل أنا أورورا ... أنظر

وأخذت ترف في الهواء ، وتسبح في السماء ، وتغوص
في الماء ، وتأتى من آيات الاعجاز ما بهر تيتون

- الصمغ اذن يا ربة ؟ !

- لا صمغ الا أن تهب لى حبك ، وتلقى بين يدي قلبك !

- وكيف وأنا بشرى عاجز ، ولا ألبث أن أفنى في بضع
سنين ، وهذا أبى الضعيف الشيخ قد خطب لى حسناء من
بنات الملوك ؟

- « أما أنك عاجز فلا ، وأما أنك لا تلبث أن تفنى في
بضع سنين فسأهبك الخلود ، وسيخلعه عليك زيوس
سيده الاولمب فلا تموت أبدا ، بل تحيا كالآلهة الى لا نهاية
الازل ، وأما أبوك الضعيف الشيخ ، فلا أحب اليه من أن
يراك في كل ما ذكرت ، ولا سيما اذا علم أنني سأكون

لك من دون هذه الفتاة التي خطبها لك ، والتي لا تلبث أن
يخط الشيب رأسها ، ويعصر الزمان عودها فتجف وتذوى ،
وتحملها أنت كاثقل الاعباء الى القبر حيث الدود
والذباب ... »

- ولكن ... ألا تأذنين لي في لقاء أبي ؟

- لن يكون هذا أبدا ...

- هذه قسوة ياربة !

- ستفتنك هذه القسوة بعد قليل

وانطلقت تداعبه وتلاعبه ، وتضاربه وتغالبه ، حتى زالت
عنه وحشته ، فأنس لها ، وأقبل بكل مشاعره عليها ،
واتفقا على الرحيل من فورهما الى أولمب ، فانطلقا يطويان
الرحب

- من هذا يا بنية ؟

- ... ؟ ...

- صيد جميل ، ومجازفة جديدة ، أليس كذلك ؟

- أجل يا أبي ... وليست مجازفات ابنائك أروع من
مجازفاتك ...

- مجازفاتى أنا ؟ أية مجازفات يا أورورا ؟ ...

- مجازفاتك الغرامية التي لا تحصى مع الغيد الرعابيب
من عبادك

- أى غيد رعابيب يا أورورا ؟ تلك جراءة بالغة !

- لعل الاله الاكبر ، سيد الأولمب ، قد نسي ! وعلى كل
حال فسيده الأولمب ، حيرا العظيمة ، لا تنسى ... لقد
شهدتك تلهو مع يو ، وتعبث مع لاتونا ، وتتساقى كؤوس
الغرام مع يوروبا ... و ... و ...

- أسكتى ... انك ابنة لا خير فيك ... وماذا تبتغين

لهذا الشاب الغرائق الجميل يا أورورا ؟

- الخلود ... الخلود يا أبى ... ينبغي أن يعيش أبدا
... لن يموت ... الا تراه جميلا يا أبتاه ؟ الا تبهرك منه
وسامته وقسامته ؟ ألا تنظر اليه كيف هو عبل قوى ،
عبقري سمهري ؟ لقد لقينته عند شاطئ الهلسينبات ،
ورأيتنه يشق اليم فعلقه قلبي وهويته نفسى ... وكان
الموج يلفه في أعرافه ، ثم يسجد تحت قدميه كأنه يقبلهما ،
فلما خرج من الماء رأيت الدنيا كلها تحف به ، وتفازله
وتناغيه ، فلم أر أن يفوز به غيرى ، ولا أن يستأثر بجماله
سواى ، وقد رضى أن يتبعنى الى أولمب ، ففضل ايا أبتاه
وامنحه الخلود ، فالموت لمثل هذا الجمال قسوة هائلة .
وذبول هذا الحسن شيء مخيف جدا ... ينبغي أن يعيش
الى الأبد حبيبى تيتون ... اليس كذلك يا أبى ؟ اليس
خليقا بالخلود كالآلهة ؟

وتقدم تيتون فسجد بين يدى الأولمب ، وتفضل رب
الارباب فمنحه الخلود ... وا أسفاه ! ألاليته ما فعل ...
ألاليته ما فعل ؟ !

قال زيوس وهو يحدث نفسه :

« اذهبى يا أورورا ، سأعذبك بهذا الحبيب ، وسأنتقم
لكبريائى منك ، وسيكون تيتون عبدا ثقيلا على قلبك
وسيعيش الى الأبد بجانبك كما اشتيت ، وسأعلمك
كيف تستبيحين ان تكلمى أباك كما فعلت ... فوعزتى
وجلالى لأعذبك بألف حبيب وحبيب ! »

وعاشت أورورا مع حبيبها تيتون أحسن عيش وأجمله ،
واستمتعا بسنين كانت أشهى من الأحلام ، وأنجبا طفلهما

اليافع الجميل ممنون (١) فكان لهما كالقبة الحلوة فوق
تغر الحياة الباسم
ومرت الأيام وأورورا جميلة وردية كما هي ، لأنها ربة ،
ولأن قوانين الزمان من قدم وحدثة لا تنطبق على الآلهة ،
لأنه لا أول لهم ولا انتهاء ، فأورورا جميلة دائما ، وردية
أبدا ، لا يننى قلبها يخفق بالحب وينشده ، ويهيم بالجمال
ويفتقده ، ونفسها عاشقة وامقة كذلك ، وإن أمانى الغرام
تجيش في صدرها دواما ، فهي أن خلت إلى حبيبها تبتون
الزمتة فنونا من الغزل ، وضروبا من النجوى ، إذا صبر لها
الشباب ، واحتملها الصبا ، فليس المشيب بصابر لشيء
منها ، ولا محتمل القليل الأقل من تكاليفها ، ولاله جلد
على أفانينها

— ما هذه الشعرة البيضاء التي بزغت في سواد شعرك
كما تبزغ نجمة الفجر في أخريات الليل يا حبيبي ؟
— « أية شعرة بيضاء يا أورورا ؟ ربما كانت نذير
المشيب يا حبيبتي !

— « المشيب ؟! كلمة غريبة لم أسمعها إلا منك !
ماذا تعنى ؟

— آه ! أنتم معشر الآلهة لا تعرفون المشيب ، أما نحن ،
معشر البشر ، فسرعان ما يذهب صبا ، ويولى شبابنا ،
فنشيخ ونهرم ، وتصبح لنا رؤوس مجللة بشعر أبيض
يشبه أبر الشوك ، بقول الشعراء أنه نور قبيح يسعى بين
أيدي الكهول ليشق لهم ظلام القبور !!

— يا للهول ! أن هذا الضرب من خيال الشعراء
يخيفنى !

— أطمئنى ! أنا باق إلى جانبك آخر الدهر . أليس قد
وهبني الخلود سيد الأولمب ؟

(١) قتله أخيل في حروب طروادة

— بلى ! ولكن ...

— ولكن ماذا ؟

— هذه الشعرة البيضاء التي قال فيها شعراؤكم
ما قالوا ؟

— الشعرة البيضاء ؟ مالها هذه الشعرة البيضاء ؟
ليست شيئا مادام سيد الأولمب قد وهبني الخلود ، أن
الذي أفرع الشعراء من المشيب هو ما ينذر به من غروب
شمس الحياة !

— ولكن الشعرة البيضاء تنذر بأكثر من هذا ؟

— آه ! قد فهمت مايوسوس في صدرك ؟ ألم أعد
جميلا يا أورورا ؟

— بل أنت لا تزال جميلا يا حبيبي

— اذن لا عليك من هذه الشعرة البيضاء

وتمتعنا سنوات أخريات ، ولكن الشعرة البيضاء
أصبحت شعرات وشعرات ، حتى غلب نور المشيب حلك
الشباب ، ولم تعد لطرة تبتون المصفوفة تلك النضارة
وهذه اللمعة ، وذلك السحر الذي كان يرف مع النسيم
على جبينه المشرق الناصع فيثير الغرام في قلوب العذارى
... بل حال (١) لونها الأسود الفاحم ، ونبت فيها قتاد
شائك تنفسه الرياح على جبين متغضن بأسر (٢) ذي
أسارير ، يبعث الرهبة في أفئدة الشياطين !

— تبتون !

— نعم يا حبيبتي !

— لا ! لا ! لا ! لا تنادنى بهذا النداء

(٢) مقطوع

(١) تغير

— وله ؟

— لم يعد يصلح ... لقد اشتعل رأسك شـيـبـا ،
وتغضن جبينك ، وترهل خداك ، وبرزت عظامهما ، وغارت
عيناك جدا ، وانطفأ فيهما بريق الشباب الغض ، والصبي
الفريض (١) . وعضلاتك لقد عصرتها السنون يا تيتون !
وى ! مالك تنحني هكذا ؟ هل ضاعت منك درة ثمينة ،
فأنت تبحث عنها في أديم الأرض بعكازك هذا الغليظ ؟
آه ! بل ضاع منك شبابك أيها الشيخ الهرم فأنت تبحث
عنه في هذا الثرى !

— حسيك يا أورورا ... حسيك يا ربة !

— « لا ، أبدا ، ليس حسبي ، أغرب عني أيها المسخ
الشائه ! ظل في عقر الدار حتى أرتد إليك !!

وانطلقت ربة الفجر الوردية غضبي صاخبة ، وذهبت
تطوى الفيافي وتهيم في الرحب حتى كانت من غير قصد
عند شاطئ الهلسيننت ، حيث لقيت لأول مرة حبيبها
الجميل الشاب تيتون بن بربام ملك طروادة ، منذ نصف
قرن من الزمان !! أواه تيتون !! يا للذكريات الحلوة التي
تطيف بالقلب كما تطيف أطيب الأحلام بعيني نائم !! هنا ،
على رمال ذلك الشاطئ الهادئ ، وبين طيات ذلك الموج
الذي يبدو كأنه لم يتغير ، رأت أورورا الوردية تيتون
البارع ، وشعره الأسود الفاحم يتهدل على جبينه الواضح ،
ثم لا يلبث أن يستوى حين تمر عليه أمشاط الأمواج .
وهنا .. ثارت عاصفة الغرام القديم في قلب ربة الفجر
الوردية لأول مرة ، وشب لظى الحب ملء جوانحها ...
وفوق هذه الرمال السافيات تكشففت أورورا لتيتون الفتى
لتخلب لبه وتملك عليه قلبه ، ولكنها ما استطاعت إلى ذلك

(١) الغض الطرى.

من سبيل ، حتى تقلبت تحت قدميه ، وتبرجت بين يديه ،
فرضى ما عرضت عليه ، وانطلق معها إلى أولب ! فمالها
اليوم غضبي على تيتون ؟

مشيت على شاطئ غرامها الأول ، فشارت في فؤادها
الذكريات ، وأرسلت عينيها تفتش بين طيات الموج الجياش
عن تلك الصورة الحبيبة الرائعة ، التي تطفو هناك ...
هناك فوق ذاك الشبح كحلـم جميل ... صورة تيتون وهو
يصطرع مع اليم فيصرعه ، ويفأب اللجة فينتصر عليها
... ثم جلست على صخرة مشرفة على البحر الممتلئ
بالذكريات ... وطفقت تبكي !

لاريب أنها عنفت نفسها على ما صنعت أمس مع تيتون !
ما ذنبه ؟ ماجريته ؟ بأي حق تنعى عليه شيبته ولا يد له
فيها ؟ ولماذا تخزه بقوارص الكلام لأن جبينه تغضن وامتلا
بأسارير الكبر ؟ ولماذا تعيب عليه عينيـه الغـائـرتين
المنطفئتين ! ولم تذكره بشبابه وتتهكم عليه ، فتقول له
انه يبحث عنه بعكازه في التراب ؟

لاريب أنها كانت قاسية ، ولا ريب أنها لامت نفسها ،
لأن كل تلك الأفكار ترددت في أعماقها ، وقد سألت روحها
المتألـة ألف سؤال فلم تستطع أن تراها محقة فيمـا
صنعت ...

وعادت أورورا أدراجها إلى تيتون البائس الهرم ،
فهشت له وبشت وراحت تملق له ، وتتحايل على قلبها
ترجو لو تستطيع أن تخدعه فيسيغ هذه الكومة المتراكمة
من القبح والشوه والدمامة ، قبعـت في ركن سحيق تحمل
أضرار السنين وتنوء بكارثات الليالي
ولبشت تتغفل نفسها بضع سنين ، ولكن للآلهة (١)

(١) ليذكر القارىء أن القصة من أساطير اليونان

كما البشر قوة محدودة من الاحتمال ، ومدى غير واسع
من الصبر ، وقد جاهدت أورورا نفسها مجاهدة طويلة
شاقة ، عادت بعدها الى التبرم بتيتون ، والضيق
بشيخوخته الثقيلة ، والنقمة على تلك اللحظة الاسيفة
التي لقيته فيها ، ونوبة الجنون التي جعلتها تتورط
لدى سيد الاولب فتسأله أن يهب حبيبها نعمة الخلود

- وفيم كل هذا الحزن يا أختاه ؟

- وما العمل للخلاص منه ؟

- أنت المخطئة ، ذلك لا ريب فيه

- مخطئة ! وكيف ؟ هل كنت عامدة أن أقصد الى

الهلسينت لاراه ثمة ؟

- ليس هذا ما عنيت

- اذن كيف كنت مخطئة ؟

- لانك سألت سيد الاولب أن يهب حبيبك الخلود ،

ونسيت أن تسأليه أن يديم له شبابه ، ويحفظ عليه

صباه . اذن كنت تمتعت بجماله الفينان أبد الحياة !!

ليس كذلك يا أورورا ؟

- بلى ، هو ذاك ولكن ... لقد سبق السيف العذل !

- على كل حال هناك من هو أجمل من تيتون فلا

تبتئسى ..

- أجمل من تيتون ؟ وكيف الخلاص من تيتون قبل

كل شيء ؟

- لا أيسر من ذلك ، اسحريه !

- اسحره ؟ ! آه ؟ فكرة يا أختاه ! ولكن من هو هذا

الشاب الوسيم الذي عنيت أنه أجمل من تيتون ؟

- وى !

- لابد من صيد آخر قبل أن يطلق سراح الصبي

القديم ؟!

- اذن فاذهبي الى جبل هيماتوس حيث يرعى
سيفالوس الجميل قطعانه !

- ثم ... ؟

- ثم عودي فاسحري تيتون واخلصي منه !

- وماذا ترين أن أسحره اليه ؟

- انه عجوز هرم يدب على عكاز ... ألا تسحريه

جندبا (١) ؟

- بلى ! فكرة نابغة يا أختاه !

ولقيت أورورا حبيبها الجديد سيفالوس الراعى

فهويته وشففته حبا ، أما تيتون فيا ويحه ، ويا ويح

للعشاق من قلوب العذارى ! انه لا يزال الى اليوم يشب

مع آلاف الجنادب في الحقول والفيضان (٢) بعد اذ

سحرتة أورورا

(١) نطاط (٢) السهل المظشن الواسع من الارض

بجماليون المثال

أسطورة الفنان
الذي عشق تماثله



في مدينة أماذيس ، الراقدة كالحمل بين مهاوى الجبال
على شاطئ قبرس الجنوبي ، كان يعيش المثال بجماليون
عيشة كلها عزوف عن العالم ، وانزواء عن مشاغل
الحياة ، وهرب من الناس . كان يأوى الى مثله اذا
تنفس الصبح ، ويكب على عمله حتى توارى الشمس
بالحجاب ، فيأوى الى فراشه ، سادر النفس ، معمود
القلب ، مكتئبا حزينا

ولم يكن حزنه من نوع هذه الاحزان التي تتعارفها
قلوب أبناء آدم ، بل كان حزنا فريدا في نوعه ، غريبا في
أسبابه ، شاذا في دواعيه ، حتى لنحسب أن أحدا من
الناس لم يشق بمثله من قبل . . . ولا من بعد

كان في بجماليون صمود عن الناس شديد ، لا يراهم
جديرين بتودد ، ولا خليقين بمؤاخاة . ومع انه كان
يضيى من عبقريته على تماثيل الالهة التي طالما تفننت
فيها يده الصناعات ، فكان يخرجها على نسق الفائنات
الحسان ، وفي سمات الفيد القيان ، فاته لم يصب مرة
الى امرأة ، ولم ترتبط أسبابه بفتاة . فكأنه كان يسمو
بحبه على النساء ، وان كن في الحقيقة صاحبات وحيه ،

وفيض نبوغه ، واللمع الخاطفة التي يتجه شطرها مثله
الاعلى . .

ولم تكن هذه الحياة الصحراوية التي يحيها
لترضيه ، ولا تلك المعيشة الالية التي اغطشت أيامه
لتقنع خياله الخصب ، وقلبه الرحب . لقد كان يقف
منقبض الصدر ، مغلول الروح ، أمام هذه الدمي
الصامتة ، والتماثيل الخرساء ، التي صنعها لا يولاه ،
ومينرفا ، وديانا ، وكيوبيد ، وفلكان !

ولقد كانت المناحت والازاميل ، والمثاقب والمناشير ،
والمبارد والمناعم ، وكل عدده تثير في نفسه السخط على
الحياة ، والبرم بالايام ، كلما فكر في حاله فعلم أنه يحيا
بلا حب ، ويعيش بلا أمل ، ويعمل بلا غرض ، ويسعى الى
غير مطمح !

وبينما هو في يقظته النائمة هذه ، اذا بحجارين يحملون
رخامة كبيرة ، على جرارة ضخمة من هذه الجرارات
الثقال ، التي ترى كثيرا في محاجر اليونان ، ثم يقفون
أمام الممثل ، ويطلقون باب بجماليون ، فينقلدهم ثمن
الرخامة ، وينصرفون كل الى طيته ، وكأنما كانت هذه
الرخامة ، على ثقلها الهائل ، وحييا خصيصا من السماء ،
أو آية من آيات الاولمب ، هبطت على هذا المثال المهموم ،
فبدلت يأسه املا ، وقنوطه المظلم رجاء نير الافاق ! فانه
لينظر اليها نظرات تشف عن التمثال الرائع الذي سيولده
منها ، وانه لينزع ملابسه ، ويضفى عليه ملابس العمل ،
ثم يتناول ازميله ومنحته ، ويهوى على الرخامة مستلهما
الحول والقوة من « فينوس !! »

« يا فينوس الجميلة ، يا ربة الحسن والحب ، يا من
تسبح لك القلوب العاشقة ، وتلهج باسمك النفوس الوامقة

ياسر الورد الجميل ، ونسمة الفن الضاحك ! يا أم كيوبيد
الحالم ، وبنت ديون (١) الباسمة ، يا فينوس الجميلة ،
العون ، العون يا فينوس !

وهكذا لبث هنيهة يصلي ، ثم اخذ في عمله ، وكأن فكرة
تنزلت على قواده ، وامتزجت بشغاف قلبه ، فراح يصورها
ويمثلها ، في هذه الرخامة النقية كالندف ، البيضاء
كالثلج . بل كأنما استجابت فينوس ربة الحب لصلاته ،
فأودعت في يده نفحاتها المباركة . فما دق دقة ، أو نقر
نقرة ، الا وتمثل فينوس الجميلة امامه ، ناذرا لها هذا
التمثال ، برغم التماثيل الباهرة التي نحتها لها ، والتي
تملأ معابد اليونان وأقداسهم

وأقبل على عمله بروح جديدة ، ويد لا تكل ، فلم يكن
يحول بينه وبينه الا الليل يرخى سدوله ، والا سنة من
النوم ترقص في جفنيه ، فاذا نام تتابعت الرؤى ، وتلاحقت
الاحلام ، كل منها يبدي له ناحية كان يجهلها من جمال
فينوس !

ولقد بدا له كفنان ، ان يروح عن نفسه يوم يقضيه
في الادغال ، وبين مسارب المياه ، لكي يجد نشاطه ، وينعش
ما خمد من ذهنه ، وخبا من خياله ، لطول ما اكب على
العمل ، فانطلق ذات صباح الى سيف البحر يناجي ابوللو ،
وهو يوقظ الشمس من خدرها فتعاونته في مركبتها الذهبية
الاثباح ، وظل يعلو ويهبط ، ويروح غاديا الى هناك ،
حتى شارف ان ينتهي ، وعادده هواه الملح ، فندم على
ما قتل من ساعات في هذه الراحة الخاملة ، والفسحة
الباطلة ، فعاد أدراجه الى الممثل مستغفرا في طريقه

(١) في الميثولوجية اليونانية ان زيوس كبير الآلهة كان مزواجا ،
وزير .. ربات . فمن زوجاته ديون التي أولدها فينوس

الطويل فينوس !

ووصل ما انقطع من عمله ، فكان يستذكر أحلامه
ليضيفها على التمثال ، ويستوحى السماء فتلهمه من أديمها
النصافي ، وتشيع في يديه وقلبه بطهرها ونقاها ، تنتقل
من ثمة سحرا وفتنة فوق تلك العضلة ، وتحت ذياك الأبط ،
وبين انفراج هذين الشدين ، وبالقرب من العكن ، وحول
الفخذين ، وعند هذا الأنف الأغريقى الأشم ، وملء ذاك
الذقن الدقيق ، والعنق الرقيق ، ولفته الحدقتين ،
وانفراجة الشفتين ، وتبسيم الثغر ، وتكوين الشعر ،
وتلميس الردف ، وتدوير الكعبين ، وتنعيم العقبين ..
وتباركت يا فينوس !

لأن بجماليون يحس الحياة تسيل من ازميله الحنون ،
فوق هذا الجوهر المكنون ! وكان يتقدم فينظر ، ويتأخر
فيرى ، ويميل من هنا وينثنى هناك ، ثم يهبط الى عل ،
وينحني الى أسفل ، ليتفقد التمثال من جميع نواحيه ،
فماذا رأى ؟ لقد استطير من الفرح ، ومادت اعطافه من
الخيلاء ! ولكنه سكن قليلا ، وانطلق يتحدث الى نفسه
« ويحيى !! لم صنعتك أيها التمثال ، مادمت قد بلغت هذا
الجمال ولا تتكلم ؟ أنا بجماليون التعس ، الذي يعيش في
هذا العالم القفر ، وعلى هامش تلك الدنيا المجذبة ، لا أنسى
نى ، ولا قلب ينبض بحبى ، فينبض قلبي بحبه ، ولا نفس
تصلى لى ، فأصلى من أجلها ! تكلم أيها الرخام الصامت ،
وانفراجا بكلمة واحدة أيها الشفتان الساحرتان ! أنا بجماليون !
أنا صانعك أيها الانثى المتحجرة .. تكلمى ، ردى على ،
فوحق فينوس المعبودة لقد اودعتك سر روحى ، ولفز
حياتى ! أوه ، ألا تردين على بجماليون المسكين ؟ آه فينوس !
النجدة يا فينوس ! أنا لا أصلى الا لك يا فينوس ..
الغوث الغوث ! .. »

وظل المسكين مكباً على هذه الدمية التي صورها بقلبه كله ، وروحه جميعها ، يشكو اليها كأنها تسمعه ، ويبشها كأنها تصفى اليه ، ثم انتهى حاله الى هيام شديد ، وحب ودنف ، ولوعة وصباية ، وانقلب عشقه المبرح الى لون كاسف من الوجد ، وضرب شديد من أمر ضروب الحزن ، مصدره العقل الحائر والوجدان المضطرب . . . اذ كيف يعشق هذه الكتلة المجسمة من الرخام ، وهي مما صنعت يداه ؟ وای امل له في هذا العشق الشاذ ؟ لا ريب انه ضرب من الجنون ، ما له من ضريب !

ولج به هواه ، فأحضر عصابة من الجمالين الاقوياء ، نقلوا به تمثاله الى ردهة الآلهة - كما كان يسميها - وهي صالة واسعة في الطابق الثاني من البناء الذي فيه ممثله ، وقصد الى امهر الصاغة وتجار اللآلئ ، فاشتري ماوسعه من الحلى البالغة والجواهر النفيسة ، وعاد فقرط الاذن . وقلد الجيد ، وتوج الرأس ، ثم هام في المروج الخضر ، والحدائق الغناء ، يجمع الورود والرياحين ، كيما ينثرها تحت قدمي التمثال !

وتحولت الردهة الى معبد من معابد البوذية المقدسة ، بما عكف يحرقه من مقتنى الند ، وفواح الرند ، في مباخر المرمر الجميل المصفقة حول قاعدة التمثال وتلف تلفاً شديداً من الغرام العجيب ، فلم يكن يكتفى بالعبادة في الحب والخبوت بين يدي ذلك الصنم المنتصب للفتنة ، بل كان يشركه في كل أمره ، ويعرض عليه جميع شأنه ، حتى القراءة ! فطالما كان ينشده من دواوين الشعراء ما جادت به القرائح وشدت به اللسان وتغنت بألحانه قلوب العاشقين !

معدور بجمالين ! لقد تعب وراء الحب ، ولكنه لم يلق هذه الفيداء الفاتنة ، التي تستطيع التسلط على مشاعره ،

والهيمنة على قوادسه ، وكان يتخيل روعة الجمال فلا يجدها مجتمعة الا في هذا التمثال الذي نحت له هذه الالشي ، فعبدته ، وراح يتمنى على الآلهة الاماني ، أن تنفخ فيه من روحها ، وأن تهبه الحياة ونعمة العيش

وبينما هو نائم في هدأة فجر اليوم التالي ، اذا به يصحو فجأة على لفظ شديد ، وهرج عال في الشارع الذي يقع فيه بيته . فينهض الى النافذة ، ويرفع الستر ، ويفتح أحد المصاريع قليلاً ، ثم يحنى رأسه ليرى . واذا موكب زاخر من غوغاء المدينة يحملون تمثالا كبيرا من تماثيل فينوس التي صنعها بجمالين ، واذا اندهماء ينشدون الاناشيد الشعبية ، ويرسلون في غبشة الصبح اغانيهم (الشعبية) الجميلة . . . وكان من عادة سكان أماذيس أن يحتفلوا بالربة فينوس ثلاثة احتفالات يفاجئون بها النائمون ثلاث مرات كل سنة ، فلما عرف بجمالين أن الحفل حفل فينوس ، أسرع فارتدى أبهى ملابسه ، وجمع بعض باقات الزهور المبعثرة تحت قدمي تمثاله ، وهرول على الدرج ، ثم انفتل في الشارع ، واندمج في صميم الشعب الذي يلهج بالصلوات والادعية باسم فينوس . ثم ماهى الاهنية ، حتى كان بجمالين يهتف كما يهتف الاطفال والسذج ، ويردد من الصلوات ما يرددون

ولم لا ؟ هل لحظة من الزمان هي خير من هدأة الفجر ترسل فيها الصلوات على أول آراد الصباح ، الى آلهة السماء ، وارباب الاولمب ، فتسمع وتلبى ؟

وكان كل همه ان ينتهي هذا الحشد الهائل الى المعبد ، حيث يستطيع ان يرتل دعاءه ، ويتمم بصلاته

وقد تنظر حتى فرغ الكهنة من جميع الطقوس التي

اعتادوا أن يقوموا بها في مثل ذلك اليوم ، وأخذت
 الجماهير تنصرف هاشة مستبشرة ، كأنما غمرتهم نفحات
 خالدة من فينوس . ولما لم يبق في المعبد الا كهنته ، وأفراد
 من الاتقياء الصالحين ، يصلون صلاتهم ، ويفغمفمون
 بأدعيتهم ، تقدم بجماليتون في روعة التقى وخشوع الورع ،
 ووقف خابتا أمام المذبح ، حيث تصاعد السنة البخور
 المعطر ، حاملة الارح الشذى من لهب المحرقة الى السقف
 . . . والسجف ، فتكسب الهيكل جوه القدسي البديع .
 ثم القى في اللهب بحفنة من فتيت الكافور والمسك ،
 وطفق يرتل هذا الدعاء الطويل : « فينوس الكريمة البارة ،
 يارب الحب الطاهر ، والهوى البريء ، أيتها القديرة
 على كل شيء ، المتصرفة في جدود العاشقين ، وحظوظ
 المدنفين : اصفى الى ، ولا ترفض دعائى : منذ اهتديت
 اليك ، وأنا عبدك القانت لك ، الهاتف باسمك فى الغدو ،
 المصلى لك فى الاصال ، لا أنى عن ذكرك ، ولا يفتر لسانى
 عن التسبيح لك ، والنسك من اجلك ، باسمك اقبل على
 فنى ، ومنك استلهم وحى العبقريّة ، فأنت لى قبـل
 كل شيء . . »

ولقد أيقظتنى صلوات الشعب لك من احلامى الجميلة
 بك ، فلم اطغ ولم استكبر ، بل هرعت اليك ، أتوسل
 بك ، والتمس البركات منك فحنانيك يا فينوس !
 حنانيك يارب الحب ، وجابرة القلوب الكسيرة ،
 والنفوس الحائرة !

انت ، من غير ريب ، تعلمين ما ألم بى من برح هذا
 الهوى الطارىء وما تام قلبى من حب هذه الدمية التى
 صنعتها باسمك ونذرتها لك ، فدلّهنى ، وشدهت روى
 المبليلة ، وصارت لى أعذب الامانى وأعزّ الآمال . وهى
 بعد رخامة لاروح فيها ولا نامة ، أكلها فما ترد ، وأناجيها

لما تجيب ، وأغنى لها فما تبسم !
 أنت قديرة يا فينوس ! فائفخى فيها من روحك ،
 وانشرى الحياة فى أركانها ، وامنحها النبضات والانفاس
 حنانيك يا فينوس ! وسلام لك من قلوب العاشقين ! »

وما كادت صلاته تنتهى ، حتى انهمر الدمع من عينيه
 يروى قدمى التمثال المنتصب فى المحراب . فانبعث الشرر
 عاليا من المحرقة ، حتى أضاء قبة الهيكل ، والتمع فى
 جميع أرجائه ، واقبل الكهنة والمصلون يباركون بجماليتون
 ويهتفون ، لان انبعاث الشرر هكذا ، عقب الصلاة ، هو فى
 اعتقادهم دليل رضى الرب ، وآية تليتها واستجابتها !!

ولكن مثالنا لم يشعر بقلبه يثلج ، ولا بنفسه تهدأ ، بل
 على العكس أحس كأنما الحياة تتدجى أكثر من قبل ،
 ويحلوك كل شيء فى عينيه وشعر بعد ذلك بقنوط قاتل
 ينفذ الى صميمه ، فيطفئ فيه مارجى من الآمال البيض ،
 والامانى العذاب ! فتعثر الى الباب غير آبه لما حوله من
 الأس المنضود فى انحاء المعبد ، والزهر المبتوث فى صحنه
 الرحيب ، وما برح بين ونى وبطء حتى باب منزله ، فولج
 متساقطا على نفسه ، وانبطح على أول سلاليم الدرج
 لا يحس ولا يعى !

وعفا اغفائة مريضة ، فبدأ له أن يحمل أرزبة هائلة ،
 يهوى بها على رؤوس الدمي ، ويحطم بها التماثيل المنتشرة
 فى ردهة الآلهة . . الا تمثال فينوس الجديد ، المرصع
 باللالى واليواقيت ! ففزع فزعة مروعة ، ونهض يعدو
 الى الصالة ، يتفقد التماثيل . . فما راعه الا ان يسمع
 صوتا رقيقا يناديه :

« بجماليون ... بجماليون ... أرق إلى هنا ... هلم إلى !! »

من؟ صوت من هذا؟ أنه صوت مرمى لا عهد لبجماليون به !! »

وقفز قفزات كان بها في الطابق الثاني ، ونظر فلم يجد تمثاله الحبيب في المكان الذي غادره فيه ... « أين؟ ويحي ! لصوص ! »

ولكن الصوت الرقيق سبق الرنان عاد يطن ... ويرن « لا ، ولكنها فينوس ! » والتفت بجماليون فرأى غادة هيفاء في طبق تمثاله ونسجه ، متكئة على الأريكة التي طالما وضعها أمام التمثال وأنشد عليها الأشعار ؟! « من أنت أيتها المعبودة ؟ »

« لست معبودة ، ولكنني هبة فينوس لك ! أنا جالاتيا تمثالك المكنون ! »

وكيف ؟ أنا لا اصدق . هذه خديعة لاشك ! « وكيف تخدعك السماء يا بجماليون ؟ اتريد ان تكفر بآلاء فينوس ؟ »

« لا .. لا .. لا اريد ان اكفر .. وحاشاي .. ولكن كيف حرت انسية ، ومن وهبك الحياة ! »

« هذا سر فينوس . وهذه قبلاتك لا تزال مطبوعة على قدمي ! »

« يا للسعادة ! »

« انظر الى هاتين الشفتين القرمزيتين ، وهذين الخدين الموردين ، وتينك العينين الزرقاوين . هل استطعت ان تموه تماثيلك بهذه الاصباغ الفينوسية ؟ »

« وانظر الى الانفاس الحارة التي تتبردد في صدري ، هل وسمعت مرة أن تبعثها في احدى دماك ؟ »

« حاشا . حاشا »

« اذن فهلم الى أحدثك حديثي »

« فدنا منها بجماليون المشدوه »

- بجماليون ! لقد استجابت فينوس لدعائك ، وقبلت صلاتك ، وحضرت الى هنا اذ كنت أنت في الهيكل تبكي وتنتحب ، فمنحتني الحياة ، وعلمتني من العلم ما لم أكن أعلم

- « ولكن كيف بحق فينوس عليك يا جالاتيا »

- « كنت منتصبية كما وضعتني على تلك القاعدة الناصعة ، فأحسست حدقتي تتحركان ، واذا بي أرى فينوس الجميلة أمامي ، تأمرني أن أدلف نحوها ، ففعلت ، وكنت أحس كأن ثلجا ينفذ من كياني ، وأن حرارة تشيع في أركانني ، وكانت فينوس تقول لي .. « تعالى .. تعالى ، وكوني ربة هذا البيت ، احميه واحرسيه ، وانشرى السعادة فيه ! تعالى ألقك دروس المحبة والحياة .. » ، ثم انها نفثت في أذني نفثات تعلمت بها هذه الكلمات . وأسبغت على هذا الثوب الحريري الذي لا بد أنك قد رأيته على تمثالها في الهيكل .. ليشهد لك أنها هي التي منحتني الحياة .. ومنحتك الحب ! »

- « وماذا ؟ وماذا يا حبيبتي جالاتيا ؟ »

- « ثم تقدمت الى فنولتني قبلة مشتهاة لن أنسى ما حميت أسرها ، ودعت لي ولك بالوفاء الابدي ، والاخلاص السرمدي ، لنكون آية السماء في هذه الارحاء ! وابتسمت ابتسامة أرق من أطباق أوراق الورد ، ولم أعد أراها .. »

وأتمت جالاتيا حديثها ، فاستقر بجماليون في أحضانها !

ثيذىوس يقتل المينوطور ويخلص أثينا - لعب يثير حرباً



كان الملك ايجوس ، ملك أثينا ، فى شرح صـبـاه
وعنفوان شبابه ، زير نساء وأخا شهوات ، وكان ذا نبرات
تكاد تسعى به الى حتفه .. بظلفه ..

ذهب مرة يجوب ريف مملكته ، فلمح وجهها مشرقا
ينبثق من كوة كوخ فى احدى القرى ، تتراقص حول
ثغره الصغير بسلمات هن رسل الحب ، وتنطلق من عينيه
النجلوين نفثات تصرعن ذا اللب .. حتى لا حراك به ..
وطرق الباب يستسقى ، وما به ظمأ ، فامتدت اليه
ذراع عاجية لدنة تحمل كوبا من البلور ، مفعما برحيق
الحب ، وان لم يحو غير الماء القراح !

وتناول الكوب ولبت لحظة يشرب ما فيه بعينيه ،
دون أن يمتد فمه اليه ، ثم أرسل زفرة دفعت الباب
فانفتح على مصراعيه ، ودخل غير مستأذن فروى فمه
وبرد قلبه ، وبلى جاحم الحب الذى زلزل أركانه
ثم تزوجها ، ومكث عندها شهرا كان عسلا كله !

ووصل الى قاعدة الملك ، وأم القرى ، أثينا ، بعد أن
ترك وصاته المكتوبة الآتية : « فى الغرفة التى ضمنتنا

لاول مرة نلتذ الحياة وننعم بطيب العيش ، هنا ، وفى
هذا المنزل الصغير الذى اتسع لدنيا من الآمال والأحلام ،
وتحت الحجر الكبير الملون ، حيث كانت قدماى تحييان
فى سكرة الهوى قدميك ، قد استودعت نعلى اللتين
حملتانى إليك ، وسيفى الذى فريت به رؤوس الاعداء
حتى سعدت بك ، فاذا وضعته غلاما فسميه ثيذىوس ،
ونشئيه وطريئه حتى يصلب عوده ، ويشتد ساعده ،
فخذه الى الحجر فليرفعه ، وليلبس نعلى وليمتشق
سيفى ، ثم ليمض الى أثينا ، لا حافظ له الا قلبه ، ولا
حارس الا سيفه فاذا شاعت العناية فانه بحول زبوس
العظيم ولى عهدى ، وصاحب التاج من بعدى »

وتتابعت السنون

وكانت أثينا تزهى كل سنة بعيدها الرياضى الفخم ،
فتلبس حلة من البهجة والايناس ، وتؤمها وفود الاقاليم
المجاورة تتفرج بالالعب الجميلة ، وقد تشترك فيها

وكان مينوس ملك كريت (١) ، ابن مفتول العضل قوى
البنية حبيب الطلعة ، كان يقدم الى أثينا ابان عيدها
الرياضى ليبارى أبطالها ، ثم يعود مشمولا بحب الاثينيين
واعجابهم الشديد ، ولقد كان يحدث ألا يكون للموسم
بهجته المعتادة اذا تخلف ابن مينوس فلم يحضر الى أثينا

ومن غريب المصادفات أيضا أن ينشأ ثيذىوس هذه
النشأة الرياضية التى نشأها ابن مينوس ، والتى كانت
أمارتها تبهر الاثينيين وتخلب ألبابهم فى موسمهم
الرياضى

ولم يكن الاثينيون يعلمون أن الملكهم ولدا ، ان لم يبرز

(١) كريت أو كريد هى جزيرة اقريطش وقد آثرنا التسمية الاول
لسهولتها وذيبوعها .

على ابن مينوس في الالعاب الرياضية ، فانه لا يقل عنه
شأنا فيها . ولم يكن الملك نفسه يعلم عن ولده شيئا ،
ولو قد علم عنه شيئا لما سولت له نفسه الاثيمة أن
يدبر غيلة ابن مينوس في حلك الليل ، وفي طريقه
المتفرقة الى المرفأ ، حين آب بأكبر جوائز الموسم الرياضى
فى المصارعة والملاكمة والعدو ورمى القرص !

لقد أكلت الغيرة العمياء قلب الملك الجبان ، وتلظى
فؤاده بحقد أسود حجب بصيرته ، فأرسل عصاة من
اللصوص وقطاع الطرق والسفاكين ، فذبحوا الشاب
المسكين ، ونبذوا جثته بالعراء ، تنوشها الوحوش وسباع
الطير !

واهتزت أثينا المضيفة ، أثينا أم القرى ، لهول
الجريمة ، ونتموا على القتلة الاشرار اعتداءهم الشنيع
على ضيفهم المحبوب ، وكادت تندلع ألسن الثورة حين
استفاضت الاشاعات وراجت سوق الاقاويل ، لولا أن
وصل فى صبيحة ليلة الجريمة ، البطل الصغير ثيديوس
ولى العهد ، فجأة ، ومن غير سابق علم ، ولا ترقب ولا
انتظار !

« ثيديوس ! ومن يكون ثيديوس هذا ؟ »

« ولى عهد المملكة ورجاؤها ، ومعقد آمالها »

« وأين كان الشاب ؟ وابن من ؟ ومتى ولد ؟ »

« كان ينشأ فى الريف ، وهو ابن حسناء من أميرات
الأقاليم ، وولد منذ عشرين سنة »

« ولم لم تعلم به أثينا من قبل ؟ »

« أراد الملك أن يفاجئ شعبه بهذا الخبر السار لولا
اغتيال ابن مينوس ! »

« وهل هو حقا أشجع من ابن مينوس ؟ »

« ومن يكون ابن مينوس وألف بطل كابن مينوس الى
ولى عهدنا ثيديوس ؟ »

وهكذا راحت الجماهير يتحدث بعضها الى بعض
حديث ثيديوس

أما كيف وصل هذا الامير الصغير ، فان أمه لما آنست
فيه القوة واكتمال البنية . ولما رأت من تدفق ماء
الشباب فى وجناته ، وسريان كهرباء الحياة فى عضلاته .
قادتة الى الحجرة التى لقيت فيها لأول مرة أباه ، ثم
ناولته الخطاب المكنون الذى يحمل وصاية الملك .
وما قرأ الفتى ما جاء بالخطاب حتى تأكدت له الامانى
العذاب التى كانت أمه تهتف له بها ، فتقدم الى الصخرة
فرفعها بأقل جهد ، ثم حمل السيف فقبله ، ووضع
هنيهة على رأسه ، ثم على عينيه ، ثم على قلبه ، كأنه
يطبع به خاتم المحبة الابوية على أعز جوارحه !

وربط النعلين العزيزتين على قدميه ، وانهاه على خدى
أمه ويديها يقبل هذين ويلثم هاتين ، ثم ودعها ، وتزود
من نصائحها ، وانطلق ميمما شطر أثينا

وكانت الطريق الى العاصمة صعبة شائكة ، محفوفة
بالمكاره ، ككل طريق تؤدى الى جنة او نعيم ! فالمصوص
وقطاع الطرق والسفاكون يأخذونها من كل حـدب ،
والسباع الضواري تعج فى جنباتها ، والغيلان والابالسة
تهمهم فى جميع منعطفاتها . . ولكن هذا كله لم يشن من
عزم ثيديوس ، فلقد قتل كل من تعرض له من المصوص
هذه البرية المرعبة ، وفرد رؤوس سباعها ، حتى لقد فر
الكثيرون أمامه يذيعون نبأ مقدمه فى أثينا . فما وصل
اليها حتى كان صيته قد سبقه اليها وشاع فيها . وما

ان تقدم الى أبيه الملك حتى عرفه ونزل من فوق العرش
فعانته وقبله ، ثم عاد به فأجلسه بجانبه ، وأرهف أذنيه
يصغي الى قصة حياته ، ومجازفته في الطريق التي
تكتنفها الاهیوال الى أثينا !

وأعلن السرور العام في المدينة ، وظفقت النواقيس
تدق في الهياكل ، وأطلق سراح المجرمين من جميع
السجون ، وجعل الناس يتندرون بشجاعة ولي العهد
وقصته العجيبة ، حتى لانساهم ذلك هول المأساة الدامية
التي روعتهم وزلزلت قلوبهم

وانتظر مينوس أوبة ابنه ، بيد أنه قلق لانقطاع
أخباره ، وساورته الظنون من أجله ، وحسب أن ريحا
عاصفا ثارت بمركبه في البحر الايكاري (١) فأغرقتة ، لولا
أن أحد التجار الكريديين عشر بجثة القتيل فاحتملها الى
الملك ، الذي تصدع قلبه من الاسى !

ولا تسبل عما انتاب مينوس من الحزن ، وما شمل
كريد من الهم ، حتى لم تبق فيها عين لم تذرف ماءها على
ولي العهد

واتصل بالملك ما كان من فعلة ايجوس ملك أثينا ،
فاستيقظ الناس صبيحة اليوم التالي على صبيحة الحرب ،
تدوى في غبشة الفجر فتقضى المضاجع ، وترن في الاذان
فتتجاوب لها حبات القلوب ! وما تطالع الشمس حتى
تكون البطاح مائجة بجنود كريد البواسل ، هائجة
بالمحمسين من الشبان والشيب ، هرعوا جميعا فدى
للملك ، وريا لمجد الوطن ، واثارا لولي العهد !

وترامت الاخبار الى أثينا ، فاعتكرت أفراح البلاد ،
وسكن ضجيج الشعب ، وسارع الجميع يستعدون للقاء

(١) نسبة الى ايكاروس (أسطورة سابقة)

العدو ، فها هي ذى القلاع قد سهر عليها حراسها ،
والسبل منبثة فيها الجنود شاكي السلاح ، والمرافق
تعج بالسفائن الحربية ، وكل رجل في المملكة قد
اضطلع بنصيبه في الذود عن بيضة الوطن !

وأقلع مينوس بأسطوله اللجب ، وعسكره المجر ،
وفرسانه العديدين ، مزودين بميرة ليس كمثله ميرة ،
وذخيرة يا لها من ذخيرة ... ومخر الاسطول لا تحسول
بينه وبين مطمحه عقبة ، ولا يقف من دونه محقق ولا مجنون
ووصل الاسطول الى أثينا ، غادة هيلاس ، وهدية
الآلهة الى فينوس ، وعروس الاحلام الجميلة ، فوجد
الاسوار مخفورة ، والبوابات مغلقة ، والناس داخل
المدينة مستعدين للدفاع عنها ، فالقت الفلك مراسيها .
واندفع الكريديون يحتلون السهل الواسع المحيط
بالمدينة حتى ملأوه ، وحتى لا ترى الا خياما تصل اقصى
الشمال بأقصى الجنوب ، وتربط أول الشرق بأخر
الغرب .. جنود وضوضاء .. وصهيل ورغاء .. وعسكر
كالجراد المنتشر لا تبلغ أوله عين ، ولا يذهب الى آخره
خيال !

وصابر مينوس يحاصر المدينة أياما طوالا حتى قلت
الاقوات داخلها وأخذ أهلها يشكون الجوع والجهد ،
وزاد في شدتهم أن تضب الماء ، فعم البلاء
ولم يكن أمام الاثينيين الا احدى اثنتين : اما الموت
داخل الاسوار صبرا ، وهذا ما لن يكون ، واما الخروج
للقاء المحاصرين ومنازلتهم ، وذلك ما لا طاقة لهم به
ولا قدرة لهم عليه

أمران أحلاهما مر ، وأخفهما فيه الويل ، وعقباه
الدمار والبوار ، وأجمع بعض عقلائهم على أن يذهبوا
الى ملكهم يرجونه في أن يذهب الى الهيكل فيقدم القرابين

الى الالهة حتى تأتيهم نبوءة السماء ووحى اولمب
بما ينبغي أن يكون .. ولكن الملك أبى واستكبر ، ثم
قبل بعد الحاج أعيان القوم ان ينوب عنه فى هذا الشأن
أحدهم

وقصد قائم مقام الملك الى هيكل فينوس فتقرب
بالضحايا وعقر القرايين ، وقبل الارض بين يدي تمثالها
المنتصب فوق المذبح ، ولبت غير قليل ..

وخشعت الابصار وسكتت القلوب ، وعم المعبد وجوم
عجيب

ثم انبعث الصوت القدسي الضعيف من خلوة الكاهن
يقول :

« ليفعل الاثينيون ما يأمرهم به مينوس ملك كريت ..
الويل لهم ان حاربوا !! » ..

وهلعت الافئدة .. وطاشت الاحلام ! !
وتلقاها الملك كما يتلقى الانسان حكما عليه بالاعدام ..
ولكن ما العمل ؟ ولا حيلة لبنى الموتى فى دفع أحكام
القضاء ؟

وارسل ايجوس الى ملك كريد يعرض عليه الصلح ،
ويسأله عن شروطه .. فقال مينوس لرسول الملك :
« قولوا لايجوس ، الآن عرفت كيف طعنت فؤاد مينوس
تلك الطعنة النجلاء بقتلك ابنه وولى عهده

ولقد جئناك نطلب ثمن هذه الفعلة الشنعاء ، ولن تكفينا
أثينا كلها ثمننا لها ! أما وقد ذلت ، فحسبنا ان نرجع
بسبعة من خير شبابكم واجمل فتيانكم ، وسبع من ابكار
الاثينيات وابهى حسانها ، ليكون الجميع غداء حلالا
للمينوطور ، على أن ترسلوا كل عام فى مثل هذا الزمن
أربعة عشر آخرين من خيرة شباب أثينا وأكرمهم حسبا ،
فان رضى الملك وسلم فدية هذا العام رحلنا عنكم الى

العام المقبل

وسكت الملك وتحدرت من عينيه دموع غلاظ ، وثار
فى قلبه هم قديم

طلب مرعب ينم عن قسوة وغلظة ! غير ان قتل ابن
مينوس غيلة ، فى رحاب أثينا ، وفى دجنة الليل ، وبتدبير
الملك ، كل ذلك يبرر الغرامة الوحشية التى فرضها ملك
كريت !

وكاد ايجوس يرفض هذا الهوان الذى طلب اليه أن
يؤديه عن يد وهو صاغر ، ولكن الشعب هاج هائج
وضج الرعاع يطلبون الخبز ، أو تسليم المدينة أو ..
دم الملك !!

فذل ايجوس المسكين وصغر ، وقبل شروط مينوس
مرغما ، واختير من شباب المدينة سبع كواعب أتراب ،
وسبعة فتيان فى ريعان الصبى ، وشيع هؤلاء وهؤلاء الى
الاسوار بين بكاء الامهات وعويل الآباء وآلام المحبين !

وهرع الكريديون الى خيامهم فاقتلعوها ، والى شراعهم
فنشروها ، وأقلعوا فى الصباح الباكر بعد أن ألقوا على
كبرياء ايجوس هذا الدرس المهول !



ومضت سنون وأثينا العظيمة تؤدى الفدية عن يد
وهى ضارعة ، حتى ثارت كبرياء ثيديوس وفارت نخوته ،
وتقدم الى أبيه الملك الشيخ ، حين دعا النفير العام
لتقديم الفدية ، يضرع اليه أن يكون هو الفداء الرابع
عشر من شباب هذا العام : « على الاقل يا أبى يكون فى
هذا بعض العزاء الاثينيين ، وليشقوا أثنا لا نذلهم ، وأثنا
منهم وهم منا ، وأثنا آخر الامر ، نشرب بالكأس التى
يشربون ! »

وصمق الوالد حين تقدم اليه ولى عهده بهذا الطلب ،
ورفض رفضا باتا .. ويفلى الدم في رأس البطل الشاب
فيقول للملك : « اذن فأنا أحطم كأس الحياة التي أنعمت
مذلة وهوانا ، وسأريق مع سمها الأسود هذا الدم
الارجواني الذي لا أستحقه ، ولا أشرف به .. أبتاه !
لن تتحرك السفينة الحزينة حاملة ضحايا قسوتنا
واستبدادنا حتى أحييها بحياتي ، وأرويها بدمي ، ليكون
قربانا لمن عليها من عشيرتي ولداتي .. »
وقبل أن يفصل البطل الشاب ، ناداه والده باكيا ،
ونفض فباركه ، وقبل ، وأهم يمزق أحشاءه ، أن يكون
بين الضحايا ..

وفي الحق أن ثيديوس لم يكن يعرض نفسه للتهلكة ،
ولكنه كان واثقا من شجاعته ، مؤمنا بما وهبته الآلهة
من جلد وبأس ، وقلب لا يفله إلا الحديد ، لانه من
حديد . ولقد صمم أن ينازل هذا المينوطور الخبيث ،
فاما قتله وعاد مرفوع الرأس ، موفور الكرامة ، ليعيش
في وطنه منقذا لاثينا ، واما قضى القضاء أمره فيه ،
وليس هو بأعز ممن راحوا ضحية هذا الوحش المخيف !
وقال لاييه وهو يودعه ، حينما ركب المركب السوداء
التي يرفرف عليها علم الموت « أبى ! لا تبك ! أنك ملك ،
ودموع الملوك لا تذرف الا في سبيل الوطن ! اننى ذاهب
الى معركة أرجو أن يكتب لى النصر فيها ! لقد فزت
على عشرات من أمثال هذا الوحش ولما اكن بعد الاطفلا ..
ادع لى أن أفوز به ، فأريح اثينا العزيزة من شره »

وأقلعت السفينة تحمل هذه الفلذات الغالية من أبناء
البلاد ، ومخرت في بحر تلاطمت أمواجه ، وزخرت اثباجه ،

وطم أذيه (١) ، وانتفخت أوداجه ، حتى وصلت الى
كنسوس حاضرة كريت . وهرع الناس من كل فج
يستقبلون ضحايا المينوطور ، وفي وجه كل منهم عبوسة
حزن ، وملء قلوبهم ثورات مكبوتة من الاسى ، على هذا
الشاب الناصر الذي أقبل الى الموت من قرار بعيد !
وكانت في الجماهير فتاة غضة الأهاب ، بضة الشباب ،
حلوة ناعمة ، نهضت في مركبتها لمشاهدة الضحايا
الاثنين ، فما كادت عينها تصيب نظرة من ثيديوس ،
حتى أحست في أعماقها بنفحة السماء التي تسبق لفحة
الحب !!

وترى من يكون هذا الشاب الاثيق والفتى الرقيق ؟
« انه يقبل في غير وجل ، ويقتحم الجماهير في غير
هيبة ! أعبر بحار الموت قبل هذا ؟
« لا شك يا فتاة انه أمير ان لم يكن ابن ملك !
« ان الحمرة التي تطير من الورد اذا قطف ، ما تفارق
خديه ، وهو مقدم على الردى !!
« ان صفرة الموت تستحي أن تموه هذه الوجنات !؟ ..
« أمن السماء هذه الزرقة التي تملأ عينيه ؟ ..
« بل مثله لم يخلق الا ليكون زهرة هذه الحياة
الدنيا ...

« أيها الشاب ... لن تموت !
وهكذا جعلت تحدث تلك الغادة ... الاميرة الجميلة
بنت مينوس .. !
وكأنما قرأت وصيفتها الامينة مادهي سيدتها من حب
الفتى في كتاب عينها ، فقالت : « أحسن سيدتى
« حب ؟ » ..

« لا يا فتاة ... ولكن انظري الى هذا الفتى المتفتح كالزهرة !

« والله يا سيدي انه جدير بعطفك ، خليك برحمتك ...

« وما العمل يا فتاة وليس لنا في انقاذه يدان !

« هونى عليك يا مولاتى ! انه وأيم الله من سلاله الملوك ! ان لم يكن ابن ملك ! وهو بادی الشجاعة ظاهر الفتوة ! وان له لسيفا طويل النجاد ما حمل أحد مثله ، ولم أعهد قط أن من ضحايا المينوطور من جاء بذى غرارين من شنه .. فلم لا ندبر معه قتل المينوطور ! ؟ .. »

« قتل المينوطور ؟ انك تهرفين ! ومن يجسر أن يدخل والمينوطور فى معترك ؟

« لا عليك ؟ نرشو السجنان فيفلت الشاب فى ظلام الليل ، ونهديه الى باب اللابيرنث (١) فينطلق الى الوحش الغاط فى نومه العميق ، فيجذ رأسه بهذا الجراز الذى ترين ! »

« يا له من تدبير ! ولكن كيف يعود الشاب وأنت تعرفين من منعرجات اللابيرنث وشعابه ما تعرفين ؟ .. »

« لا أسهل من هذا أيضا ! خيط طويل من أمراس الكتان يمسك هو بطرفه الاول ، ونمسك نحن بطرفه الآخر ، يهديه فى ذهابه ويرشده فى ايابه !! »

وطربت بنت مينوس لتدبير وصيقتها ، فمنحتها قبلة شهية وخلعت عليها جائزة سنوية ... وانطلقتا تترقبان المساء ..

(١) اللابيرنث هو التيه الذى بناه ديدالوس للمينوطور وقد حدثناك عنه فى أسطورة سابقة

وعرف ثيذيوس أنها ابنة الملك فاستطير من الفرح ، وعرفت أنه ابن ايجوس ، فكبر رجاؤها وتلاآت آمالها

وقتل المينوطور ، وفك أسار رفاقه ورفيقاته ، وأقلعت بهم الفلك ، حاملة جوهرة جديدة غالية : هى ابنة مينوس ... وربيبه كريد

أما الملك !

فقد صبر ! وأرضاه أن يحرض ايجوس فيعتذر له ويصالحه ! ...

وهكذا حسم الحب هذا الخصام الطويل

بندورا وسرقة النار المقدسة



توزع الآلهة تعمير الكون ، فكانت الارض من نصيب بروميشيوس بن يابيتوس ، أحد ذراري التيتان العمالقة ، الذين حبسهم أبوهم خشية جبروتهم ومخافة بأسهم . .

وطفق بروميشيوس يفكر ، حتى بدا له أن يجعل في الارض أناسي يخلقهم على صور الآلهة ، فاستعان أخاه أبيمشيوس فهداه الى الحمأ المسنون أو الطينة البشرية . فخلقا منها الانسان الاول ، وذهبا الى ايروس (١) فنفخ فيه من روحه ، انتهى هي الحياة ، وقصدا الى مينرفا فنفتت فيه نفثتين ، هما النفس والعقل

وخلق بروميشيوس رجالا كثيرين على هيئة آدم الاول ، وجلس على أكمة عالية يشرف على عباده الصالحين !! ولشد ما كانت الكبرياء تشيع في أعطافه ، كلما نظر فوجدهم يتحدثون بالآله ، ويسجدون له ، حتى فكر في نعمة أخرى يسبغها عليهم فتكون أجزل النعم !

« النار ! النار المقدسة تنفعهم وتلين لهم حديد الحياة ! ومع أن بروميشيوس يعلم من أمر هذه النار ما يعلم ، ومع أنه يعلم أنها محرمة على غير الآلهة ، وأن كل من استباحها

(١) هو كيوبيد إله الحب

لنفسه ممن عداهم تعرض لمقت الآله الاكبر ونكاله ، فقد ذهب الى الاوليمب وتغفل زيوس ، ودس قبسا من النار في تضاعيف ثيابه ، وعاد كالبرق الى عباده المخلصين ، يقدم اليهم هديته التي سرقتها من أجواز السماء !

ونظر زيوس من علياء الاولمب ، فرأى النيران تتأجج هنا وهناك في أديم الارض ، ففطن الى السرقة المنكرة ، وانقذفت من فمه المزبد رعود الغضب !

وارتجف الاولمب ، وزالمت السماء ، وارتعدت فرائص الآلهة ، وأمر الآله الاكبر فأحضر بروميشيوس مكبلا بالاصفاد ، ملطخا بالوحل ، وعبثا حاول الدفاع عن نفسه ، ثم حكم عليه فسيق الى جبال القوقاز ، حيث غل عنقه الضخم وذراعاه الكبيرتان ، وفخذاه الملتان تزيان بفخذى فيل ، في قنة عالية ، وسخر الآله الاكبر رخا عظيم الجثة ، حاد الاظافر ، كبير المنسر ، فذهب الى حيث بروميشيوس ، ينوشه ، ويمزق جسمه ، وينفـسـذ أظافره ومنسره في أحشائه حتى تبلغ الكبد ، فيهرأه ويطعمه حتى يأتي عليه ، وينصرف الى غد

فاذا كان الليل ، وهبت الريح سحسـجـجا ، التأمت جراحات الآله المسكين ، ونما له كبد آخر ، وينام حتى تشرق الشمس ، فيعود الرخ ليبدأ ما انتهى منه أمس ، وليأخذ في تعـسـذ بروميشيوس التعس ، الى أن تغيب ذكاء !! وهكذا دواليك ، أحقابا وأحقابا . . .

ويلبث الآله المنكود في هذا العذاب الطويل حتى يلقاه هرقل الجبار في أحد أسفاره ، فتثور الشفقة في قلبه ، وينقض كالصاعقة على الرخ ، فلا يتركه حتى تزهرق روحه ، بعد صراع عظيم ، ثم يفك أغلال بروميشيوس ويحرسه ، حتى يقبل الليل فيشفى مما به ، ويسير بين يديه حتى يبلغ

أوطانه ، حيث عباده الصالحون !!

وفرّح الناس بالهم وسروا ببقائه ، وقدرّوا ما لقى
في سبيلهم ومن أجل سعادتهم ، فعنوا له وأحبّوا ..
وكانوا يحيون في بلهنية ، غارقين في طراوة من
العيش وسعة من الرزق ، هواؤهم رخاء وماؤهم صفاء ،
لا يشكون متربة ولا يعرفون ضنكا ، ولا تلم بهم ملمة من
مرض أو رجس . ولم يعرفوا الموت ، ولم يدروا ما
البكاء ، فكأنما كانت حياتهم طوبى ، ونعيما مقيما

وعلم زيوس ما كان من أمر بروميشيوس وفرّح الناس
بأوبته اليهم ، فغيظ غيظا شديدا ، وآلى ليكيدين لهم كيدها ،
وليرسلن عليهم من مكره ما لا طاقة لهم به . . .

ونظر زيوس فرأى أنهم مخلوقون على صور الآلهة ،
ولكنهم كلهم ذكران ، « ومن الآلهة أنثى ، فلم لا أصنع
لهم أنثى تذهب بحرثهم ونسلهم ان صح أن يكون لهم
نسل ؟ » . . .

وأرسل دعوة عامة الى جميع الآلهة فسعوا اليه من كل
فج عميق ، وأخذ يحدثهم حديث بروميشيوس ، ثم أخبرهم
أنه يريد أن يخلقوا له أنثى جميلة يودع فيها كل منهم سرا
من أسرارهم : « لاننى سأرسلها هدية الى هذا المجنون
بروميشيوس ليشهد بعينيّه ماذا تصنع بعباده الذين
خلق . . . »

واقترح الاله أن يفرغ هيفستوس (١) اله النار والفن
وابن زيوس ، الى ابتداع هذه الانثى ، فسواها من نفس
الحما الذى خلق منه الانسان ، وجاءت آية من آيات الحسن ،
رقيقة كأنها صورت لتكون فتنة الاولب

واحتملها الى زيوس ، وأقبل الآلهة ينفثون فيها

(١) هو فلكان الرومانى

أسرارهم ، ويستودعون نفحاتهم ، فهذه فينوس تهبها من
جمالها ، وحيرا من ثرثرتها ، ومينرفا من حكمتها ، ولاتونا
من استيحاشها ، وديانا من رشاقتها ، وكيوبيد من حبه ،
وأبوللو من شعره وموسيقاه . . .

أما هرمنز الخبيث ، فقد انتظر واستأنى حتى فرغ
الآلهة من اسباغ الآثام ، ثم تقدم ، وملء وجهه ضحكة
ساخرة فأودع الهواء (١) قلب كلب ، ونفس لص ، وعقل
ثعلب !! . . .

ثم نفخ فيها زيوس من روحه ، فدبت الحياة شى أعطافها ،
ونظرت حولها فأبصرت الآلهة مشدوهين ، مأخوذين بسحر
جمالها ، فولت مدبرة ولكن الى غير مهرب .

وشرع الآلهة يتخيرون لها الاسماء ، ثم سماها ربها
« بندورا » . وأوما الى هرمنز فاحتملها كالطفلة المدللة ،
وذهب بها ، هدية غالية من السماء الى التعس بروميشيوس
الذى رفضها غير شاكر وأبأها غير حميد !

وكان لديه أخوه ايميشيوس فكادت نفسه تذهب شعاعا
حين أبصر هذه الغادة الهيفاء ، يرفضها أخوه هدية من
السماء ! وتقدم هو فضرع الى هرمنز ان ينزل له عنها ،
وأن يغفر لآخيه حماقته ، وقلة بصره . وكفرانه الذى لا
كفران بعده !!

ومع ذاك فقد نصبح بروميشيوس لآخيه ألا يقبل هذه
الهبة من الآلهة ، وأن يرفضها ، غير مشكورة ، كما
رفضها :

- « انها فتنة يا أخى ، بل هى خدعة من خدع السماء
حرى بنا ألا تنطلى علينا ! »

- خدعة !؟ خدعة ماذا يا أخى ؟ خذ عينى فابصر بهما ،

(١) الهواء . الانثى الاولى

وقلبي فضحه على مذبح هواها .. ألا ترى الى عينيها
النجلاوين ، وشفتيها القرمزيتين ، وثدييها الناهدين ،
وفخذيها المملوءتين ، وساقبيها الجميلتين ؟ ..

- « بل بحسبي عيناى يا أخى ! انى أستشف بهما
فتونا نفتته الآلهة فى كل جوارحها ، فحذار ! انها ستكون
خراب هؤلاء المساكين الذين صنعتهم يداى ! »
- « حسبك يا أخى وحسبى ! هى لى من دونك ، فتول
عنا أو دع ! »

وعاشت بندورا مع ابيمسيوس كما يعيش الآلهة فى
الفردوس .. حياة كلها مرح ، وأياما جميعها لذة وايناس ،
يخلو اليها فتمتزج روحاهما وتختلط نفساهما ، وتكون هى
فتنة زوجها المسكين ، تأسر لبه بموسيقاها الحنون :
وتسحره بالزرقة العائمة فى عينيها ، وتبهره بكلماتها
الغوالى فى الحكمة والموعظة الحسنة !

وتركهما زيوس حيناً من الدهر ينهلان خمر الحياة ،
ويعبان من غسلها المصفى ، ثم دعا اليه هرمز ، فحملة
صندوقاً ثميناً ، وأنفذه به اليهما ... « واياك أن تعبت
به فى الطريق ، فانه هديتى الى بندورا ، وفيه انتقامى من
عباد بروميسيوس ، فسر به الى الفتاة ، وأوصها به
خيراً .. »

وكان الزوجان يتراقصان على الحشيش الاخضر أمام
قصرهما المنيف حين أقبل هرمز بالصندوق ، يتعثر
فى مشيته ، وقد بدت عليه وعشاء السفر ، وعلق الثرى
بأسماله البالية ، فلفتت بندورا نظر زوجها اليه ، وذهبا
سوية للقاءه والاحتفاء به ، ولكن هرمز أبى الا أن يذهب
الى القصر ، ليسلم الهدية ، وليبلغ رسالة السماء .. فسار

الجميع حتى كانوا فى المخدع الوثير ، وجلس هرمز يستريح
قليلاً ، ثم قال :

« هاك يا بندورا العزيرة هدية الاله الكريم اليك ،
خصك بها من دون براياها أجمعين . واحسبك فى غنى عن
ان أصفها لك ، فها هى ذى أمامك تتكلم عن نفسها . ولكن
الاله الاكبر يشترط ألا تفتحها الا بإذنه ، فلا تتعجلي ،
حتى يأتيك أمره . وانه لقريب »

ونهض هرمز ، وسلم وانصرف ، ولا تزال بوجهه تلك
الضحكة الساخرة التى كانت عليه ، يوم استودع بندورا
قلب الكلب ، ونفس اللص ، وعقل الشعب ...

وكان ابيمسيوس قد قدم اليه من ثمر حديقته الشىء
الكثير ، ولكنه لم يمد يده اليه ...

وكان الليل قد قارب أن ينتصف ، وكان الكرى قد
لعب بطرفها الوسنان ، فاستلقت على أريكتها الحريرية
وغرقت فى سبات عميق ، ممتلىء بأحلى الرؤى ، وأطيب
الاحلام ..

وخيل اليها أن فى الصندوق أرواحاً سحرية تكلمها ،
وتنسج الأمانى العذاب لها ، وأن دنيا بأكملها تتفتح وتزهر
حولها ، فلما نهضت من نومها فى بكرة اليوم التالى ،
أحست أن أملاً كبيراً يملأ قلبها ، وأن رغبة ملحة تسوقها
الى الصندوق كلما ابتعدت عنه ، وحدثت زوجها بما
تجد ، فعلاها هو الآخر بالأمال وأخذ يهدىء من روعها
الذى بدا اضطرابه بأجلى مظاهره ... ودعاها الى نزهة
خلوية فأقسمت لا تغادر البيت ، بل لا تغادر الغرفة التى
تضم الصندوق الصغير ، « الذى أحس أنه مفلق على
قلبي ونفسي جميعاً .. ! » فرثى لها ، وانطلق هو ،

لأول مرة منذ عرفها وحده ، ينادم اخوانه الآلهة ويلعبهم ، وبندورا وحدها في مخدعها ، تقلب الصندوق العجيب ، وتحدث إليه ، كأنه يسمع ويرى وغبرت أيام وهي في حال من الهم لم تعهد لها من قبل ، وكانت تجلس وحدها حزينة كاسفة ، تنتظر بشير الآلهة الذي يأذن لها بفتح الصندوق . ولكن هيهات !.. لقد طال ما انتظرت حتى نفذ صبرها وعيل ، ونهضت الى الصندوق قلبه ، وهي مأخوذة بجمال صنعه ودقة زخرفته ، وهذا الغطاء المزركش الذي انطلق على آمالها وأحلامها ..

وحاولت أن تفتحه ، ولو أغضبت بذلك السماء ومن فيها من آلهة وأرباب ، ولكنها فشلت غير مرة ، وضاعت بها الدنيا بما رحبت ، فدفعت بالصندوق دفعة قوية على أديم الغرفة ، فانصدع .. ولما تناولته ثانية هالها أن وجدت بعض أربطة الغطاء قد تقطعت ، ثم هالها أكثر أن تسمع هذه الأصوات ، منطلقة من الداخل :

« بندورا ! بندورا ! بندورا العزيرة ! حنانك ! خلصينا من هذا السجن السحيق ! اننا نتعذب هنا ... انقذينا يا بندورا فقد ضقنا بما نحن فيه ... اننا لم نصنع شيئا حتى نرسف في هذا الحيز الضيق ... »
« ماذا ؟ ... »

ما الذي يتحدث هكذا في هذا الصندوق ... ؟
انها أصوات حزينة مكلومة ، وانى لأبد منقذتها !
ماذا انتظر ؟ أمر السماء ! هذا لا يهم !
انفتح أيها الغطاء ... »

وضغطت الصندوق ضغطة هائلة فانفتح الغطاء ، وسرعان ما انطلقت خفافيش سود ذوات مخالب حادة

فملأت هواء الغرفة ، وأهوت على بندورا المسكينة تعضها وتجرح بدنها الغض ، وكلما وخزها خفاش لعين ، انطلق قائلا : « انا المرض ! » ، ويقول آخر : « انا الفقر » ، ويقول ثالث : « انا الجوع ! » . ويصيح رابع : « انا البخل ! » . وخامس : « انا القحط » وسادس : « انا النفاق ! » . وسابع .. وثامن .. الى آخر الرذائل التي تكظ الحياة الى يومنا هذا !..

وانطلقت الخفافيش من الغرفة الى القصر ، فجرحت الخدم والخول ، ثم انطلقت الى الحديقة ... والى الطريق حيث كان أبيمسيوس وأقرانه الآلهة ، فأوسعتهم عضوا وقضما وتجريحا . وتركهم يترنحون من الألم ، وذهبت تفسد في الأرض ، وتنتقم لزيوس الجبار من عباد بروميشيوس المخلصين ، فكثرت الآلام ، وعم الفقر ، وامتلات الأرض رذائل وأشجانا !..

وكانت بندورا قد اسرعت الى الصندوق فأغلقتة ، حين رأت من أمر هذه الخفافيش ما رأت ولكن : وا أسفاه !

انها حين أغلقت الصندوق ، حبست فيه الروح الطيب الوحيد ، الذي خباه فيه زيوس ... ألا وهو : « روح الامل ! »

وانبطحت بندورا على أرض الغرفة تشن وتتوجع وتشكو البرح الذي ألم بها ، حتى أقبل أبيمسيوس فأنبطح الى جانبها يشكو شكاتها ، ويألم لآلامها ...
ولبثا يبيكان ..

وكلما حدثته بندورا حديث الصندوق ، تسخط الآلهة التعس وتبرم ، وحدها بنظرة فاترة ، قائلا « نصحتك فتم تصيخي ... ! »

وسمعا صوتا ضعيفا في الصندوق يقول : « بندورا !
بندورا ! لماذا حبستني وحدي ، وأنا روح الخير ...
افتحي ... افتحي ... اني سأشفيك من جراحك ،
وأسو آلامك وأوجاعك .. افتحي ... »

ولكن بندورا كانت في شغل بالامها فلم تنهض ولم
تجب ، ولكن ابيمثيوس تناول الصندوق ففتح غطاءه ،
فانطلق فراش ابيض جميل ، هو روح الامل ، ما فتى يرف
بكل جرح من جراحات الزوج حتى شفاها جميعا ،
ثم شفى جراح الزوجة كذلك ، وانطلق الى عباد بروميثيوس
يشفيهم ويأسو جراحهم ، وما فتى الى اليوم ، هذا
الفراش الابيض الجميل ، روح الامل ، يشفى أوجاع
المحزونين والمكلومين
بورك الفراش الابيض !

ولا بوركت خفافيشك السوداء يا بندورا !



هيرو ولياندر المأساة الغرامية المؤلمة

أرسلوها الى الدير ، طفلة بريئة النفس ، طاهرة
القلب ، بسامة الثغر ، وضاحية الجبين ، كلما وضعت
ابهاما في فمها تمصه ، تمثلت فيها سذاجة الطفولة
وجمالها ودعتها

ونذروها لفينوس ، فكانت ربة الحب تنسرق في القمراء
الصافية لترعى طفلتها ، ولتنفث قلبها من رقى السحر
ما تعدها به لمستقبل غرامي ملىء . وكان الكهنة يتفرسون
في شفتي هذه الوديعة الصغيرة الغازاة لا يدركون لها
كنها ، وأسرارا لا يفقهون لها معنى ، الا كنه الصبا
الاحمرء تنثال فوق الثنايا الأربع البراقة ، ولا معنى
القبل ، الناضجة يختلسونها كلما افترقا عن ابتسامة ،
أو انفرجتا لدغدغة أو تخميش (١)

وشبت هيرو ..

وتفتح الورد في خديها الناعمين ، واستيقظ النرجس
في عينيها الناعستين ، وضحكت فينوس في شفتيها

(١) هما : « الزغرة »

الحمرأوين ، ونبت الخمل الحريرى يطرى صـبـابها
الغض ، وشبابها الفينان !

ورسمت راهبة لفينوس فى سيستوس ، المدينة الخالدة ،
التي تربض على شاطئ الهلسبنت (١) الأوربي ، قبالة
أبيدوس ، مدينة الاحلام على الشاطئ الاسيوى

ولبت الراهبة الرائعة تؤدى الطقوس والشعائر الدينية
لربة الجمال والحب ، فى برج مشيد مشرف على البحر
فى قصر ابيا ، ولبت الشهرة تذيع محاسنها فى المدينة
الكبيرة ، والصيت الرنان يتحدث عن جمالها بين الاهلين
كما يتحدث الشذى عن ورده ، والارج عن رنده ، حتى
اصبح اسمها اغنية كل فم ، وهتاف كل لسان

وسمع لياندر ، فتى ابيدوس وأشجع شبابها ، والذائد
عنها فى كل حومة ، بهيرو الراهبة ، فعجب ان تكون حقيقة
كما يصفها الناس ، وحسب ان المبالغة هى التى نفحت
فى شهرة هيرو ، فلم يهتم لما سمع عن مفاتها ، وصرف
ذهنه الشاب الفتى عن هذه الطوبى التى سلبت الباب
الفتيان ، وغدت حلما ذهبيا لكل مدله ولهان

ولكنه كان يزداد تذكرا للفتاة كلما بالغ فى نسيانها او
تناسيها ، واذا صح ان الاذن تعشق قبل العين احيانا ،
فقد كانت اذن لياندر عاشقة وامقة ، وما برحت تلح على
قلب صاحبها بالعشق والمقة (٢) ، وما برح يعرض عنها
ولا يصغى لها ، حتى اعلن فى سيستوس عن حفل ضخم
يقام فى هيكلها تكريما لفينوس وتقديسا ، وأن الشباب من
الجنسين مدعوون للمشاركة فى الاحتفال بربة الجمال
والحب ، وليس أولى من الشباب بتكريم الجمال والحب

(١) الهلسبنت هو بوغاز الدردنيل المعروف

(٢) المحبة

وترامى خبر الاحتفال حتى بلغ الشاطئ الاسيوى فى
أبيدوس وحتى سمع به لياندر ، فابتسم ، وشعر فى
سويدائه بأول قبس من نار الحب ، فألهب احساسه
وأشعل قلبه ، وملا أضالعه شوقا الى هيرو وتحنانا

واعتزم المشاركة فى الاحتفال ، لا تقديسا لفينوس
ولكن لينظر الى الراهبة الحبيبة التى ملأت خياله ،
وأصبحت مثله الأعلى الذى ينجذب دائما اليه ، مدفوعا
بالقوة الخفية الخارقة ، خاضعا للسحر المنطوى العميق ..

واذ كان اليوم المنشود ، ارتدى الفتى ابهى ملابسه ،
وانطلق يحدث نفسه امانى الحب ، ويتغنى أغرودة الجمال
وظل يحلم فى طريقه الى سيستوس بهذا الامل اللامع ،
الذى يشبه فى تحجبه فى ثنايا المستقبل قمر ليلة مكفهرة
قمطير ، ما يفتأ يتخايل فى تضاعيف السحب !

وعبر الهلسبنت فى زورق ابيض جميل ، مخروما بين
العدوتين فى ساعة كانت فى فؤاد العاشق المشتاق
اطول من احقاب واحقاب !

وقصد الى الهيكل ، وطفق يدافع الجماعات ، ويزاحم
الجماهير ، حتى كان بين يدى هيرو

وكانت باقات الورد تتناثر من هنا وهناك تحت قدمي
الراهبة الصغيرة التى استوت على منصة ترتفع قليلا عن
مقاعد المدعوين ، مشرقة موقنة ، كأنها زنبقة ، ملتفة
بردها الحريري الابيض ، متكئة بذراعها اللدنة الجميلة على
سنادة المنصة ، مقلبة عينيها الدعجاوين فى الجمـاهـير
المتكبكة حولها تلتمس البركات ...

وكانت فينوس قد اقبلت من مملكة الاولب تشهد
المهرجان الحاشد ، وتشبع خيلاءها باستملاء الشباب
الهاتف باسمها ، المترنم بعبادتها ، وكان معها ابناؤها الغر

الميامين ، وفيهم كيوبيد وهرمونيا ، فاخترأوا في أبراج الهيكل ، ولبثوا ينظرون الى الملاء ويعجبون

وأرسلت فينوس عينها الفاحصة في الملاء ، فرأت لياندر العاشق يرنو الى هيرو الراهبة ، وتكاد عيناه تلتهمانها التهاما ، ولاحظت ان هيرو منصرفة عن الفتى المسكين ، لا تكاد تعيره نظرة ، ولا تمنحه التفاتة ، وهو مع ذلك مشرب اليها ، ينظر نظرات كلها عبادة ، وعيناه مغرورتان بدموع تكاد تنهمر

وتحرك حنان الحب في فؤاد ربة الحب ، وأقسمت لتعاونن في هذا المشروع الغرامى العظيم !!

وذلك ان فينوس لم تكن تجيد الحب لنفسها فقط ، بل كان يثلجها ويملوها غبطة ان ترى الى عبرات المحبين ، وتسمع الى رنين القبل في شفاة العاشقين ، فأشارت الى ولدها كيوبيد - رب الحب ، وصاحب السهام الذهبية ، والقوس ذات الوتر العرد - فأقبل عندها ، والقت اليه اوامرها ..

فوتر (١) كيوبيد قوسه ، وتخير واحدا من سهامه ، وانتهر فرصة من هيرو كان نظرها متجها فيها الى لياندر ، وأرسل الى قلبها السهم الذى يحمل رسالة الحب ، فدخله غير مستأذن ، وملاء لوعة وصباة .. وجنت للحظتها بالفتى ..

وتخير كيوبيد سهما آخر ، وأرسله هدية حارة ، دامية ، الى فؤاد لياندر . فما كاد يستقر فيه ، حتى أحس الفتى انه لم يغد واحدا من هذه الاجسام الفانية الهالكة بعد ، بل هو قد صار طيفا نورانيا ، وأحس مع ذلك بحب غامر لم يكن له به عهد من قبل ، جعله يقنى فناء تاما في هيرو

(١) أى ركب بها وترها

الراهبة ، التى نظر فألقاها تلتهمه هى الاخرى بعينيها وقلبها التهاما !

لله يا حب ما أجملك ، وما أبر فينوس بعبادك !
ودلف لياندر نحو المنصة ، وتمتم بكلمات خافتة ، كأنما هى بث الورد للمطر ! يفهمها المحبون وحدهم ، حين يتكلمون بأطراف الشفاة والعيون ، فعلمت هيرو ان حبيبها يقرئها حبه ، ويسرها هيامه ، ويرجو منها أن تمنحه ميعادا يلقاها فيه على حدة ، ويعبدها خلاله على انفراد ! ..

وارتبكت هيرو ، وتصارع في نفسها الخوف والحب ، الخوف من ان يلحظ احد ان راهبة فينوس تصبو ، وبذلك يهوى احترامهما الى حضيض السخرية ، حينما يفتضح الحب الذى تكتمه في صميمها للياندر ، والذى اثاره فيها سهم كيوبيد ، ولم تر الا ان تنهر العاشق الملح لينصرف ، ولكنه ما يزداد الا تعلقا بها ، وتشبثا بما طلب اليها ، ورجاها فيه ، وتكون هيرو قد بلغت حالة بين الهيام والاشفاق لا تحتمل ، فتهمس اليه ان ينتظر حتى ينصرف الناس ، فاذا انصرفوا ، خلت اليه ، وحدته حديثا موشى بالورد مبلا بدموع الحب ، يختلط فيه انين الآهات برنين الموسيقى . وتذكر له ان اتصالهما سيظل حبا في حب ، وبكاء في بكاء ، ولوعة فى اثر لوعة ، وزورة مختلصة تعقبها زورة مختلصة : « لانى راهبة كما تعلم ، وانا خادمة هذا الهيكل الفينوسى المقدس ، وسأظل عذراء ابد الدهر ، فلن ينتهى حبنا الى هذا الزواج الذى اوثره واتشهاه . فاذا كان الغسق يا حبيبى ، وتألق النجم فى كبد السماء يردد أناتنا ، فاقصد الى شاطئ البحر عند ابيدوس ، واخلع ملابسك : ثم خض عباب الهلسبنت حين أعطيك اشارة من مصباحى ، حيث اكون فى برج قصرنا المشرف

على البحر عند أقصى حدود سيمستوس . فاذا وصلت ،
وستصل سالما في رعاية فينوس ، فهلم الى في البرج تلتذ
آلام الحب ، ونتغن اشجان الهوى ، واضعة رأسي على
صدرك ، او واضعا رأسك على صدري ، شاكيين الى
الآلهة ما بنا من برح ، حتى يطلع الفجر فنفترق ، وتعود
ادراجك الى الشاطئ الاسيوى سابحا ، فإذا كان غد ،
عدت لافنى فيك واغمرك بالقبل ، ولا قرأ في نفسك ، وتقرأ
في نفسي ، كتاب الحب وآي الطهر .. وبوركت فينوس !
ولقد آثرت هير و خطة الحذر في صلتها الغرامية
بلياندر ، لان شيطان الهلسينت كانت حراما
على السفائن والزوارق وسائر الجوارى ، بعد ساعة
من غروب الشمس ، فلو قد ركب زورقا وعبر به البوغاز ،
لعرض نفسه لخطر جسام ، من بينها عقوبة الاعدام دون
محاكمة ! لذلك لم يكن بد من أن يقطع البحر سابحا كما
رسمت له هيرو ..

« معبودتى ! سأخوض العباب في سبيلك »
« وأطوى بحار الجحيم لو أنها تحجزنى عنك »
« فلا الموج جياشما باللهب ، ولا الاعماق تقذف بالحمم »
« ولا الفرع الاكبر فى الارض أو فى السماء ، لا هذا ولا »
« ذلك يحول دون لقائنا يا معبودتى ! (١) »

فلما كان غد ، وتوارت الشمس بالحجاب ، وأقبل ليل
العاشقين بشكواه ونجواه ، يمل لياندر شطر البحر ، ووقف
فوق رمال الشاطئ كأنه يعدها ، ولبت يرقب البرج على
العدوة الاخرى ، وفى قلبه أمل مضطرب ، وفى نفسه قلق
مستعر ، وملء يديه منى تملأ العالم بأسره !
وظل يذرع الشاطئ جيئة وذهوبا ، وهو حين يروح أو

(١) من أدوين أرنولد

هين ينثنى ، يحملق فى البرج المشيد لا ثريم عيناه عنه .
وكانت الرياح تدمدم فى جنبات الاكام الممتدة على الساحلين
والموج يزخر فى غيران طوروس الشامخة ، والبحر يقذف
سراطينه على الكتبان البعيدة النائية ، والسحب تتجمع
وتتفرق كأنها موج الظلماء فى خضم السماء ..

وفجأة لمح لياندر بصيص النور فى كوى البرج الشاهق ،
فانفلت من ثيابه كأن الشعاعة تجذبه ، ولم يعنه أن يمزق
هذا الكم ، ويشق ذاك الجيب ، ولم يبال أن يقذف
بالقميص هنا وبالبرد هناك ، ثم ينقذف فى الماء ويأخذ فى
سباحته ، ترفعه موجة حتى ليحسب أنه يمسك النجم
ويلمس السماء ، وتخفضه موجة حتى ليخال البحر
ينشط بحررين ، ويهوى فى أعماق القرار يؤانس التريتون
ويجالس الاوسيانيد (١) !!

وكانت فينوس تنظر من علياء الاولمب وتلهو ..

ما برح يصارع البحر والبحر يصرعه ، وما برح يتقدم
الى أمام ويسحبه التيار الى وراء ، وكلما خائته قواه نظر
الى البرج يتزود من بدره قوة ، ومن القبل الحارة التى
تنتظره ثمة دفئا ونشاطا مجددا !

وبلغ الشاطئ ..

ووجد هيرو تنتظره كأنه الامل المرتقب ، والمنية المرتجاة ،
فهرعت اليه واستقرت فى حضنه ، ولبت تتسمع الى دقات
قلبه الواجف الذى يخفق - لأول مرة - بموسيقى
الحب !!

« وامتد فم الفراشة المرتجف ، يرشف رحيق القبله
الاولى من الثغر الحبيب الذى تفتحت عنه جلتارة
الحب (٢) »

(١) التريتون : فتيان البحر . والاوسيانيد : عرائس المحيطات

(٢) من لورد بيرون ، والجلنار : زهر الرمان الاحمر

وتمزقت السحب ، وتكشفت السماء ، وأطلت النجوم
ترنو الى العاشقين المدلهين يتباثان ويتشاكيان ، ويأخذان
فى لذة الهوى الطاهر ونعيم الحب البرى !!

وكانت فينوس تنظر من علياء الاولب وتلهو ...

ونسمت فى الافق الشرقى أنفاس الفجر ، فنهض
الحبيبان يودع أحدهما الآخر ، ويتزودان للنهار الطويل
من زاد الهوى نظرات وقبلات !

وفصل لياندر ، وأطلت هيرى من الكوة الصغيرة تنظر
اليه وهو يداعب الموج والموج يداعبه ، ويلبس الزبد والزبد
يلبسه ويخلعه ...

وفينوس تنظر وتلهو ..

وأشرقت الشمس وتوارت ، وأقبل الليل وتنفس الفجر ،
وعصفت الريح أو هبت رخاء ، وانتمعت الشعلة تضىء
للعاشق ظلمات العباب ... واطمان البحر الى صاحبه حتى
خاله أيسر عليه من ظهر الارض ، فكان يطويه الى منية نفسه
وهوية قلبه ، فى كل موعد منتظر ، ثم يؤوب على متنه حين
ينصدع عمود الظلماء ، وكأنه يمتطى من ظهور الموج
الصافنات الجياد ..

وكان فجرا شاتيا يكاد سنا برقه يخطف الابصار ،
وزمزمة رعوته تهد جوانب الافق ، وكان البحر يتقلب
ويرتعد كأنه زلزلة تأخذه من أعماقه ، فأوجست هيرى خيفة
على حبيبها ، وتعلقت به ، وراحت تغمره بالقبل ، متوسلة
ضارعة ، ترجوه أن يبقى بجانبها ولا يجازف بحياته فى
هذا اليم المصطخب ، وهى تدبر له مخبأ يأويه ذلك اليوم ،
حتى تسكن العاصفة ، وينام الماء ...

وثارت النخوة فى نفس لياندر ، وشاعت الكبرياء فى

جسمه القوى المفتول ، وأنف أن يجبن أمام الطبيعة
الساخطة الغضبية ، فطمأن هيرى واحتملها كالحمامة فى يديه
الجبارتين ، وطبع على شفثيها المرتعشتين قبلة تجمعت فيها
روحه كلها ، ثم انفتل من بين ذراعيها الضعيفتين ، وهرع
الى البحر فخوض فيه ، ملتفتا بين برهة وأخرى ، محييا
البدر الصغير المشرق عليه من الشاطئ ...

وفينوس البارة تنظر من الاولب وتلهو ...

وأحس فى منتصف الطريق برعشة واعياء ، ولكنه كان
يهتف باسم هيرى مرة ، وباسم فينوس أخرى ، فتشط
الشمالات القليلة الباقية من قوته الفانية ... ورثت لحاله
ربة الحب ، فنفخت فى ذراعيه المجهودتين ، حتى وصل الى
شاطئ أبيدوس مهدودا محطما ... وتهالك على نفسه ،
فوصل الى منزله ، وأوى الى فراشه ، ليحلم بالموت المحقق
الذى نجا منه منذ ساعة ...

وغابت الشمس ، ولكن العاصفة ما برحت تزداد شدة
وعنفوانا ، والبرق ما فتىء يطوى السماء ، وكان كل شىء
ينذر لياندر بسوء المنقلب ومع ذاك فقد نهض غير مستيئس
وقصد الى الهلسبنت ، فوقف بشاطئه يبتسم للاهوال التى
يضطرب بها بطنه ، ثم لمح الضوء ينبعث من كوى الكوخ ...
فخلع ملابسه ، وبدأ رحلته ...

وكانت فينوس لا تنظر ولا تلهو ..

لأنها كانت عند حبيبها أدونيس الراعى الجميل تستمتع
به ، بعد اذ فضحها أبولو فى حبيبها مارس

ولم يبيل لياندر من البحر ما بلا هذه الليلة ... فلقد
كان الموج كأنه ألواح من الثلج تتكسر على ظهر الفتى
المسكين ، وتصدع ذراعيه وترتطم برأسه ...

ولقد كان الماء هذه الليلة كأن شيئا من الصبر قد ذاب فيه ، بعد اذ كانت ملوحتة تستحيل شهدا في فمه ، وعسلا مصفى !

ولقد كان البرد ينهل من السحب القائمة ، والصقيع يساقط كندف القطن الابيض ، فيعلق بشعر لياندر ، وينسج فوقه قلنسوة من برودة الموت .. وجاهد العاشق

وسبح باسم هيرو بين موج كالجبال ، وليل كله ظلمات

وا أسفاه !!

لقد نظر المسكين الى البرج يتزود من نوره ، ولكنه لم ير الشعاعة تتألق كما عودته لقد أطفأتها الرياح الهوج ، فأطفا في قلبه بصيص الامل ..

واستولى عليه خور الفجر السابق ، ودهاه القنوط في عضلاته ، فيئس منها جميعا وضاعف النكبة شرقة بالماء حين أراد أن يهتف باسم هيرو ! فغاص !

ولفظه اليم جثة هامدة .. ثم ابتلعه ، ثم لفظه .. ثم انتصف الليل ، وهيرو المشدوقة حاملة مصباحها الخافت ، بعد اذ أشعلته ثانية ، ولكن الساعات تمضي .. ولا يصل لياندر

وتنفس الصبح ، فسارعت الراهبة الهيمانة الى البحر ، وحملت في الماء .. فأبصرت الجثة الحبيبة ترتطم بأصل البرج ، كأنه حنين الجسم الى أحلام الروح !!

وصعقت هيرو ..

ودارت بها الارض ، وانطفأت في عينيها مباحج الحياة بانطفاء أملها المشرق وبدرها البسام ، فألقت بنفسها في الاعماق ! ..

وما هي الا لحظة ، حتى كان الحبيبان مسجيين على سرير الماء ، ملففين في أكفان الزبد (١) !

(١) شغف لورد بيرون بهذه الاسطورة فنظمها ، وذهب بنفسه الى الدردنيل فتمثل لياندر وعبر البوغاز ، وتمنى لو غرق مثله هناك ، فلا يفوت القارئ الاطلاع على تحفة بيرون في ديوانه

هرقل



كان قلب الاله الاكبر شيعوية في دولة الحب ...

ولم يكن يقصر هواه على ربان الاولمب فحسب ، بل كان يفتتن بكل حسناء من بنات حواء ، وطالما وصل أسبابه بأسباب الغيد الاماليد من طباء دار الفناء ... هذه الحياة الدنيا ! ..

ولقد كانت زوجته حيرا تقعد له بالمرصاد ، لما تعرف من تصابيه ، ولقلة ثقته فيه ، فلما علق الفتاة الفتانة « ألكمين » احدى اميرات هيلاس ، كان يبالح في الحذر حتى لا تفجأه زوجته معها كما فجأته مع الحسناء « يو » من قبل

ونعم الحبيبان بحياة راضية ، ووضعت ألكمين طفلها العاتية الجبار هرقل ، وما كاد النبا يذيع في دولة الاولمب حتى ثارت ثائرة حيرا وأسقط في يدها ... لانها لم تعد تستطيع أن تنتقم لكبريائها من منافستها في قلب زوجها

(١) Hercules أو Heracles ويسميه بعضهم Alcides وعمره العرب هرقل

(زيوس) ، تلك المنافسة التي ارتفعت الى مرتبة الآلهة ، بعد اذ وضعت غلامها ابنا لسيد أرباب الاولمب

ولكنها ، وهي هي المجبولة على الشر دائما ، آلت الا أن يرتد نور الحياة المتلألئ ظلاما في عيني الام ، وذلك بالفتك بوليدها المحبوب ، فأمرت حيتين رقطاوين من أبالسستها أن تسعيا الى مهد الطفل ، وأن تندسا فيه ، حتى اذا سنحت لهما فرصة أودتا بحياته ، وعادتا بأثارة منه تشهد على انفاذ ما أمرتا به

وسعت الحيتان حتى استقرتا في المهاد الوثير ، وانتهرتا غفلة من الخدم فانقضتا على الفريسة الصغيرة ، وأوشكتا أن تظفرا بها ...

ولكن هرقل الصغير الهاديء افتر عن ثغر شتيت مشرق وقبض بأصابعه الصغيرة الدودية على رأس كل من الحيتين وبضغطين هائلتين حطم عظامهما جميعا ، وكان الخدم قد أقبلوا ، فلما شهدوا الافعوانين ، صرخوا وأعولوا ، بيد أنهم بهتوا وطار الصواب من أدمغتهم حينما رأوا أن الوليد الصغير ، المنبطح على ظهره ، يضرب برجليه ها هنا وها هنا ، قد قضى على الحيتين العظيمتين وألقاهما ضحيتين غير مباركتين على مذبح قوته الخرافية !!

وقدمت ألكمين فضمت الى صدرها الحنون طفلها الهائل ! فرحة مستبشرة ، وطبعت على جبينه الضاحك قبلة حملت أسمى معاني الامومة

وذهلت حيرا عندما سمعت بما صنع الغلام بشيطانيها ، وأيقنت ألا سبيل الى القضاء عليه ، ولكنها لم تيأس ، وأقسمت أن تنشر الشوك في مستقبله القريب ، وتبث العراقيل في حياته الجاثية

وشب هرقل ...

ونشأه مؤدبه « شيرون » زعيم السنتور (١) ، تنشئة حربية حافلة ، ولقنه كل ما تحتاج اليه حياة الفرسان من تقشف واخشيئشان ، فمهر هرقل في زمن قصير في استعمال الاسلحة بأنواعها ، ونبع في جميع صنوف الرياضة والالعاب الفروسية والقوى

وكان شيرون نفسه يعجب بهذا الجسم الحديدى ، يمسكه العضل البارز ، ويزينه الكيان المقتول ... وكان اذا أراد تدريبه على المصارعة والالعاب القوى ، أثر أن يشركه فى نزال مع الثيران والعجول ، والضخم ذى الايد من بهيمة الارض . وكان هرقل لا يخشى شيئا من خصومه العجماوات ، بل كان يقبل على مصارعتها بثغر بسام وقلب طروب ، فلا يدعها حتى يلقبها على الارض معفرة بالتراب ! وخشيته الحيوانات جميعا ، فكانت تجفل من طريقه كلما رآته مقبلانحوها ، لطول ما جربت من بطشه وشديد بلائه ! وكان الفتى كلما ازداد قوة ، وذاب الحديد فى عضلاته ، ازدادت حيرا تغيظا ، وهاجت فى فؤاده الاحقاد !

ولم تعد تطيق صبرا على هذا الخصم العنيد ، ومادت بها الارض ، وأصبحت كأن يعاسيب العداوة تطن فى رأسها تغريها بهرقل ، ومن يلوذ بهرقل ، فانطلقت الى زوجها ولم تزل به حتى أصدر ارادة أولمبية تقضى أن يصبح هرقل خادما لابن عمه النذل الخسيس : يوريندوس أمير أرجوس ، وأن يظل فى خدمته بضع سنتين ..

وانتهى هرقل من تلمذته على شيرون ..

وانطلق يكابد الحياة كفن قاس مليء بالبرغائب ، مفعم بالمجازفات . فبينما كان يعبر طريقا معروشا بفروع السنديان ، بين غابتين عظيمتين ، اذا غانيتان جميلتان

(١) السنتور جبل خرافى نصفه الاعلى نصف رجل والنصف الاسفل نصف حصان

تعترضانه وتأخذان عليه سبيله ... فأشاح عنهما ، يحسبهما من المسكينات ملفوظات البغاء ، أو من أولئك اللائى يتخذن الفسوق حرفة قدرة لعيش وضيع . لكن الفتاتين تشبثتا به ، وأبتا الا أن يقف معهما هنيهة ، يتخير منهما واحدة تكون رائدته فى هذه الحياة ، تهديه وترشده وتأخذ بيده فى سبيلها المتشعبة

وكانت احدى الفتاتين ، (كاكيا) شيطان الاثم وابليس الفجور فى هذه الارض . فتقدمت اليه متبرجة متهتكة ، تغمز بهذا الطرف ، وتبتسم بذاك الشجر ، وتهز ما سكن من الجليد ، وتمط ما اشرب من العنق وتحسر عن الساقين ، وتكشف عن الذراعين ، وهى تفرقع بضحكات مخنثة تثير الاشتها فى نفس الشاب ، وتستولى بها على مشاعره : « أنا حببتك كاكيا ، أجمل غادات هيلاس ومفتحة الورد فى حدود العذارى ، أضع قلبى وجسمى بين قدميك يا هرقل العزيز مطية الى الفردوس الذى تجد فيه ما شئت من نعيم وما تمنيت من لذة .. فاتبعنى أجعل الدنيا كلها من حولك سعادة ، وأصير طريقك أنى ذهبت فى الحياة منضورة بالورد زاهرة بالرياحين ... هلم الى نحي حياة كالعلم ، بعيدين من عناء العالم ، نائمين عن شقاء الدنيا ، لانفتح أعيننا الا على متعة ، ولا نرهف سمعينا الا لموسيقى ، ولا نغلق قلبينا الا على نعيم ... »

مالك ولوجه الحياة المربد يا حبيبى هرقل ؟ ان الدنيا فرصة سانحة فانتهازها ، وأن العمر قصير فلا تلق به بخورا فى نار البأساء ، وان الايام لتخب بنا دون أن نشعر بها ، فلم نحاول ان نلبيها بالجد فيها هذا اللبوس الأسود الحزين القاتم ؟ ولم لا نرسلها فى وشى وأفواف ؟ لم لا نستمع دائما لما توحيه الينا قلوبنا ونفوسنا مادامت الدنيا مخلوقة لها ؟

لم تطرق هكذا يا حبيبي ؟ أمتعب أنت ؟ هات رأسك
اذن ، ودعه ملقى على صدرى الجميل الخصب ...

ولكن الفتى نفر نفرة بادية ، وأرسل نظرة فاحصة الى
(أريتيه) الفتاة الأخرى ، التى كانت تقف عن كعب ،
مصغية الى حديث كاكياء ، مشفقة على الشباب المسكين
أما أريتيه هذه فربة الفضيلة ، ونفحة السماء ، وهادية
البشر ومنقذتهم من شرور كاكياء ...

وسألها هرقل : « أنت أيتها الفتاة ، بم تشيرين ؟ »
وقالت أريتيه : « وهى تكفكف عبرة غالية : «أنالا أشير
عليك بشيء أيها الصديق الا بالحذر من هذه الفداة !
انها قوشك أن تضلك وترديك ! »

فغيظت كاكياء وأخذها الحق ، وأجابت فى غلظة
ومخاشنة : « أضله وأرديه ؟ هاها ... وأنت ؟ أتسلكين
به سبيل الفضيلة التى زرعت أرضها قتادا ، وبذرت فيها
أنياب الذئاب ؟ اسمع يا هرقل ، اصغ الى يا حبيبي ،
دعك من هذه الفتاة المحتشمة ... تول عنها ... انها
تفطش حياتك لو تبعتها ... »

وتبتسم أريتيه ابتسامة هادئة وتقول : « ان الآلهة
يا هرقل قد زودتك بهذه القوة الكامنة فى بنيانك لغرض
أسمى من جميع الأغراض الحيوانية ، وقد كان أجدى
للخير العام أن تخلق ثورا ذا خوار من أن تودع كل هذا
الحديد فى عضلاتك ، لو لم تكن قد أعدت لك لفعال جسام
لن يؤديها غيرك . أجل ! ان طريقى لا ينمو بها الا الشوك ،
وانها تدمى الأقدام وتجهد السائرين ، ولن ترى فيها
زهرة ولا ريحانة ، بل لن تسمع فيها عصفورا يغنى ولا
بلبل يغرد ، وبالعكس ، قد تقتتل فيها مع السباع
والضواري والشعابين ، ولكنك فى آخر كل نصر ، وعقب كل
ظفر ، ترى جنة من الرضى تحفك بالزهر ، وترقص بين

يديك بالفوانى والقيان . أما ما تفريك به هذه الانثى
الهلوك ففيه حتفك ، فحذار . وليس أحب اليك ،
كرجل ، كان له الشرف أن يكون ابن اله ، من أن تثبت
للآلهة أنك جدير بما انتدبتك له »

وسكنت أريتيه ، ولكن كاكياء لبثت تدل وتتيه وتتبرج ،
تحاول الفوز بهذا القنص العزيز ... غير أن نخوة الرجولة
ثارت فى قلب هرقل ، فانتهر الغانية الغاوية وأغلظ لها ،
ثم تقدم الى أريتيه فتناول يدها الصغيرة الحلوة ، وطبع
عليها قبلة تفيض وقارا واحتراما ، ثم قال لها بصوت
متهدج خافت : « هلمى بنا يا فتاة فلن أخشى فى سبيلك
بأسا ولا رهقا »

وانطلقا ... وغابا فى ظلام الغابة ...

ولم يبرح هرقل معينا للضعفاء ، مغنيا للملهوفين ، اذا
رأى مظلوما انتصف له من ظالمه ، واذا لقي جائعا نزل له
عن زاده ، ولم يبرح ينصر الفضيلة انى سار ، ولم تبرح
الفضيلة تمشى فى أثره أيا ن ولى ، حتى ضاقت الدنيا
بحيرا ، ولم تحتمل هذا الغار من المجد يكال هامة خصمها
العظيم ، ولا سيما بعد أن اتصل بالملك كسريون ، ملك
طيبة ، وزواجه من ابنته الجميلة ميجارا

لقد أحب هرقل زوجته حبا جما ، وأحبته هى كذلك
وأخلصت له ، وكانا يذهبان الى الغابة القريبة يتناجيان
تجوى الحب ، ويرشفان كووس الهوى ، ويعودان مع
الاصيل فيسامران المالك الشيخ ، ويدبران معه أمور
المملكة ..

ثم مكرت حيرا مكرها ! ...

لقد صممت على أن تسلب هرقل رشده ، وتتركه يهيم
فى الأرض ينطح براسه الصخر كما يفعل الضلال المجانين .
فبينما كان غارقا فى أحلام السعادة الى جانب زوجته ،

آمنين مطمئنين ، اذا حيرا الآثمة تندس في ظلام المخدع ،
وتنفث سحرها الفظيع في أذن هرقل ، وتمضي لسانها ،
فتختبئ في الحديقة خلف دوحة كبيرة من دوح الشاهبلوط ..
وتنتظر ثمة ريثما يصحو الزوج المسكين ، فتشهد
المأساة التي تتفزع من هولها الأرض وتميد الجبال ! ..
وأشرقت الشمس !

وأستيقظ هرقل ، ونهضت ميجارا ، ولكن نارا كانت
تقدح الشرر في عيني البطل ! وزبدا حارا كان ينقذف من
فمه المخرف ! واصواتا كأصوات الشياطين كانت تدوى
في رأسه الضخم ...
والدم ! ...

لقد كان ينبثق من كل جارحة في جسمه الأرجواني ،
فينضح اللحف والأرائك ، ويسيل على أديم الفسرفة
المغطى بالدمقس !
وذعرت ميجارا ، وصرخت صرخات راجفة تدعو
أباها ..

ولكن هرقل المسحور ينتفض انتفاضة تزلزل أركان
القصر ، وينقض على زوجته التعسة كأنه ضبع : « تعالي
يا خائنة ! أين كنت طيلة الليلة الفاتنة ؟! آه أجمل !
كنت تتمرغين بين ذراعي عشيقك الجبان ! الويل لكما !
شرف هرقل تلغ فيه الكلاب ! »

وبضغطة قوية من يديه الصارمتين ، على عنق الفتاة
المنكودة يتركها جثة هامدة ، قربانا للموت في عنفوان
الصبي ، وضحية للردى في ريعان الشباب ...

وانطلق يصرخ في ردهات القصر ، وهول يزمجر في
حنيا الحديقة ، ثم أطلق ساقية للريح ...
وفي قنة جبل تزمزم الأعاصير في جنباته ، جلس هرقل
المسكين ليثوب اليه رشده ، وليذكر أنه قتل زوجته

المحبوبة في ثوبه جنونية ، فينشج ويبكي ! ...
وتكون غمامة فوق رأسه تظله من وهج الشمس ،
فتنشق عن اله كريم ، هو هرمز رسول السماء ، حمل الى
هرقل تلك الارادة الاولمبية القاسية ، التي أصدرها زيوس ،
متأثرا بالحاح زوجته الآثمة حيرا ، والتي تقضى أن يظل
هرقل في خدمة ابن عمه يوريدوس اثني عشر شهرا يصدع
خلالها بما يؤمر !

- « لقد كان عليك أن تظل في خدمته بضع سنين ...
ولكننا ألحفنا على رب الأرباب فقصر المدة ، واختزلها
الى ما ترى ! »

- « يختزلها أولا يختزلها ، لقد أصبحت الحيسة
سجنا بدون ميجارا ! »

- « عليك بالصبر يا صديقي ، فقد تفيدك طاعة
الآلهة .. »

- الآلهة التي لا تحسن عملا غير هذا العبث ! ..
- « صه صه ... هلم الى يوريدوس ، وستكون حرا
بعد سنة واحدة ... »



وجن جنون هرقل لهذا القضاء الاولمبي الاعمى ، وفر
من هرمز في مسارب المياه ، ولجأ الى الوحوش يلتمس
لديها الصبر الجميل والقلب الرحيم ، ولكنه عبثا حاول
انفرار مما كتبته السماء عليه ، وهنا ، بدت له صديقتة
ربة الفضيلة أريتيه ، فنصحته ، ولم تزل به حتى أقنعتة
بخدمة يوريدوس ، فذهب اليه كسير القلب مهيب
الجناح ، كأن جبلا من الهم والسخط مستقر على قلبه
وقال له يوريدوس : « وأخيرا وصلت الى آخر الدرب
يا هرقل ! ... ان أمامك أمورا فأعد لها عدتك ، فمنا
دموعك على ميجارا بمجدية عليك شيئا ... »

وخذجه هرقل بنظرة يشتعل فيها الغضب وقال له :
« أجل ، لقد وصلت الى آخر الدرب ... ولكن ليس
لك شأن بدموع أذرفها من أجل ميجارا ... ألا فاذكر
حاجتك التي أرسلتني الآلهة لاقضيها لك ، وأقصر ! »

وضحك يوريدوس حتى كاد الرعد يخرج من بين
شدقيه ، وقال : « حاجتي ؟! ان لي لحاجات ما أحسبك
تستطيع قضاء واحدة منها . وكيف تصبر مثلاً على سبع
نيميا الذي يقطع الطريق الى غاباتها ذات السكنوز
والأذخار ؟ »

وقال هرقل : « سبع نيميا أو ألف سبع كسبع نيميا ،
عليك أن تكافني ولو بهدم السماء أفعل ما تكلفني به ...
والآن ، اذا جئتك برأس هذا السبع ، أأكون طليقاً ؟ »
- « تكون طليقاً ؟! ان أمامك اثنتى عشرة مسألة ، رأس
سبع نيميا أولها وأيسرها يا هرقل ، فهل اذن ،
وسنرى ... »



مجازفات هرقل

١ - الى غابة نيميا

كانت الغابة تشير الرعب في قلوب الجن ، وكانت
الظلمات تضرب في أنحائها فتجعلها تيهها يعرج بالافاعي ،
ويضج بالتنانين

وكان ملكها الضرغامه يربض في المغارة المفزعة ، المنشقة
كالقبر في أول الطريق المؤدى اليها ، وكان يخرج في أول
الليل فيصول في القرى المجاورة ويجول ، وكان الاهلون
التعساء يلقون من بطشه وشدة اذاه الشيء الكثير ، فلم
يكن يبقى على دابة في الأرض ، ولا انسان في الطريق .
ينقض كالقضاء على فريسته فيجندلها . ثم يحتملها الى
كهفه فيلتهم منها ، وينبذ الباقي لخدمه وعبيده الكثيرين
من سائر السباع

ولم يكن كهذه الاسود الضئيلة التي يتحدث عنها
السودان هذه الايام ، بل كان أسداً في جرم الفيل وقوته ،
ورشاقة النمر وخفته ، وخبائة الثعلب وحيلته ... يثور
فينقذ الشرر من مقلتيه ، وتمور الأرض وتسجد الجبال
بين يديه . وكانت له لبدة نسجت لها الآلهة من اشواك
الجحيم ، وبطنتها بحمى المنية !

وكان زئيره يقصف كالرعد فيزلزل شعاف الجبال ،
ويهز جوانب السماء ، ويهيج الجنون والفرع في رؤوس
الوحوش ، فتري الى الغابة كأنها ترقص على فوهة
بركان !!

ولقى هرقل أصدقاءه فنصحوا له ألا يلقى هذا الاسد ،
وأن يضمن بشبابه ... على أنيابه ، وبماء الحياة المتدفق
في بردتيه ، على جمر الغضب المتأجج في صدقته ...

ولكنه أبى !! وانطلق كالعاصفة الى حيث يربض
أبو أسامة ... وانه لعل خطوات من الكهف ، وانه لينظر
الى السيف الذي كان الى هذه اللحظة في يمينه فلا
يجده !!

« أين ؟ أين سيفي ؟ ... آه ! هاها .. لقد سرقته
حيرا !! أرادت الخبيثة أن تجردني من السلاح الذي انازل
به خصمي ! خاب فأك يا حيرا !! سأنازله بغير ما سلاح
... سأحطمه .. سأشد لسانه حتى انتزعه من غلاصمه
... الى يا سبع نيميا .. الى يا ملك الغابة وسيد
وحوشها .. الساعة ساعتك .. لا مفر لك يا أبا
لبدة ! ... »

وظفق هرقل يرعد كالمجنون ، وكان سبع نيميا نائما
فاستيقظ على هذه الصيحات المدويات ، ووثب وثبة
هائلة كان بها أمام هرقل ، وجها لوجه ..
وبدأت الزوبعة ...

والتقى الجبل بالجبل ، وتصارع الجباران ساعة ،
لا هذا ينال من ذاك ، ولا ذاك يصل الى وطر من هذا ..
وأقبلت وحوش الغابة تشهد المعركة وتتعجب ...
وغضب أبو أسامة ، وهاله ألا يقوى على رجل بمفرده
يكاد يصرعه ...

وتعب هرقل .. ونال منه الجهد ، ورأى أن لابد من
آلة ، فدار دورة اقترب بها من شجرة باسقة ، فانتزعها
والقى بجذعها في شـدقى الاسد ، ثم أسرع فقبض على
لسانه العظيم فانتزعه ، وانقذف الدم يتدفق من هنا
وهناك ... وتسيل به أودية الارض !!

وكان نشوة الظفر قد ضاعفت قوة هرقل ، فقبض
على فكى الاسد ، وشد على الرأس الكبير فتحطمت عظام
المخ ، وخر ملك الغابة يتقلب في لجة من دمه الغزير !
وهممت الوحوش مشدوهة !

لقد قتل ملكها ... فلا خوف عليها بعد اليوم ! ستكون
حرة طليقة ، تجيء وتروح ، وتقتات لنفسها غير منتظرة
ما كان ينبذه لها أبو أسامة !!

ونظر هرقل ، فرأى سيفه وراء ظهره !!

لقد جاءت به حيرا بعد اذ شهدت من جبروت البطل
ما بهرها وتناول السيف باسمها ، ثم تقدم الى الاسد
فسلخ جلده الكبير ، وأبقى على اللبدة الهائلة ، وعاد
أدراجه الى يوريندوس ، ملتفعا دثاره الغريب الذي كان
الى لحظة قريبة يضم جثمان ملك الغابة وسيد وحوشها

٢ - مع الافعوان الهائل « هيدرا »

ولقى صديقه يولوس ، وتحدث عما كان من أمره مع سبع
نيميا ، فأخذه العجب ، ونذر ليصحب هرقل في جميع
مجازفاته . ثم فصلا ، وما كادا يفعلان حتى قابلهما رسول
الملك برسالة تأمر هرقل بالتوجه الى مستنقعات ليرناحيث
الافعوان الارقم هيدرا : « ... فاذا لقيته ثمة فعليك
به ، ولا تعودن الا برأسه . فقد حدثنا من عرفه أنه لا يبقى
على دابة ولا بهيمة ، ولا يعفى من القتل أحدا ... ونحن

أرئق برعاياتنا من أن ندعمهم فرائس لهذا الأنعوان ... »
وانطلقا ، حتى إذا كانا عند المستنقعات المترامية ،
شهد هرقل حيوانا ضخما الجثة فظيع المنظر ، يتقلب
فرق صفحة الماء المغطاة بزهرات ، ألوتس وأوراقه العريضة
النامية . وايقن أنه هيدرا ، فتناول قوسه الكبيرة ،
وأرسل إلى الوحش سهمها يهيج به ، ليخرج من الماء ،
ولياخذ معه في نزال وقتال ...

وتم له ما أراد . وخرج هيدرا الفظيع يقلب رؤوسه
السبعة . ويقلب في كل فم لسانا طوله ذراعان ، وبرزت
أنيابه تنفث سمها الزعاف ، وأرسلت العيون الصغيرة
البراقة شررها ، وشرع الفحيح المرعب يصم أذنى هرقل
وأذنى صاحبه

وبدأت المعركة ...

وامتشق هرقل سيفه الكبير المرفف ، وبضربة قاضية
أطاح رأسا من الرؤوس السبعة ...
ولكن ... ياللعجب !! لقد نبتت في لحظات قليلة ،
في مكان الرأس المقطوع ، رؤوس سبعة أخرى ، أخذت
تنمو بسرعة فائقة ، حتى أوشكت أن تساوي الرؤوس
الكبيرة في حجمها ...

وربع هرقل ، وهتف بصاحبه يواوس قائلا : « أوقد
النار يا صاح ، وأجج هذا الجذع فاكو به كل رأس يطيح
... اننى أخشى أن ينبت لهيدرا ألف رأس ! »

ونفخ في أنفاس وأجج الجذع ، وأخذ كلماطاح رأس
كوى مكانه بالنار ثم بدا له أن يدع السيف ، ويقضى على
الأنعوان العجيب بجذع الشجرة الذى كان يكوى به يولوس
وحدث ما لم يكن فى الحسبان ... لقد أرسلت جيرا
سرطانا بحريا يعض قدمى هرقل وهو يحارب هيدرا .

تود بذلك لو تشغله فيستطيع الأفعوان الظفر بخصمهما
العنيد ... ولكن هرقل تنبه للسرطان فوطئه ، وسحق
عظامه سحقا

وانتصر هرقل

وظفق يغمس سهامه فى دم الأفعوان ليسسمها ، حتى
إذا أصابت رمية لا تغلتها من الموت . وعاد إلى يوريندوس
ثملا بخمرة النصر

٣ - ظبى سيرينيا

وأسقط فى يد يوريندوس حين رأى هرقل يختال فى برودة
السبع ويتيه ، وفى قبضته القوية رؤوس هيدرا هامة
خامدة ..

وكان فى مقاطعة سيرينيا ظبى له قرنان من ذهب ،
وايطلان من نحاس ، وساقان من معدن ليس له فيما
نعرف من المعادن من ضريب . وكان الملوك إذا أرادوا
اعجاز أحد من الناس ليقتلوه ، كلفوه باقتفاء ظبى سيرينيا
وامساكه ، فان لم يفعل ، وأن يستطيع أحد أن يفعل ،
لشدة عدو هذا الظبى ، كان جزاؤه القتل . وقد أراد
ملك أرجوس أن يعجز هرقل هذه المرة ، فأمره باقتفاء
ظبى سيرينيا : « ... فان لم تعد إلينا به فأنت أعلم بما
ينتظرك من الموت الزؤام »

ولم استطع هرقل أن يمسك الظبى ، لأنه كان يعدو
كروبة ، فما تكاد حوافره تلمس الأرض الا كما تلمس
السما كف سكران ، فلجأ إلى الحيلة ، واحتفر فى طريق
الحيوان حفرة عميقة غطاها بوشائح رقيقة من الثلج .
وطارد الظبى حتى الجأ إلى الحفرة ، ووقع فيها ، فنزل
إليه واحتمله ، ومضى به إلى الملك الغاشم

٤ - خنزير أرمنشيا

ثم أمره بقتل خنزير برى مخرب ، كان يأوى الى غابات أرمنشيا ، ويقطع الطريق على القبائل الرحل ، ويقتل كل من تحدثه نفسه بمحاربته أو الوقوف معه في ميدان . وكان ذلك الخنزير لا يبالي شئيا في الارض أو في السماء ، وكانت بينه وبين قبائل السنتور مودة في الشر ، وتحالف على ايداء الناس . فلما اشتبك هرقل واياه في نزال تشيب من هوثة الولدان ، وشعر الخنزير أنه مقضى عليه لا محالة ، خار خوارا عاليا يستنجد حلفاءه السنتور ، ولكنهم لم يصلوا الى مكان المعركة الا بعد أن أجهز هرقل على خنزيرهم العزيز ، فنشب قتال مروع بينهما ، وأخذ هرقل البطل يسدد سهامه التي كان قد غمسها في دم هيدرا ، الى صدور أعدائه حتى كادوا يسيدون جميعا . وأقبل شيرون - وهو كما علمنا مؤدب هرقل وأستاذه - ليحسم النزاع بين قبيله وبين تلميذه ، ولكن وا أسفاه ! لقد أصماه هرقل بسهم مسموم فأرداه وهو لا يعرفه ! فلما أدرك أنه أستاذه ، أقبل عليه ، وعنى به ، وجمع من الاعشاب الطبية ما حسب أنه ينقذ أستاذه من براثن الموت ، ولكن بلا جدوى ! ومات شيرون ، وأهوى عليه هرقل يقبله ، وفي عينيه دموع المحبة والاعزاز

وتعاون هرقل ومن بقى من السنتور فدفنوا القتلى ، ثم أقاموا قبرا مشيدا دفنوا في ثراه شيرون ، ومضى كل لطيفته ..

٥ - زرائب أوجياس ملك اليس

كان الملك أوجياس ، ملك اليس ، يقتنى عددا عظيما

من الماشية والخيول والغنم ، تزدحم في زرائب متجاورة مع آلاف من الخنازير مؤلفة . وكانت النظافة في هذه الزرائب مهمة أهلا تاما ، حتى كانت الروائح الخبيثة تنتشر منها فتصدم أنف عابر السبيل على فرسخ أو فرسخين ، وأنثن الروث فأحدث طاعونا مروعا أوشك أن يأتي على جميع الاهلين ، وقرر الاطباء ان لاسبيل الى مقاومته الا اذا عنى بتنظيف زرائب الملك .. وعلم يوريندوس بما شغل بال صديقه ملك اليس ، فابتسم ابتسامة صفراء ، وقال لهرقل وهو يحدثه حديث السنتور : « اذن فعليك أن تتوجه الى صديقي أوجياس ، ملك اليس ، فتتنظف زرائبها مما بها من خبث ، وتكون بذلك قد أدبت خمسا من المسائل الاثنتى عشرة ، التي كتبتها عليك الالهة »

وامتعض هرقل في أعماقه ، وعبس عبوسة كادت تنفجر بالسخط على هذا الملك القبي ، ولكنه ذكر نصيحة أريتيه ، فصنع بالامر ، وذهب من فوره الى اليس ، ليرى كيف ينظف زرائب الملك ..

وثمة ، رأى مجرى عظيما من الماء ، يتدفق من الجبل الشاهق الى يمين الزرائب ، وينحدر انحدارا شديدا حتى ينتهى الى البحر ، فبدا له أن يغير مجرى الماء ، بحيث ينصب في الزرائب نفسها ، فيكتسح الروث ، وينجوا الناس من هذا الرهق الشديد

وأنقذ هرقل مدينة الملك وثروته وحياة الاهلين ! وحاول ملك اليس أن يستبقيه ليجزيه ، ولكن هرقل أبى شاكرا ، وقصد الى يوريندوس يتلقى أوامره

٦ - عجل مينوس

وكان نبتيون اله البحار قد أهدي عجلا جسدا

لصديقه مينوس ملك كريد ، كى يقدمه قربانا للالهة فى العيد الاكبر الذى يحتفل فيه بميلاد نبتيون ، ولكن العجل راق مينوس الملك فانتقى من عجوله أحسنها وضحى به مكان هذا العجل الالهى السمين ، واستبقى لنفسه هدية الاله

وغضب نبتيون ، وأقسم ليكونن هذا العجل نقمة على مينوس وملئه ، فسخر عليه طائفا من الجنون ، فطفق العجل يخرب ويدمر ، ويقتل الناس تقتيلا ..

وعلم يوريدوس بما كان من مصيبة صديقه ملك كريد فى عجله ، فلما قدم هرقل أرسله ليقتل العجل أو على الأقل ليقيده فيرتفع عن الناس أذاه ..

وأبحر هرقل ، ولقيه مينوس فرحا متهللا ، وذهب من فوره لينازل العجل ، فكانت معمة ، وكانت حربا عوان ..

لقد كان هرقل يحمل العجل فيرفعه ، فيخبط به الأرض فتندك ، ومع ذاك ما استطاع أن يقتله ! وأخيرا اكتفى بأن صفده بسلاسل وأغلال وعاد أدراجه الى أرجوس ، وودعته كريد كلها

٧ - خيول ديوميديز

وكان الملك ديوميديز ، ملك تراقية ، يقتنى مجموعة طيبة من خيول السباق التى لايشق لها غبار ، ولا تباريها خيول فى مضمار ، ولكنها لم تكن كهذه الخيول التى يقتنيها الناس ، بل كانت بالوحوش أشبه ، والى السباع أقرب لأنها لم تكن تذوق الحشيش ولا تسيف النباتات ، بل بالعكس ، كانت لا تأكل الا اللحم تنهشه نهشا ..

وكانت تأبى لحم الحيوان والبهائم ، وتستطيب لحم الانسان وتلذه ، ولم يكن الملك القاسى يبخل عليها به . ولكى يوفر لها الغذاء الغريب ، أصدر أمره بالقبض على كل أجنبى تطأ قدماه أرض البلاد بدون إذن من الملك ! فلما نمت الخبر الى يوريدوس ، أرسل هرقل لمعاقبة ديوميديز ولتخليص الناس منه ومن خيوله

وشد هرقل رحله الى أرض تراقية ، ودخلها غير مستأذن لا مستأنس ، فلما سأله ديوميديز فى ذلك ، انقض عليه كأنه الحتف ، واقتلعه من عرشه كأنه نبتة ومضى به الى خيوله فألقاه اليها ...

وانقضت الخيول على الملك فمزقته تمزيقا ، واغتذت بلحمه الملكى الفاخر ! وطرب الشعب لتخلصه من حاكمه الظالم ، ونشر الورد والريحان تحت قدمى هرقل ، ومضى البطل فألجم الخيول كلها ، وساقها هدية غير مبرورة الى يوريدوس !!

٨ - منطقة هيبوليت مليكة الأمازون

وكانت ليوريدوس ابنة ذات كبرياء وذات خيلاء مشغوفة باقتناء الحلى والجواهر النادرة ، تضحى فى سبيلها بسلام المملكة وأرواح البرايا ، اذا اقتضت الحال حربا من اجل ياقوتة أو زبرجدة !

وكان أبوها الافين يلبى رغباتها ولا يكاد يرفض لها أمرا ، فلما وصفت لها منطقة هيبوليت ، مليكة الأمازون وما رجعت به من اللآلىء ، وثار فى نفسها فضول الذهب ، وألم بها مرض الحصول عليه ، فانطأقت الى ايها تبكى ، وتشكو العطل وقلة الحيلة ، ولو أن خزائنها

كانت تحوى نصف ثروة المملكة

وسألها أبوها ما بكاؤها ؟ فتاهت قليلا ودلت ، ثم ذكرت منطقة هيبوليت !!

وربت الملك على كتفى ابنته ، ودعا اليه هرقل ، وامره بالذهاب الى الامازون والحصول على منطقة الملكة ، ولو أدى دمه ثمنا لها !

أما الامازون ، فقبيل عظيم من النساء المحاربات ، يحيين حياة عسكرية حافلة بضروب من الشجاعة تحير الالباب وتذهل العقول . فمنهن فريق يعمل فى الحصون ويسهر على قلاع المملكة ، وفريق للفرز ومناوشة الاعداء ، وثالث يقوم بمهمة الشرط والعسس ، ورابع للعمل فى الاسطول الذى يلقي الرعب فى الشواطىء

ولا يعيش بين شعب الامازون أحد من الرجال ، فاذا جازف رجل وانسرق بينهن ، ترصده الموت فى كل مكان !

وكانت مملكتهم فى جزيرة نائية قاصية ، ذهب هرقل فى البحث عنها كل مذهب ، واستعان بأقربائه من الآلهة ليرشدوه اليها

ونصح له أحدهم أن يدع هذه الرحلة القاسية الى مملكة الامازون ، ولكنه أبى ، لان مجازفاته التى يتعرض بها للهلاك ، ان هى الا ثمن الحرية التى ينشدها ويحلم دائما بها !..

ووصل هرقل الى المملكة ، وتحايل حتى مثل بين يدى الملكة ، فلقيته بما هو أهله من التجلة والاكرام ، كابن آله عظيم . . . وأبدى رغبته فى الحصول على المنطقة الغالية التى تزين وسط الملكة ، وتحلى خصرها ، ليقدمها ثمنا لحرية الضائعة ، للفتاة المزهوة (أدميت) بنت ملك أرجوس . . .

وتبسمت الملكة ، ووعدته أن تخلصها عليه ، ليصنع بعد ذلك ما يشاء ، ثم تفضلت فدعته الى حفلة راقصة ، وعشاء فاخر . . .

وهنا تبرز حيرا لتمثل دورها !؟ . . .
لقد هالها هذا النجاح المظرد الذى يظفر به خصمها فى كل مكان ، فتحولت الى أمازونة جميلة ، واندست بين رعايا الملكة ، وألقت فى روعهن أن هرقل هو ألد أعدائهن ، وأنه انما أقبل ليسبى الملكة ، ليفر بها الى ملك أرجوس ، وأنه اتخذ المنطقة تعة لذلك جميعا ، فشارت ثائرة الامازون ، وتجمهرن حول الملكة ، وصارحنها بما قالت لهن حيرا . فأمرتهن بالحرب . ولكن هرقل ، البطل الاعزل ، انقض كالمنية على الامازون ففرق شملهن ، وأظفرتة شجاعته بهن ، ثم هجم على الملكة فاخطف منطقتها ، ونظر فرأى حيرا تشهد المعركة فوق رابية قريبة ، فأشار اليها قائلا : « وهنا أيضا أنتصر عليك ، وسأنتصر عليك دائما »

٩ - طيور بحيرة ستيمفالوس

وطرقت ابنة الملك لمنطقة هيبوليت ، أيمما طرب ، وكبرت فى نفسها منزلة هرقل ، فاستوصت به أباه خيرا . . .

واستجاب يوريدوس لشفاعاة ابنته فى هرقل ، فلم يكلفه هذه المرة شططا ، بل اكتفى بأن أمره بالتوجه الى بحيرة ستيمفالوس ليبيد طيورها ذوات المخالب النحاسية التى تدوم فوق الماء الأسن وتغطس فيه تصيد السمك ، ثم تذهب فتأكله قريبا من القرى ، فتنتشر بذلك الامراض والطواعين ، ولم يكن أيسر على هرقل من أن يبيد هذه الجوارح ومعه قوسه المرنان ،

وفي كنانته سهامه التي رويت من دم هيدرا

١٠ - قطعان الجريونز

وكان يأوى الى سفوح الجبال في مقاطعة أريشيا ماردا
مخوف مرهوب الجانب يدعى جريونز . وكانت له
قطعان كبيرة من الماشية والغنم ، عرفت في سائر هيلاس
بجودة ألبانها ونعومة أوبارها ، حتى لكان يضرب بها
المثل كلما فاخر الرعاة بقطعانهم

وطمع يوريندوس في نعم جريونز وشائه (١) فأمر
هرقل أن ينصرف الى أريشيا فلا يعود الا بها

واغذ هرقل السير ، وألقى المارد ممدا في كهفه
السحيق يغط في نوم عميق ، فانقض عليه كأنه الشهاب
الراصد ، وقبض بيديه الحديديتين على عنقه الفليظ
فلم يفلته الا جثة لا نامة فيها ولا نفس ! وساق القطعان ،
وتولى الى ملك أرجوس بالثروة الطائلة ، والوفرا الكثير
وأرعى الليل سدوله ، ولما يبلغ هرقل نصف الطريق ،
فأناخ في منحدر معشوشب ، ولعبت سنة من النوم
بعينه ففقا ، وأسكرته نسمات الربيع فاستسلم لآلامه
الخمرية الحلوة

وكان يأوى الى هذا الجبل ، جبل آفتنين ، ماردا لص
قطاع طريق ، يدعى كاكوس ، وجد هرقل غارقا في
سبات ناعم ، فذهب بنصف القطيع أو يزيد . .

واستيقظ البطل على رغاء يتجاوب في حدود الأفق ،
فلما تفقد قطعانه انطلق في أثر اللص حتى لحق به ،
وحطمه تحطيمًا !

وقبيل شروق الشمس ، كانت مدينة أرجوس كلها

(١) النعم : الماشية ، والشاه : الغنم

عند الابواب تستقبل الرزق والغنم ، وتهتف باسم
البطل الحلال الذي بهرها بشجاعته ، وطلب البابها
بما أبدى ، وما ينفك يبدى ، من ضروب القسوة
والاستبسال . .

وأحسن يوريندوس بما انطوت عليه قلوب الاهالى من
المحبة والافتنان بهرقل ، فسخط وحنق ، وبیت الشر
المستطير . .

١١ - تفاحات هسبريا الذهبية

وأدركت حيرا ما ينقم الملك من هرقل ، فوسوست
اليه أن يأمره بالحصول على تفاحات هسبريا الذهبية ،
وهيات هيات ان يستطيع أحد الحصول عليها !

ولقد أهديت هذه التفاحات الى حيرا ، ليلة زفافها
الى زيوس ، رب الارباب ، فيما أهدى اليها من تقدمات
وتحف ، أهدتها اليها « جي » ربة الارض ، فكانت أثمن
الهدايا جميعا وأغلاها . لأنها فضلا عن أنها من الذهب
الخالص ، فقد رصعت بأندر اللآلئ ، وزينت بصور
الآلهة ، ونقشت فيها حداثق الاولب ، ثم هي تستقل
بميزة ندر أن تكون لخلية مهما غلت : ذلك أنها اذا غابت
الشمس ، وأقبل الليل بظلامه ، شعت أضواء ، ولألاء قل
أن تصدر الا عن كوكب دري ، أو شمس وضاءة ، فتنتشع
الغياهب وتنجلي الدياجير !

وحسبك ان تعلم أن حيرا نفسها لم تأمن آلهة الاولب
وحراسها الفلاظ على هذه القنية النادرة ، فأرسلت
بها الى الهسبريد ، بنات هسبروس اله القرب العظيم ،
ليحرسنها . ولتكون عندهن في مأمن من كل سارق
بليل ، أو سارق في نهار ، وقد عرف الهسبريد لهذه

التفاحات قيمتها ، فعلقنها في دوحة باسقة في قصرهن
المنيف ، وأقمن على حراستها التنين الهائل لادون الهولة ،
الذى قيل فى وصفه ان له سبعين ألف رأس ، فى كل رأس
سبعون ألف عين ، وسبعون ألف ناب يتدفق السـم
منها جميعا ، ثم انه يبلغ ألف ذراع طولا وخمسين سمكا ،
وان له لظافر كأن كل واحد منها جراز هرمز ، وان له
لفحيجا تضيق فيه زمزمة الجن ، ومكاء الشياطين
وانقلب هرقل على وجهه فى الارض حيران !

اين هى تفاحات هسبريا هذه ؟
« أفى الارض أم فى السماء ؟ لامض ! قرب اله دلى
اليها ... »

وشرق وغرب ، وذرع الارض من اقصىها الى
اقصىها ، وانسرق الى الكهوف والغيان ، وأوغل فى
الجبـال ، تحدر فى القيعان ، ومـر بكل حنية ، ووقف
عند كل عين ، حتى كان لدى نهر اريدانوس ، ووقف
بشاطئه يتناجى ، فخرجت من الماء النـمير عرائسه ،
ورحن يسرين عن هذا الـلاجى الحزين ..

وانه ليسألهن عن تفاحات هسبريا ، فيبتسمن له
ويتلفظن معه ، ثم ينصحن له أن ينطلق الى نريوس اله
البحر ، عسى ان يهديه الى ما يريد . ويهيم فى الارض
محاذيا سيف البحر ، وحتى يكون آخر الامر أمام شيخ
هرم ، وخط الشيب رأسه ، وتدلّى شعر أحيته الكـث
فوق صدره العريض ذى النتوء ، وبرزت أهدابه حتى
لكادت تحجب عينيـن تزدهم فيهما السنون ، وتطل من
حدقتيهما الاحداث !

وجده جالسا القرفصاء مقلبا ناظريه فى مملكة الماء
التى تتصل باللانهاية ، فألقى عليه تحية هينة ، رد عليها
الشيخ بهذه العبارة :

« ايها الفتى لماذا قطعت على تأملاتى ؟ ! »

« فقال هرقل : أستحلفك بسيد الارباب يا أبتاه الا
ما أخبرتنى عن حدائق الهسبريد ، فتكون لك على يد
أذكيرها لك أبد الدهر وأشكرها ! »

وتجهم نريوس وقال : « حدائق الهسبريد ! أوه ! ..
أنت هرقل اذن ! »

فبهت هرقل وأجاب : « أى وحقك انا هو ، فمن
ذكرنى عندك ؟ ! »

« ليس هذا من شأنك يا بنى ، ولكن لعلك تبتغى
تفاحاتها الذهبية ؟ »

— « أى وزيوس يا أبتاه ! »

— « بشراك اذن ! قلن يحصل عليها الا انت ، ولكنك
لست انت الذى ستنفذ الى حدائق الهسبريد ! اذهب
اذن فالتمس المسكين برومثيوس مكبلا فوق جبال القوقاز ،
فأحسن اليه وسله حاجتك ، فهو وحده الذى يستطيع
ارشادك الى ما تريد ... »

وشكره هرقل ، وحياه ، وأطلق ساقيه يطوى الفيافي
الى القوقاز . وهناك وجد برومثيوس والرخ ينوشه ،
بحيث يمزق كبده ويهرأه ، ويتغذى به ، فوتر قوسه ،
وسدد الى الطير سهما فأصماه ، وخلص الى الاله البائس
فأزال أصفاده ، وما زال به حتى أقبل الليل والتأمت
جراحه ، ثم تحدث اليه عن حدائق الهسبريد وتفاحاتها
الذهبية ، فحدجه برومثيوس بنظرة فاحصة ، وقال
له : « لكأنك هرقل اذن ؟ »

— « أجل أنا هرقل يا أبتاه ! »

— « وأنت عدو حيرا يا بنى ؟ »

— « عدوها المبين يا أبتاه ! »

— « مسكين ! »

ولم يلبث الفتى أن انهمرت عبراته ، وطار لونه ،
وهاجت في فؤاده البلبال والاشجان ، ثم اتصل الحديث ،
وقال برومثيوس :

- « انطلق يا بني الى أخى أطلس ، هناك ... هناك في
افريقية المظلمة شمالا بغرب ، تجده على قنة جبل السماء على
منكبيه ، ويتشح بوشاح من اللازورد يرفرف بين المشرق
والمغرب . فأقرئه سلامي ، وزف اليه بشرى خلاص
مما أوقع زيوس بي ، ثم حدثه بحاجتك يقضيها لك ،
فهو وحده يعرف أين حدائق الهسبريد ، وهو وحده
يستطيع أن ينفذ إليها ، وهو وحده يستطيع قتل لادون
التنين الهائل الذي يحرس تفاحات هسبريا الذهبية ،
فاذا أتاك بها ، فاحذر أن يأخذك بشيء من مكره ، فاني
قد علمت أنه بدأ يتململ من حملة الثقيل ، ويود لو
ينجيه منه أحد ، ولو انتشرت الكواكب ، وانتقض نظام
الكون ! »

١٢ - هرقل يصارع أنتيوس

وفي طريقه الى أطلس ، لقي من الأهوال والخطوب ما تفتأ
تحدث به الأيام الى زماننا هذا ، فمن ذلك أنه مر بقوم
من الأقزام ضئال الأجسام قصارها ، كانوا يؤجرون ماردا
عظيم الجسم ، مفتول العضل : ليحميهم من جيرانهم
الأعزاء الأقوياء ، وليدفع عنهم غائلة الغربان النحاسية
التي كانت تتلف أعنانهم وتبيد زروعهم كلما تم نضجها
في كل عام . وكان ذلك المارد « أنتيوس » ذا حول وذات طول
حتى لكان يخشاه الوحش ، ويتخوفه الجن ، وترجف من
صولته أفعوانات البحار ، فلما شهد هرقل يخب في أفق
البلاذ كأنه جبل يتدهدى ، أخذ أهفته لمساقلته ، ولم
تساوره ذرة من الشك في أنه منتصر عليه

فلما وصل هرقل ، حيا أحسن تحية ، ولكن أنتيوس لم
يجب ، بل انه سارع فأخذ بتلابيب البطسل عابر
السبيل !!

- « ماذا بك أيها الاخ ؟ دعني ، فليست لي عندك
حاجة ! »

- « لا ، لا نجوت ان نجوت ! لا ارى الا ان أصررك ! »

- « وله ؟ ! »

- « هذا ما لا أعرف ، ولكن لابد من أن أصررك على أية
حال ! » ..

وتصارع الخصمان ، وأقبلت الأقزام ترى الى هذين
الجبلين يأخذ أحدهما بخناق الآخر فيلبيه تلبيبا !

وكان أنتيوس كلما خانتته قواه ، وأيقن أن هرقل لابد
صارعه ، وقف قليلا على أديم الأرض يستمد منها قوة ،
ويستلهم الحول من أمه (جي) ..

فهو ابن (جي) اذن ، ولن يسر ربة الأرض أن يصرع ابنها
أحد ، اذن ، فلتتمده بكل ما في سرها من قوة ليصرع
هرقل !

وخارت قوى البطل ! وراح يلهث من شدة النصب ، بيد
أنه تنبه الى السر آخر الأمر ، عندما لاحظ أن أنتيوس
يزداد قوة كلما مست قدماء الأرض ، فرفعه رفعة هائلة ،
ولم يمكنه لحظة من الوقوف على قدميه ، ثم أخذ يضغط
عنقه الغليظ العبل ، حتى شهق شهقة كانت هي شهقة
الموت ... !

فألق به ... ومضى لشأنه !!

وتلقت فرأى عرائس ماء يلعبن على الشاطئ ، ويترامين
بلايا ، مما يعد لديهن من حصباء البحر ، فوقف غير بعيد
وهتف بهن :

« يا عرائس الماء الجميلات ! هل لكن أن تهدينني الى

أطلس الذي يحمل السماء ، ويمسك كواكبها ان تقع !! «
وفزع عرائس الماء وهرعن الى البحر ، ولكن فتاة
جريئة وقفت ترقص على رأس موجة وقالت : « امض أيها
الرجل حتى اذا لقيت السد الذي يفصل البحر المحيط
من مائنا هذا (وكان البحر الأبيض) ، فاذا أستطعت أن
تنفذ فانك تكون على فراسخ من أطلس ..
وشكرها هرقل ، وانطلق ..

وكان امام السد ، ولكنه كان جبلا شامخا ذا قنن وقلل
وأحياد ، فلم يستطع ان يتسلقه ، ضربه يمينه ضربة ،
وبشماله أخرى ، ففتح ثغرات كبيرة نفذ منها ، وترك
الجبل وراءه أعمدة عالية ، وما تزال تعرف الى يومنا
هذا بأعمدة هرقل !! (١)

ونظر فما هاله الا هذا الاله العظيم سامقا في الافق ،
يحمل على كتفيه العريضتين قبة السماء . والنجوم منتشرة
من حوله كأنها قطرات أمطار في يوم عاصف !

وتقدم هرقل فحيا الاله الضخم ، وحياه الاله الضخم
بأحسن مما حيا ، ثم أقرأه هذا تحية برومئوس ، وزف
اليه بشرى خلاصه من الصخرة التي ظل مكبلا فوقها
أحقابا وأحقابا !

وطرب أطلس لهذه البشري ، وافتر عن ثنايا كأنها قمم
الجبال مغطاة بالثلوج ، ثم قال :

- « ومن ينقذه من عذابه الطويل يا صاح ! »

- « أنا ، ان كان يسرك ذاك النبأ »

- « انت ؟ انت من المكرمين اذن ! مرحبا بك أيها المخلص
الامين ! لقد كدت ألقى بهذا الحمل الذي ترى لانقذ أخى ،
ولكني خفت أن يهلك العالم بمن فيه ... و ... على
ذكر أخى ، كيف هؤلاء الناس الذين خلق ؟ أبخير هم ؟ وهل

(١) بوغاز جبل طارق

يخبثون له حقا ؟ ان زيوس مفيظ منهم ، وامراته حيرا
محنقة كذلك ، أعندك من أخبار هؤلاء شيء ؟

- عندي أشياء يا ابتاه .. انا ابن زيوس من الكمين ،
وقد نقيمت حيرا على والدتي ، فأرادت أن تفجعها في ، وقد
أغرت رب الارباب بي ، فعضى أن أخدم النذل يوريندوس
سنة بتمامها أصدع له خلالها بما يأمر ، وقد أرسلني أجوب
الافاق واذرع الأرض من أجل تفاحات هسبريا الذهبية ،
وقد ذكر لي أخوك ، بعد اذ اطلقتة ، أنك وحدك تعرف
مكان حدائق الهسبريد وأنت وحدك تستطيع الحصول
على هذه التفاحات ، فهل أسعد بأن تؤدي لي هذه اليد ؟
لقد كادت حيرا كيدها هذا ، وان لم تنصرنى أغدو من
الهالكين !

وشاعت الخيلاء في أعطاف أطلس ، وسرت حميا الزهو
في ظهره الشاسع ، فقال : « أجل يا صاح ، لن يستطيع قتل
لا دون غري ، ولن يدخل حدائق الهسبريد سواي ، ولكن
كيف أترك حملي هذا لأتيك بالتفاحات ؟ »

ونظر هرقل الى القبة الهائلة نظرة تفيض كبرياء وقال :
« أنا احمل عنك هذه القبة يا ابتاه ، حتى تعود
بانتفاحات !! »

وما كاد يتم كلمته ، حتى تقدم فركز كتفيه تحت
السماء ، وانطلق أطلس لأول مرة منذ أحقاب وأدهار يمتع
نفسه بمشية حرة طليقة في حدائق الأرض الفناء !!

وغبرت أيام ..

ثم ذكر تفاحات هسبريا ، فذهب الى حدائق الهسبريد ،
واقترح الاسوار ، وانقض على التنين لادون فزلزلت
الأرض تحتها ، ولم يدعه يفلت ، برغم مرونته في الوثب
وسرعته في الالتفاف ، حتى خر صريعا

ومد يده الى الايكة الزاهية في السماء فتناول التفاحات
المتلألئة الوضاءة ، وعاد يزهى ويختال الى حيث هرقل
المجهود المتعب

وما كاد أطلس يلمح الحمل الثقيل الذى يؤود هرقل
حتى ذكر الادهار السحيقة التى لبث يتململ طوالها تحت
عبئه ، فارتعدت فرائضه لمجرد فكرة العود الى حمـله
الشاق .. وبدا له أن يدع هرقل ويمضى ، ولكن هرقل
المتعب فطن الى ما وقر في قلب أطلس ، فناداه : أبتـاه !
لعمري أن حملك لأخف من الهواء ، ولعمري اننى لأستطيع
أن أثبت له الى نهاية الابد !
وبهت أطلس وقال :

— « اذن لتمض فى حملك ما دام يسرك ! »

فأجاب هرقل : « ليس أيسر من هذا ! ولكن هل
تسمح فتحمل مكانى برهة حتى أضع حوبة فوق كتفى ،
فانى أشعر بنتوء أديم السماء !! »

وقبل أطلس المففل ، فنثر التفاحات من يده على الكلا
الاخضر وتقدم فحل محل هرقل !!

والتقط صاحبنا التفاحات ، وانطلق لا يلوى على شئ !!
وبعد رحلة طويلة مضنية : دخل على يوريندوس
بالقنية الغالية التى خلبت لب فتاته أدميت ، فخرت
مفشيا عليها حين وقع بصرها عليها ..

١٣ - رحلة هرقل الى الدار الآخرة

لم تكن محفوفة بالمكاره هذه الرحلة الى الدار الآخرة،
فقد سلك هرقل سبلا من قبل ، كان الموت يجثم فى كل
خطوة فوقها ، وكانت المنايا تتربص فيها ، ثم تفر منه

آخر الامر ، كأنما هو موت للموت ، ومنية للمنية وفناء
للفناء ..

أسقط فى يد حيرا حين عاد هرقل بتفاحات هسبريا ،
واستولى عليها الجزع حين رأت التنين لادون مضرجا
بدمه ، فوسوست فى صدر يوريندوس أن يأمر البطـل
فيحضر له سيربيروس من الدار الآخرة !!

وسيربيروس هو ذلك الكلب الهائل ذو الرؤوس الثلاثة،
الذى رأيناه يعدو فى أثر بلوتو - اله الموتى - حينما زار
الدار الاولى ليخطف برسفونيه ، وهو أبدا يربض عند
قدم سيده الجالس فوق عرش هيدز ، يقلب فى غيب
السفل أعينه الست ، كأنها أنجم تحترق فى فحمة ليل
يهيم ، وهو أيضا أداة تعذيب فى دار الابدية ، ينشـب
أظفاره فى أرواح المجرمين ، ولا يفتأ يكرع من دمائهم حتى
يروى !

وكانت الحرية تشيع بالامال فى قلب هرقل ، وكان هو
قد برم بهذا الرق الاسود الذى كتبه عليه السماء ،
فانطلق يعدو الى دار الموتى ، وبين يديه طائفة من الالهة
تهديه وترشده ، حتى اذا كان قاب قوسين من السيدة
القائمة الدجوجية ، ووجد سيربيروس مقعيا يغط فى نوم
عميق ، واله الموتى مستلقيا يقلب فى حضنه القسوى
برسفونيه الجميلة ، انقض على الكلب فخنقه حتى
لا يعوى فتعاويه كلاب الجحيم كلها وتكون هنالك الطامة!
... وانفتل من دار الظلمات وفى نفسه من الرحمة لهذه
الأرواح الهائمة ما أسال دموع الحنان من عينيه الحزينتين
وانخلع قلب يوريندوس حين لمح الكلب الهائل !

لقد كانت الظلماء تتدجى فى اشدائه فتكسف الشمس
الوضاءة ، وترد نور النهار المتلألئ ديجورا يلج فى
ديجور !!

وكان الزبد ينتثر من افواهه كأنه ندف يساقط من عل
في ليل عاصف !

وكان ذيله الطويل الضخم يتأوى وينثنى كأنه ذنب
هيدرا أو ذيل لادون !

وكان يعوى وينبح فيقلقل الجبال المجاورة ، ويزلزل
قصور أرجوس !

وانظر الى الملك الجبان !

لقد قفز من عرشه مما ألم به من الهلع ، وانطلق الى
مخزن الغلال المجاور فاخترأ في خابية عظيمة أغلقها على
نفسه حتى كاد يختنق ، وآلى ألا يخرج حتى يعود هرقل
بسيربيروس الى هيدز !

وهكذا أصبح هرقل حرا ، وألقيت عن كاهله هذه
الربقة التي أذلته طويلا ، وتلفت حوالبه فوجد الحياة
تتبرج كأنها غانية ، ووجد كل شيء بساما ضاحكا يدعو
الى اللهو والمرح ، والاخذ بنصيب مما تفيض به هذه
العاجلة من مباحج ومغريات

وذهب في رهط من اصدقائه والمعجبين به من الآلهة
الى الاولمب ، ليلقى أباه ويقدم له طاعته ، وليرى هل
يتوب عليه من غضب لا يستحق منه كثيرا ولا قليلا ..

ولقيه أرباب الاولمب هاشين باشين ، وأخذوا يتندرون
بمجازفاته العجيبة التي انتصر فيها على سبع نيميا
والافعوان هيدرا ومحاربات الامازون ..

أغرقوا في الضحك عندما ذكر أطلس وما كان من أمر
الحوية ..

واقترح هرمن على الآلهة أن يصارعوا هرقل ويلاكموه ،
ويباروه في العدو والسباحة وألعاب القوى ، لتتم بذلك

بهجة لقائه ، وليعبروا عما يكونه له من حب ، ويضمرون
من اعجاب . فأقيم ملعب الاولمب الفخم ، وشيدت
على جوانبه المدرجات التي تتسع لآلاف مشاهد
من الآلهة وأنصاف الآلهة وكبار المدعويين من عبـاد
برومثيوس (١)

وتم مهرجان الألعاب ، وحاز هرقل قصب السبق في
أكثر المباريات ، وكان هذا هو الاولبياد (٢) الاول الذي
أخذ اليونانيون يحتفلون بمثله كل خمس سنوات
وتتابع السنون ..

ومر هرقل بقوم يكون ، وقيل لسه ان أدميتوس (٣)
ملك تساليا مرض ، فتمنى على الآلهة ان تمنحه الخلود
في هذه الدار الدنيا ، فأجيب الى ما تمنى ، بشرط ان يحل
محله أحد أهل بيته اذا حضره الموت ، وهنا تقدمت زوجته
المخلصة أليستيس فضحت بنفسها كي ينجو بعلمها من
الموت ، وليخلد ما شاء له الخلود . وماتت الزوجة الوفية
فداء للملك .. وينظر أدميتوس الى ملكه الشاسع فيراه
بغیضا لا خير فيه ، ويكون في حاشيته فيشعر بوحشة
وانقباض كأنه يعيش في صحراء ، ويقدم اليه الطعام فلا
يكاد يسيفه ، وترقص القيان بين يديه فيثرن في نفسه
الاشمئزاز كأنهن جنة تدمدم في ظلام غابة ..

ويبغض الدنيا ...

ويود لو كانت زوجته الجميلة المخلصة الى جانبه لحظة
واحدة ، وتتلاشى بعدها الحياة بكل من فيها ..!

(١) هو خالق البشر فيما تزعم الميثولوجية

(٢) الاولبياد وهو دورة الألعاب الاولمبية

(٣) أسطورة أدميتوس وزوجته أليستيس وطرد أبوللو من السماء
هي من أبرع الاساطير الاغريقية

ونعيم بال . ولكن الآلهة لم تقر بهذه السعادة فأرسلت
بطلها لمأرب أخرى

١٥ - زواج هرقل

وطوف هرقل في اقصى الارض حتى انتهى الى كاليدون
مملكة أونوريوس ، ولقى ابنته الناهد الهيفاء تجمع الزهور
في خميلة غناء . وكان قلبه قد نهل من خمرة الحب ،
وكانت عيناه قد ثقفتا نظرات الفزل ، وكان لسانه قد
انحلت عقده عن وحى الهوى ، فانطلق يلعب الفتاة
ويدأبها ، وينمق لها من الورود والرياحين باقات تتكلم
بالشذى ، وتهتف بالخضرة والحمرة ، وتصافح الروح
بالعبر الفياح

وأنست ابنة الملك بهرقل واطمأنت اليه ، وبشها وبشته ،
وتشاكيا ما شاء لهما الغرام الروى ، والحب الفتى ،
والدمع المسكوب !

وعلم منها أن أخيلوس ، أحد آلهة الانهار ، قد خطبها
الى والدها وأن الملك قد أجابه الى ما أراد :

« فهل أسعد بأن تزيج هذا الكابوس عن قلبى ، »
« وتقف حائلا بينى وبين الشقاء الذى يتربص بى ، »
« فنكون أهنا زوجين ينعمان بلذة الحب ، ويرفلان »
« فى برد السعادة ، ويتغنيان مع الطير »
« الحسان الهوى والحياة » (١)
هكذا بكت ديانيرا الى هرقل ، فهاجت فى قلبه نخوة
البطولة ونحيزة المفامرة ، وأطلقت فى كل عضلة من جسمه
المكتنز كهرباء الحماسة والاستبسال :

(١) هذه السطور من سوفوكليس فى مأساته الخالدة « عذارى
تراقية »

لذلك يبكى الملك ، ويبكى حوله شعبه الامين !

ويذكر هرقل انه وحده يستطيع ان ينفذ الى هيدز -
دار الموتى - فيستنقذ الستيس من براثن الفناء ،
ويردها معززة مكرمة الى زوجها المسكين فيهدأ قلبه ،
ويرقأ دمه ، وتستقر نفسه ، ويفى الى أمر هذا الشعب
الذى تكبكب حوله يعول وينتحب ..

ونفذ البطل الى ظلمات الدار الآخرة ، وسأل الارواح
الهائمة فدلته على منامة الستيس ، فتففل حارسها
الجبار وخنقه ، واختطف الفتاة الناعسة وفر بها دون
ان تشعر به زبانية بلوتو
وعادت الطمأنينة الى قلب الملك ، ورفر ف السلام على
المملكة

١٤ - هرقل وأومفاليه

وذهب هرقل يزرع الارض ، واشترك فى حملة
الارجونوت ضد السنتور ، وانضم الى الاغريق فى
حصارهم الاول لطرودة

ولقى رجلا ذا خيلاء وكبر فقتله ظالما ، وكان زيوس
ينظر من علياء الاولمب ، فعبس وبسر ، وقضى أن يظل
هرقل فى خدمة أومفاليه ملكة ليديا بضع سنين

وتجههم هرقل ، ولكنه لم يكد يبدأ خدماته التافهة
للملكة ، حتى راعه جمالها ، واستهوته مفاتها ، وأحس
للمرة الاولى فى حياته المشحونة بالمخاطر أن قبسا يتأجج
فى قلبه يوشك ان يجعله ضراما

وحلا فى فمه ما مر من الذل ، وطلب ما كرهه من
العبودية وود لو قضى الحياة فى ظلال هذا الحب الاول
مغمورا برضى الملكة ، سعيدا بما أفاء عليه جمالها من هناء

« قسرى عيننا ايتها الحبيبة فليس أسر »
 « على هرقل من حرب الالهة ، لقد صرعتهم »
 « جميعا فى حفل الاولاد ، وقد مري من المغامرات »
 « ما ينخلع من بعضه قلب اخيلوس . . . » (١)
 واستأذن هرقل على الملك ، وحيا احسن تحية ، ثم طلب
 يد ديانيرا . . وكان اونيوس يعرف من بأس البطل وعظيم
 قوته ما يعرف كل ملوك هيلاس وامرائها ، وكان قد اجاب
 اخيلوس الى خطبته وهو يعلم من سخط ابنته على هذا
 الزواج ما يعلم ، فلما تقدم اليه هرقل استبشر وقال :
 « . . لقد كنت يا بنى وعدت اخيلوس ان يبنى على ديانيرا ،
 وهو من تعلم فى الحول والطول والجبروت ، لكنى مع ذاك
 لا افضله عليك ، بل نجعل لكما يوما تلتقيان فيه ، فمن
 يصرع صاحبه كان كفوا لديانيرا »

وقبل هرقل ، ورضى اخيلوس ، واجتمع الناس من كل
 فج يشهدون الصراع العظيم بين الجبارين العنيدين . .
 وكان كل واثقا بنفسه ، لا يخامره ادنى شك فى انه فائز
 على صاحبه . فلما تقابلا ، ثار من حولهما النقع ، كانت
 انظار الناس كأنها متصلة بسواعدهما بأمراس شدداد ،
 وبعد قليل أخذت الارض ترتجف من تحتها ، وطفق الملعب
 يهتز بمن فيه من خلق كثير . . وكانت ديانيرا تشرف من
 مقصورتها وتكاد تفص بريقها اشفاقا على هرقل ، وكان
 هو كذلك ، كلما خارت قواه ، نظر اليها النظرة فتجدد بها
 روحه وتتضاعف قوته ويمتلئ قلبه بالامال . . وكان
 اخيلوس قد فطن الى جبروت هرقل ، وكان يستطيع ان
 يتشكل بأى خلق أراد ، فجعل يتقلب من ثعبان ضخ

(١) هذه السطور من سوفوكليس فى مأساته الخالدة « عذارى
 تراشينيا »

الجثة ، الى تنين عظيم الجرم ، الى أسد بادی النواجذ ،
 الى . . ما شاء له سحره وقوة حيلته من أشكال وأوضاع
 . . ثم انقلب الى عجل جسد ذى قرنين كبيرين ، وشرع
 ينطح هرقل ، وهرقل يتقيه ، حتى استطاع البطل ان يأخذ
 بقرنيه بكلتا قبضتيه ، وجعل يخبط برأسه الارض فى
 عنف وغل ، حتى كسر أحد القرنين وفر اخيلوس من
 الميدان هاربا . . لا يلوى على شئ . .

ودوى الملعب بالتصفيق ، واندلعت الحناجر بالهتاف ،
 وتدفق الناس نحو هرقل يحملونه على الاعناق . . وتقدمت
 ديانيرا فحياها البطل بقبلة فردوسية خالدة ، لا يزال
 صداها يرن على شفاه المحبين . .

وتم العرس . . وانطلق هرقل بزوجه يجوب الافاق
 وحدث ان اعترضه نهر عظيم لم يستطع ان يعبره ومعه
 ديانيرا . فبينما كان يعمل فكره كيف يقتحمه ، اذا سنتور
 عظيم يعرض عليه ان يحمل زوجته فيعبر بها الى العدو
 الثانية سالمة آمنة ، ثم يرتد فيحمله اليها كذلك ، وقبل
 هرقل ، ونسى ما كان بينه وبين السنتور من عداوة
 وبغضاء ، وحرب قديمة تدمى لها قلوبهم ، وتقرح
 نفوسهم ، وأعان هرقل زوجته فاستوت على ظهر السنتور ،
 وخاض بها الماء وهو يطفر من الفرح ، ويحلم بالمنى
 والامال . فما كاد يبلغ الشاطئ الاخر حتى عدا عدوا
 شديدا ليكون بمنجاة من سهام هرقل . ولكن ديانيرا
 صرخت صرخة مدوية نهت ما غفل من سمع زوجها ،
 فلما فطن الى خيانة السنتور ، شد قوسه العظيمة ،
 وأرسل الى دبر السنتور سهما مرشا كان قد شرب من
 دم هيدرا حتى ارتوى !

وأحس السنتور بسم الموت يخترم حشاشته ، وبرودة

الفناء تشيع في جسمه البدين ، فأقسم ليكيدين هرقل فيذيقه من هذا السم الذي سقى به سهامه ما يودى به . فقال ديانيرا : « أيتها الفتاة ! لا تثقى أن حب هرقل دائم لك ، بل اكبر الظن أنه منصرفه عنك الى فتاة أخرى تكون اسبى واصبى . وما احسبك الا ذاكرة كيف كان يتعانى في حب اومفاليه . فخذى قميصى هذا فاحفظيه لديك ، حتى اذا احسست من زوجك جفوة ، اورايت فيه ازورارا ، فابعثى به اليه ليلبسه ، والقي في روعه انه يحفظه من أعدائه . فانه ان فعل ، عاد اليك بقلب مفعم بالحب ، ونفس ملتاعة كلها شوق وتوق . » ثم خر السنتور ميتا !

وأخذت ديانيرا القميص المخرج بالدماء المسمومة ، وفي نفسها من الهم شيء عظيم ! « من اومفاليه هــــــه ؟! كان يحب اومفاليه ؟ كان يحب فتاة غيرة ؟ وحق زيوس لأسالنه ! ها هو ذا قد سبج الى الشاطئ ! »

ولقيته فسألته ، فاعترف لها بكل شيء ، وطمأنها على محبته واخلاصه . . . ولكن قلب المرأة لا يعرف هذا الاستسلام المعسول للكلمات الناعمة ! فقد ظل الوسواس يدب في نفس ديانيرا ، حتى كان هرقل في إحدى جولاته ، وكانت هي عند أبيها ملك كاليدون ، فطالت غيبته ، وذهبت بها الظنون من أجل ذلك كل مذهب

وذكرت القميص ورددت عبارات السنتور ، فنهضت من توها وأرسلته مع إحدى وصيفاتها (١) الى هرقل في مناه البعيد . وأوصت الوصيفة أن تذكر له من مآثر القميص ما وسوس به السنتور . فلما لبسه هرقل ،

(١) في أحد المصادر أنها أرسلت خادمتها الصانع ليخاس

التصق به التصاقا ، وأخذ السم يشيع في جسمه الحديدى فيذيبه ويفتته . .

وصرخ البطل بلا جدوى ! وكلما حاول انتزاع القميص كان جلده يتمزق ، ولحمه يتهرا ، ويتصبب الدم من فوق ومن تحت . . . ثم أخذت نفسه تساقط أنفسا . . وطفقت روحه تودع هذا الجثمان الهائل في دموع وآهات حارة . . .

ولفظ نفسه الاخير وهو يبكى ويقول : « فدى لك نفسى . . يا . . ديا . . نيرا ! »

« وهوى الى الارض ما كان من الارض ، ورفرقت »
« الروح الكبيرة في جمهرة من أرواح الآلهة التي أقبلت »
« من الأولمب تزف ابن زيوس العظيم . والكل ضاحك »
« مستبشر ان القى اخوهم حمله الثقيل ، وخرج الأولمب »
« جميعا يستقبل البطل ويهتف باسمه في عليين (١) »
وحمل الجثمان الطاهر الى جبل أويتا ، حيث دفن في اجلال واعظام ، وحيث وقفت ديانيرا ترويه بدمعها الغزير . .

(١) هذه السطور من شلر الالماني . وفي بعض المصادر أن الذي أثار الغيرة في قلب ديانيرا ، انها سمعت أنه عاد الى إحدى صوبيحاته القدامى « ايول » وأنه هام بها ومع ذلك فلو قد علمت ان القميص مسموم لما أرسلت به اليه

التوت الأبيض والتوت الأحمر

أو
(بيرام وتسبيه)



كان أجمل شباب بابل ، وكانت أجمل حسانها
كان فتنة في فتنة ، في جسم قوى ، وقلب حمى ، وخلق
حيى ، وقوام مفتول ، ونفس حلو ساكنة سجواء (١) ..
وكانت قسيمة وسيمة خفيفة لطيفة ، غضة كالوردة ،
عطرية كأنفاس البنفسج ، تفر عن فم خمري شتيت ،
وترنو بعينين دعجاوين نجلاوين ، وترسل شـعرها
المغدودن (٢) على ظهرها العاجى تارة ، وصدرها المرمرى
أخرى ، يداعبه النسيم ، وتقبله الآلهة ، وتنتظم فيه
حبات القلوب ..

وكان بيتاهما متلاصقين ، فكانا يراها وكانت
تراه ، وكان يلقاها وكانت تلقاه ، وكانا يتلاعبان في الصفر ،
طفلين كالملائكة ، ثم شببا ، فكانا ينفران الى الخلاء
والادغال ، يلتقيان عند النبع القريب ، ويتسلق بيرام
أشجار التوت الأبيض - ولم يكن التوت الأحمر قد عرف
بعد - فيهب أغصانها وأفنانها ، ويساقط أشـمـر الشـهـيد
الذيذ على سندس العشب ، رطبا جنيا .. فتأكل
تسبيه ، وتقر عينا !!

(١) ساكنة

(٢) المغدودن : الثاعم الطويل

ثم ترعرعا أيضا ، ودبت الحياة الحلوة الجميلة ، حارة
متدفقة زاخرة ، في قلوبهما الصغيرين ، وأخذ الفؤادان
الصغيران يشبان الى الاعين السعيدة الطاهرة يرى كل الى
صاحبه ، ويتزود كل من جمال أخيه زاد الهوى وذخيرة
الحب ، للأيام المقبلة

ولم يعرفا أنه الحب ، ذاك الذى يخفق في صدريهما
أول الأمر ولكنهما عرفاه ، وعرفاه معرفة كلها شجو
وكلها حنين ، حين ألح عليهما ، وحين كانا يفترقان أشوق
ما يكونان الى لقاء ، وأصـبى ما يكونان الى اجتماع ، ثم
عرفا كيف يتشاكيان ، وكيف يتباكيان ، وكيف يكون
الليل جحيما حينما يقبل فيفصل بينهما بظلامه ، ويجمع
بين روحيهما بسهده ودموعه وطويل أنينه ، وكيف يكون
فردوسا خالدا حينما يجمع بينهما في لحظة أو في منام

ولم يقو بيرام على عذاب البعد ، فاتفق وتسبيه على أن
يكلم أباه ليكلم أباهما في الخطبة ، ولكن والد بيرام أبى
واستكبر ورفض أن تكون هذه الفتاة التى هى مطمح
أبصار شبان المدينة زوجة لولده ، وكذلك أبى والد الفتاة ،
ثم شجر الخلاف واتسع ، وكثرت شياطينه ، وأحيا عداوات
قديمة ، فتدابروا القوم وتناكروا ولكن مافى قلب الحبيين
ظل على ما كان عليه ، بل ألهب البعد الذى جرت اليه
الخصومة أوار حبهما ، فازدادا هياما ، وذابا غراما ،
وكانت عداوة أهليهما عليهما بردا وسلاما ..

ولم يعد يفكر الا فيها ، ولم تعد تفكر الا فيه ، وراح
ينظر الشعر يتغنى به برحاه ، ويرسل موسيقاه يكلم بها
السماء عسى أن ترق له آلهتها فترحمه مما يقاسى ...
وراحت هى تبكى وتتكلم بلغة الدموع الى نفسها الملتاعة ،
وترسل آهاتها فى صميم الليل تتردد بين النجوم الخفاقة
الكلمى ، تتوسل الى أرباب الرحمة والحب أن تدرك بلطفها

ضعف الحبيبين المظلومين

وتصدعت السماء ، وانهمرت شآبيب الرحمة ، وانهل
فيض الحنان ، وأمرت الآلهة فزلزلت الأرض زلزالها ..
وكانت الغرفة التى ينام فيها بيرام ملاصقة للتي تنام فيها
حبيبته تسبيه ، وكان يفصلهما جدار مشترك بين المنزلين
المختصين ، فأحدث الزلزال فى هذا الجدار صدعا صغيرا
كالشعرة فوصل هواء الغرفتين ، وحمل كلام الحبيبين ،
وأخذت موسيقى بيرام وغناؤه ينسابان الى غرفة تسبيه،
وأخذ بكاء تسبيه وآهاتها تنساب فى غرفة بيرام ، وأخذت
النجوم الحلوة ، والشكوى الجميلة ، وغزل الكلام ، وحنين
القلوب ، ينتقل فى برج هذا الشق كأنها كواكب السعد
تحدوها الآهات الملهبة ، وتذهب بها القبلات الحارة ، ترف
بأجنحة من أثر ، من فم الى فم ..

— تسبيه ، تسبيه !

— من ؟ من ينادينى ؟

— تسبيه ، هو أنا — أنا بيرام !

— من أين تتكلم ؟

— من هنا .. ألم تشعرى بالزلزلة ؟

— آه ! شعرت بها فى العشاء ليلة امس

— أنها أحدثت فى الحائط الذى يفصل بيننا شقا .. وأنا
أكملك منه

— بيرام !

— تسبيه !

— اذن لقد رثت الآلهة لحالنا !

— واستجابت دعاءنا ياتسبيه ، لقد حركتها موسيقاى !

— اذن كنت تعزف وتتغنى ، بينما كنت أبكى وأئن
واذوى !

— لا ! ولكنى كنت أسكب نفسى دموعا على أوتار
القيثار !

— يا لقسوة هذا الجدار يا بيرام ! انه يفصل بيننا
بشدة !

— هو على كل حال أرحم بنا من أبويننا .. أليس قد
انفجر ليصل حديثنا ؟

— نشكره جدا ياتسبيه .. وأشكره أنا خاصة لانه فرج
عن قلبى بالتحدث اليك

— بيرام !

— حياتى !

— هل الجنة أجمل من سجننا هذا ؟

— انه أجمل من انضر الجنان يا تسبيه !

— وهذا الظلام ! أليس هو أضوأ من سنا الضحى ؟

— لاننا نتحدث فيه يا اختاه !

— أحب أن أسمع موسيقاك يا بيرام تتدفق فى روحي
خلال هذا الجدار

— ليس أحب الى من ذلك ياتسبيه

— أنا لم أسمعك تغنى مذ تناكر أهلونا

— سأفعل ان وددت !

— وماذا عساك تغنى ؟

— كل أغنيائى التى ترنمت بها فيك ؟

— ألا تغنى شيئا اخر ؟

— للآلهة ! لانها انعمت على بحبك !

وهكذا كانت أحاديث الحبيبين المعذيين كلما جنهما الليل ، وضمهما غاشي الظلام ، أحاديث كأوشية الروض ، وأفواف الزهر ، ونجوى البلبل ، ممزوجة بعبرة أو عبرتين يريقانهما على جفاء الأهل ، ولدد الطباع ، وقسوة الأيام ولم يحتملا هذه الحال طويلا ، فلقد شفهما الهوى ، وأنحلتهم الصباية ، وفعل الحب في قلوبهما الضعيفين أفاعيله . ففي ليلة سافرة البدر ، ساجية النسيم ، صمتت فيها الطبيعة ، وتكلم القمر ، دار بين العاشقين الحديث الآتي :

— تسبيه ؟ !

— بيرام !

— أبوشك القمر أن يكون بدرا يا حبيبتى !

— أنه جميل الليلة ، وحبذا أن يظل جميلا الليالى المقبلة ...

— أن القمر جميل دائما ... اليس هو ابتسامة هذه الدنيا في ليالى العاشقين ؟

— لكنه صامت أبدا ... أنه أبكم لا يعي !

— سو ... لا تقولى ذلك يا تسبيه ... قد تسمعك ديانا فتغضب !

— هل يتكلم ؟ هل يفهم ؟

— أما أنه يتكلم فحق ... لكنه لا يتكلم بلسان كلساننا .. أنه يتكلم بلسان من فضه ياتسبيه ، لسان له رنين حلو في أعماق الروح ... ثم هو يفهم آلام المحبين لأنها تصعد إليه مع آهاتهم ...

— خيال شاعر وفلسفته ؟

— بل هو الحق يا حبيبتى ! لقد كان يكلمنى وكنت

أكلمه . وكان يفهمنى وكنت أفهمه ، كان يكلمنى بأرادته (١) وأضوائه ، وهى لسان صامت ولكنه بليغ لسن ، وكنت أكلمه بوجدانى مرة ، وموسيقاى أخرى ، فكان يضحك فى الأولى ، ويرقص فى الثانية .. تسبيه !

— ماذا يا بيرام ؟

— أتمنى لو غمرتنا أشعة القمر غدا ، فى هذا السهل المنبسط ..

— غدا ؟ وكيف ؟

— ولم لا ؟ ألا ترغبين ؟

— وكيف أرفض ؟ أنا أتمنى ذلك ..

— أذن سنلتقى ؟

— وكيف أفعل يا بيرام ؟

— تنسرقين اذا نام أهلك ... لن يشعر بك أحد ..

— وأين نلتقى ؟

— عند مقبرة نينوس

— ... ؟ ..

— ألا تعرفينها ؟

— مكان رهيب !

— لكنه جميل رائع ! سنجلس ثمة بين يدي القمر ونتحدث ، ونشفي أنفسنا مما تجد !

— وتعزف وتغنى ؟

— وقد نبكى ؟

— .. ؟ ..

— اتفقنا ! اليس كذلك ؟

— اتفقنا

— اذن أنتظرك ، اذا لم أجده هناك ، عند النبع القريب ،
تحت التوتة البيضاء ! وكذلك تفعلين
— افعل ماذا ؟
— تنتظريننى ثمة اذا سبقتنى !
— ترى ماذا تبغى ديانا منى ؟
— لا شيء .. لا شيء ..

ما كان أجملها ليلة سطع في حواشيها القمر ، ودحرج
لأله على مياه النبع ، ودغدغ (١) بأضوائه العشب وأفنان
الشجر ، فتبسمت وتضاحكت ، ونشر في أجوائها بخوره
المتصاعد من مجامر الورد ، ومداهن البنفسج ، احتفاء
بمقدم تسبيه ، يا لجمال الطبيعة ! لقد كان كل ما فيها
موسيقى صامتة تنشر أحلى النغم حوالى هذه الحبيبة التى
انسرفت تحت أسدال الظلام ، تمشى كالقطاة ، وترسل
من فوق رأسها خمارا رقيقا كسحابة الصيف ، تستر
ما وراءها وليست شيئا ! لقد كانت توجس في نفسها
خيفة وهى تدب في سكون الليل ، كما يسرى الحام الجميل
في خلد النائم

وذهبت تطوى الطريق وفي رأسها ألف فكرة عن هذه
المجازفة ، وبلغت مقبرة نينوس آخر الامر ، ولكنها لم تجد
حبيبها عندها .. ترى ماذا عوقه ؟ لقد كان رخام المقبرة
نظيفا ناصعا ، ولقد كان شبح الفناء جاثما فوقها يلمع
في ضوء القمر ، كأنه يتلاعب بالسنين والاحقاب ، وكأنه
يسخر من كل شيء فوق الارض ! وبدا للفتاة الضعيفة
كأنه يرقص كالسكران فوق الشاخص الرخامى ، ولكنها

(١) الدغدغة : الرغزة

أخذت تصرف عن عينيها رؤى عفاريت الليل ، وتصاوير
الوهم المريض ، ثم سخرت من خوفها وذكرت التوتة
البيضاء ، والنبع الذى عندها ، فارتدت اليهما لتجلس
ثمة ، ترتقب زورة الحبيب

وجلست عند جذع التوتة ، وجعلت تحددج الثمر
الابيض ، وتشتهى لو سقط منه شيء فتأكله حتى يحضر
بيرام .. ثم سمعت ديبا يقترب ، فلم تشك أن بيرام قد
أقبل ، ونبض قلبها بشدة وانذرفت من عينيها عبرة لم
تفكر هذه اللحظة في أن تذرفها .. ثم أبطأ الدبيب ..
ووثبت تسبيه نمد عينيها الثابنتين فى أرجاء الدنيى
الصامتة الرهيبة ، ولكنها لم تر شيئا ، وعادت عفاريت
الليل ترقص فى وهمها ، ولكنها لم تبال ، وجعلت تجاهد
نفسها مجاهدة لينة مرة ، عنيفة مرة أخرى ، وهى فى هذا
وذاك تفكر فى بيرام ، وتضرب لتأخره أخماسا لاسداس ..
ثم ذعرت الفتاة ذعرا كبيرا ، وساخت الارض تحت قدميها
المرتجفتين الواهنتين .. ذلك أنها لمحت شبح لبؤة تخرج
من دغل قريب فجأة ثم تيمم شطر النبع الذى تعرش من
فوقه التوتة . ماذا ؟ انها لبؤة ضارية أقبلت ترتوى من ظمأ
ملح وجواد (١) شديد .. وهى تتبهنس (٢) مع ذاك
كأنها عروس ، ولكن عروس من الجن

وأطلقت الفتاة ساقها للريح ، ولم تحفل بها اللبؤة ،
لأنها قد افترست فريسة قبل ساعة ونهشتها ، وهذا
فمها ملوث بالدم الفريض الدافئ ..

لم تصنع اللبؤة شيئا ، إلا انها رأت الخمار الابيض
الذى كانت تسبيه ملتفعة به ، ملقى على الارض ، فعائت
فيه ، وكأنما أرادت أن تمسح فمها به ، فلوثته بالدم ،

(١) الظما

(٢) تبختر

ثم همهمت نحو النبع فارتوت على مهل ، وعادت أدراجها نحو الدغل الذي تركت فيه فريستها لتأتى على بقاياها

أما الفتاة فقد ظلت تجرى حتى بلغت شجرة ضخمة وجدت في أصلها فراغا فاخبت فيه ، وراحت تلهث من الذعر والتعب ، وتتمنى ألا ترتد اللبؤة اليها . . وقد أيقنت أن ديانا الهة القمر ، قد سمعتها حين عابت على البدر عيه وبكمه ، فسافت اليها ذاك الوحش في هذا الليل

ولم يمض وقت طويل على تلك الاحداث حتى أقبل بيرام وفي نفسه لهفة ، وبقلبه قلق ، فقصده الى مقبرة نينوس فلم يجد عندها شيئا ، ووقف قليلا يبحث عن تسبيه في كل شيء ! في شجيرات الورد وفسائل الزنبق ، وفي العشب الخائف المذعور حول المقبرة ، وتولاه طائف من الوجد والذهول فراح يبحث في السحابة الرقيقة البيضاء التي انتشرت على وجه القمر في هذه اللحظة ، مشبهة خمار تسبيه ، اذ يكون على وجهها الرقيق الناحل . . ثم ذكر ميعاده عند النبع القريب تحت التوتة البيضاء ، فانثنى ميمما شطرها . .

« يا للهول ! ويا للفرع الاكبر ! ما هذا ؟ خمار حريرى ابيض ؟ لمن هذا الخمار يا ترى ؟ أواه ! انه خمارها لاريب ! لقد شهدتها تلتفع به مرارا ! يا ارباب السماء ! ما هذا الدم ؟ وا أسفاه عليك يا تسبيه ! لقد قتلتك الوحوش فلن أراك بعد اليوم ! أنا السبب يا حبيبتي ؟ لقد جررت عليك هذا باقتراحى الضلال ! ألا ليت أمى لم تلدنى ! اى وحش ضار اغتذى بك يا تسبيه ؟ أيها القمر القبيح الابكم ، لماذا أغريتنا بهذا اللقاء ؟ أنت تستتر الان حياء وخجلا من فعلتك التي فعلت ، وكنت بالامس سافرا متبرجا ! أغرب ايها الاصفر كصفرة الموت ، فلا جمال

فيك ! رد على موسيقي وأغانى فأنت جيس (١) لئيم لا تستأهل منها شيئا ! هات كل ما عندك لى هات ! هات دموى وأشجاني وآهاتى ! هات سهدي وعبادتي ومناجاتي ! قتلت تسبيه تحت سمعك وبصرك ! ما أقساك يا صاحب الليالى المواضى ! أوه . . ولكن لا . . أنا الذى قتلتها ، ولا ذنب لك يا قمر . انى أستغفرك ، أبق كل ذكرياتى عندك ، فلا آمن عليها الا أنت ! أما أنا . . فهل يا حسام أسكن هنا . . في حبة القلب . أرو من هذا الدم الدافىء ، فلا أمل لصاحبك في الحياة بعد اليوم »

وألقى الفتى المسكين نظرة على كل شيء حوله ، لا حرصاً على الحياة المرة ، ولكن لينظر الى كل ما نظرت اليه تسبيه قبل أن يأكلها الوحش ، وليتزود من الاثر الذى تركته في الوجود عيناها الحزينتان المفزوعتان . .

ثم أغمد سيفه في صدره وسقط يتجرع غصص الموت ! وهذا روع تسبيه ، فبرزت من مكمنها في أصل الدوحة ، لترى من أين كان يتردد في أذنيها هذا النداء الحبيب . وكان شبح اللبؤة لا يزال يتمثل لها فيفزعها في الفينة بعد الفينة ، ولكنها كانت تسير بخطى وثيدة لانها ماشكت مطلقا في ان النداء هو لحبيبها ، لان الصوت الفضى الذى كان يمتزج بأصواء القمر فيغمر اذنيها وقلبها ، كان لا يزال يداعب اذنيها الصغيرتين . . ثم بدا لها ان تحت الخطى حتى تنبه بيرام الى وجود لبؤة في هذا السهل الجميل جعلته كالقلاة . . فأسرعت وأسرعت !

- من هذا المستلقى على حفاقي النبع ؟ هو من غير شك ! ثم أسرعت أكثر من ذى قبل

- بيرام ؟ ما هذا ؟ السيف في صدرك ؟ له ؟ حبيبى ! رد على ! كلم تسبيه ! ها أناذى ! لم قتلت نفسك يا بيرام ؟

أدونيس



كان جميلا كالكأس المترعة .. وله وجه أبيض كالجب،
تتدفق الخمر في دمه ، وتكمن في عينيه ، وتنثال على
لسانه ..

رأته فينوس يستحم في بحيرة مزهرة ، فوقفت تنظر
الى هذا التمثال من بلور ، يسبح في لجة من لجين !
ولمحاها الفلام فخجل واستحيا ، وطفق يخفض عليه
من أوراق اللوتس .. ولكن الحياء ورد وجنتيه ، وصبغ
خديه ، وفتر ناظريه ، وتصيب في شفثيه فاحمرتا ! وبذلك
أصبح فتنة تملأ البحيرة ، وعجبا يشيع في الماء ..

وسبح الى الشاطئ المقابل ، بيد ان فينوس كانت عنده
قبل أن يبلغه هو ، فانشى يريد الشاطئ الآخر ، فكانت
فينوس عنده كذلك ، فارتد يحسب أنه يسبقها الى
الشاطئ المقابل كرة أخرى ، ولكن الالهة العنيدة كانت
تسابق الوهم في الوصول الى أحد الشاطئين ، فلما نال
الجهد من أدونيس لم ير بدا من البروز الى البر ، وليكن
من أمر هذه الغادة التي تهاجمه بحبها - وهو لا يعرف من
هى - ما يكون ؟

- « أدونيس .. ليس كذلك ؟ »

آه ! هذا الخمار الأبيض ! وى انه ملوث بالدم ؟ عاثت فيه
اللبؤة الملعونة !

- تس .. بيه !

وأرسل القتل هذا الاسم المحب وحشرجة الموت
تعتلج في صدره ، ثم فتح عينيه قليلا فرأى فتاته تبكى فوق
رأسه ، فتبسم .. ثم مات !

- بيرام ! لا ! لا تمت ! لابد أن تعيش من أجل ..
ولكنه مات برغم هذه الامانى

- اذن انا التي قتلتك يا حبيبي ؟ اشهدى ياتوتتنا
البيضاء !

ثم رفعت بصرها الى فوق ، ولكنها بدلا من أن ترى
الشر الشهى الأبيض ، رأت ثمرا أحمر يقطر دما قانيا

- أوه ! رويت من دمه أيتها الشجرة فضرجت ثمرك
من حبنا وسعادتنا ؟ يا للقسوة ! تعالوا يا أهل ! تعالوا
أيها القساة ! فتشوا عن الرحمة في قلوبكم المتحجرة
واذرفوا دموعكم علينا .. احذروا ان تفرقوا بعد اليوم
بيننا ، فقد ربطت جسومنا المنايا .. لقد أبيتم أن نجتمع
في الحياة فلا تفرقوا بيننا بعد الموت .. وداعا أيها القمر
.. وداعا فقد ظلمناك !

ثم جذبت السيف من صدر حبيبها وأغمדתه في صدرها
بعد أن قبلت بيرام الميت قبلة الوداع .. وسقطت تتخبط
في دماها الى جانبه .. ثم عالجت سكرات المنون فوضعت
رأسها الجميل ، وشعرها المغدودن ، فوق صدره ..
ولفظت ثمة آخر أنفاسها

واقبل أهلهما في الصباح فبكوا كثيرا ، واستغفروا
لذنوبهم ، ثم أقاموا للحبيين قبرا واحدا من الرخام
الناصع عند حفاقي النبع .. تحت التوتة الحمراء !

— « ؟ .. »

— « ألا تتكلم ؟ .. »

وكانت قطرات الماء البلورية تتحدر على جسمه
الرشيق ، فمن يدري ؟ أهى من ماء البحيرة أم من ماء
النجل ! ..

— « تكلم يا أدونيس ! ألا تعرف من أنا ؟ .. »

— « ؟ ؟ »

— « أنا التى سجد عند اخصميتها مارس الجبار ! لقد
ألقى سلاحه لدى النظرة الاولى التى زلزلت بها أركان
قلبه ! ألا تصدق ؟ أدونيس ؟ ! .. »

— « أرجوك .. ان رفاقي ينتظروننى ، ونحن جميعا
نتخذ أهبتنا للصيد .. »

— « صيد ؟ .. وماذا تصيدون فى هذه البرية
الموحشة ؟ .. »

— « الخنازير يا غادة .. انها متوحشة جدا .. »

— « وهى خطيرة أيضا ، وكل يوم لها ضحايا ..
أدونيس ! ألسنت ترى الى جمالك الفينان ! ألا تشفق
عنه من أن يصيبه سفع من شمس هذه البرية المحرقة ؟
ألا تقلع عن صيد الخنازير القتالة ؟ .. تكلم ! لا تصمت
هكذا ! .. »

— « أرجوك ؟ »

— « ترجونى ؟ أنا التى أرجوك يا حبيبى ! .. »

— « .. ؟ »

— « أراك ارتبكت اذ دعوتك حبيبى ؟ وى ! ما هذا
الحياء ، يصبغك بأرجوانه هكذا يا أدونيس ؟ تصال ..
هات قبلة ! »

— « لا .. لن يكون شيء من هذا ! اسمعى ! ها هى
ذى سلوقياتى تنبح ولا بد أن أسرع اليها .. دعينى ..
دعيني ! »

— « لن أدعك ، ولو استجمعت شبابك كله وريحانك
ما استطعت أن تفلت من ذراعى يا حبيبى ! .. هات
قبلة قلت لك ! .. »

— « .. ؟ »

— « اذن أنال بالقوة كل ما أشتهى ! سأحرق شفتيك
الباردتين بشفتى المشتعلتين ! »

— « أ .. ر .. جوك أوه .. حسد .. بك .. »

— « فمك جميل شهى ، ولكن خديك جميلان كذلك
.. ألف قبلة على خديك وعارضيك أيها الغلام
الفتان ! .. »

— « .. ؟ »

— « أنفاسك تتضوع من فمك الرفيق ، وأنفك الدقيق ،
فهل فيك حديقة من بنفسج ؟ .. »

— « أر .. جوك .. كفى .. كفى سلوقياتى تنبح ،
ولا بد أن أذهب ! .. »

— « تذهب ؟ ولم تترك هذا الصدر الدافئ الذى
يضمك ؟ حقا أنت غرير ! .. »

— « أرجوك .. قلت لك ! »

— « كل هذه القبل أغمر بطوفانها فمك ، ولا تحييها
بقبلة ؟ .. قبلنى ! .. »

— « لا .. لا أقدر .. أرسل ذراعيك عن عنقى .. »

— « أنت لا تقدر ؟ آه يا ساذج ؟ .. اننى لن
أفلك ما دمت تتباله على ! .. »

- « أرجوك ، دعيني أذهب ! أهوه .. »

- « قبلني قلت لك ! لن يقهر كبريائي فتى غريب
مثلك ! اذا قبلتني أرسلتك ! .. »
- أقبلك ؟

- اجل ، قبلني يا أدونيس !

- أقبلك كيف ؟

- هكذا يا صغيرى

- .. ؟ .. ؟ .. دعيني اذن !

وانتشست ربة الجمال بقبله أدونيس اليافع ، فارتجفت
ارتجافة هائلة ، وخرت الى الارض كأنما غشى عليها ،
وارتبك الفتى الذى لم يألّف مثل هذا الموقف النادر من
مواقف الحب ، فأنف أن يغادر المكان قبل أن يعالج الغادة
حتى تصحو ، ثم يذهب الى صيده بعد . ولكنه لم يدر
ماذا يفعل ، وعلى كل ، فقد طفق يدلك قدميها ، ويربت
على صدرها ، ويمر بيديه الناعمتين على خديها وجبينها ،
فلما لم تفق ، أهوى على فمها الحلوى يلشمه .. ويرد اليه
دينه من القبل !

وكانت فينوس الخبيثة تحس وتصمت .. ولا تأتي
بحركة قد تطير بهذه الاحلام السعيدة التى تطيف بها ،
وتتنزل من السماء الصافية عليها ، ألم تكن تضرع اليه
من أجل قبله واحدة ؟ فكيف بها تطرد هذه العشرات
والعشرات من القبل !؟

ولم تطق فينوس ..

ففينوس ربة ولكنها هلوك ! لقد طوقت أدونيس
بذراعيها ثم أمطرت فمه الخمرى ، ووجهه العطرى ، آلافا

من القبل العذاب ، والنولات الرطاب (١)

حدثته عن الحب بلسان ينفث السحر ، وعينين تتقدان
اشتھاء ، ولكنه كان يصم أذنيه ويغلق أبواب قلبه .
وضمته بحرارة وعنفوان الى ثدييها ، فمسا زادته الا
شموسا وعنادا ..

قالت له : « الا تقبل على الا ميتة يا أدونيس ؟ أيسرك
أن أقضى بحبى أذن ؟ ألسنت أعدل عندك خنزيرا برياً ؟
أكلما خلعت عليك شبابى ونضرتى وحبى ، ألقيت بها
فى تراب كبريائك غير آبه لدموعى وتوسلاتى ؟ افتح
قلبك للحب يا صغيرى !! .. »

ولكن أدونيس يعبس عبوسة محنقة ويقول لها : « أهذا
كله عندك هو الحب ؟ .. »

فتنظر فى عينيه الساخرتين نظرة تستشف بها ما
فى قبرة نفسه وتسأله : « اذن ما هو يا أدونيس ؟ »

وينفجر الفتى بالحقيقة المرة فيقول لها : « ان كنت
تجهلين ما هو ، فالحب أجل من هذا وأقدس يا غادة ..
انك قد أسلمت جسمك للشهوة تصهره ، وروحك

(١) لا نستطيع متابعة الموقف ، ولكننا نشبت هنا اسطرا من شكسبير
الذى لم نعرف فيه تفحشا ، فى وصف ماكان بينهما - وذلك من
قصته الخالدة Venus and Adonais (مجموعة وارنك
ولوك ص ١٥٢٤)

He will not manage her, although he mount her.. etc..
All is imaginary she doth prove,
Her champion mounted for the hot encounter :
Now is she in the very lists of love
He on her belly falls, she on her back.
She sinketh down, still hanging by his neck,
and on his neck her yoking arms she throws :

والقصة رائعة ، وبها أكثر من ثلثمائة بيت فى وصف القبل
وحدها ، ومن لم يقرأها لم يعرف شكسبير القصص . والنولة القبلة

للغلمة تحرقها وتذهب بها شعاعا .. دعيني أذهب اذن
.. دعيني .. سلوقياتي تنبح ولا بد أن أذهب اليها ..»

وكان تلجا ذاب في أعصاب فينوس عندما سمعت
أدونيس ينتهرها ويعيرها ، فتقلصت ذراعها ، وفترت
نفسها ، وخمدت في قلبها تلك الشهوة الملحة التي سلطت
عليها تعذيبها وتضنيها .. واستطاع الفتى بجهد بسيط
أن يتخلص من أسرها ، فانطلق يعضد كالظليم الى
سلوقياته التي كانت تناوش خنزيرا كبيرا بادی النواجذ ،
بارز الانياب

وجلست فينوس تنظر الى ادونيس يعدو ، وتجتحر
كلماته وتتعذب

وغفت اغفاء قصيرة ، ولكنها استيقظت فجأة على صرخة
راجفة من جهة الشرق ، حيث كان فتاها الحبيب يتلهى
بالصيد ، فهبت مروعة ، لان الصوت كان بصوت
يا للهول !!

أدونيس مخرج بدمه ، وعيناه مستسلمتان للموت (١)،
وسلوقياته تبكي حوله ؟ لقد انقض عليه الخنزير الضاري
فمزق لحم الفخذة ، وسرى في الدم سم الكلب !

ووقفت فينوس ذاهلة تنظر الى حبيبها الصغير ، ثم
أهوت على فمه تقبله وترشفه وتبكي .. ثم أسندت
الرأس الذابل الى صدرها ، وجعلت تقول :

« ألم يكن حبا حبي يا أدونيس ؟! يا للقضاء ؟! كنت
أعرف هذه النهاية ، وكنت أشفق عليك منها ، ولذا
كنت أتشبه بك ، وأحاول أن أنسيك قبلي ودموعي

(١) اقرأ مرثاة ثيلي (أدونيس) في كيتس ، طبعة اكسفورد ص ٢٥

خنزير هذه البرية ، ولكنك قلت ان حبي شهوة وصبايتي
غلمة ، فجئيت على نفسك وعلى !! أوه ! يا لبرودة الموت ؟
أدونيس ؟ أدونيس ؟ رد على يا حبيبي ! لقد حسبتني
غادة ! أنا فينوس أكلمك فرد على .. آه ..»

وألقت به على الكلاء السندسي ، وانطلقت تبكي وتنتحب
حتى كانت عند عرش الاولب فقالت تكلم رب الارباب
زيوس العظيم :

- « أدونيس يا أبى !! »

- ماله ؟ ..

- قضى .. قتله الخنزير ..

- ومالك مذعورة هكذا ؟ ..

- « مذعورة ؟! وحقك ان لم تأمر برده الى الحياة

الدنيا لذهبن معه الى هيدز ! »

فوقف الاله كان يجلس قريبا من السدة وقال : تذهبن
الى هيدز ؟! يا للهول ! والجمال والحب ؟ ايذهبان في
اثرك الى دار الموتى ؟ وهذه الدنيا يا فينوس ؟

- « هذه الدنيا تنعى من بناها .. تخرب .. لا زهر ..

لا شفق .. لا طير .. لا موسيقى .. لا خمر .. لا حب

.. لا حنين .. لا غزل .. لن تكون دنياكم شيئا اذا

ذهبت الى هيدز مع حبيبي أدونيس !! »

فمسجد الاله الذي تكلم أمام زيوس ، ثم نهض وقال
له :

- أنا بلسان الآلهة أضرع الى مولاي أن يلبي طلبه

فينوس ربة الحب ..

فتبسم آله خبيث كان بالقرب منه ، وغمز اليه

وقال :

- وربة الجمال يا بن العم !!

وأرسل زيوس العظيم الى أخيه .. بلوتو .. اله هيدز ، يرجوه عن أدونيس ويستأذنه فيه ، ولكن بلوتو كان أحرص على الجمال من سكان هذه الحياة الدنيا ، فأبى أن يلبي رجاء أخيه .. فألح عليه ، فلم يقبل ..

ثم اتفق الاخوان ، زيوس وبلوتو ، على أن يجعلوا حياة أدونيس مناصفة ، فيقضى ستة أشهر في هيدز ، أشهر الخريف والشتاء ، وستة أشهر في الدنيا ، حيث تأخذ زخرفها في الربيع وتؤتى أكلها في الصيف !! ولما لقيت فينوس حبيبها عائدا أدراجه من دار الفناء قالت له :

« أتستطيع اليوم تعريف الحب ؟ » فقال أدونيس : « هاتى قبله يا فينوس .. هاتى قبله .. هاتى ألف قبله .. »

فهرس

صفحة	
٧	هذا الكتاب
١٢	مقدمة
١٥	بسيشييه وكيوبيد
٣٤	ايخو ونركيسوس
٤٣	بين أبوللو وكيوبيد
٥١	يو أو منشأ ايزيس
٦١	برسيوس وأندروميديا
٧٤	أرفيوس الماوسيقى
٨٣	مأساة أم
٩١	يوم قيامة
١٠٢	بلوتو يخطف برسفونيه
١١٠	مصرع بروكريس
١٢٠	أجنحة ديدالوس
١٢٨	بومونا
١٤٠	خرافة جاسون
١٧٦	فينوس
١٨٧	القرية الظلمة
١٩٦	غرام أورورا
٢٠٦	بجماليون المثال
٢١٦	ثيديوس يقتل المينوطور
٢٢٨	بندورا
٢٣٧	هيو ولياندر
٢٤٨	هرقل
٢٥٧	مجازفات هرقل
٢٨٦	التوت الأبيض والتوت الأحمر
٢٩٧	أدونيس